مجلة العلوم الشرعية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الخامس والستون

شوال ١٤٤٣هـ

الجزء الأول

عمادة البحث العلمي
Deanship of Scientific Research

www.imamu.edu.sa
E.mail: islamicjournal@imamu.edu.sa

رقم الإيداع :٣٥٦٤ / ١٤٢٩ بتاريخ ١٩ / ٠٦ / ١٤٢٩هـ
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤٢٠١ ـ ١٦٥٨

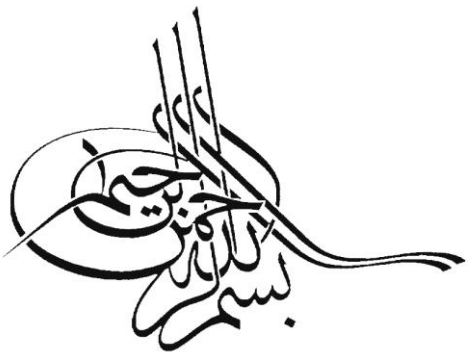
بسم الله الرحمن الرحيم

المشرف العام
الأستاذ الدكتور / أحمد بن سالم العامري
معالي رئيس الجامعة

نائب المشرف العام
الأستاذ الدكتور / عبدالله بن عبدالعزيز التميم
وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور / حمد بن عبد المحسن التويجري
الأستاذ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين

مدير التحرير
الدكتور / سعد بن محمد الشريف
وكيل عمادة البحث العلمي لكراسي البحث

أعضاء هيئة التحرير

- **أ. د. مسلم بن محمد الدوسري**
  الأستاذ في قسم أصول الفقه – كلية الشريعة – جامعة المجمعة

- **أ.د. عبد الله بن محمد العمراني**
  الأستاذ في قسم الفقه – كلية الشريعة

- **أ. د. علي بن عبد العزيز المطرودي**
  الأستاذ في قسم أصول الفقه – كلية الشريعة

- **أ. د. منصوربن عبد الرحمن الحيدري**
  الأستاذ في قسم السياسة الشرعية – المعهد العالي للقضاء

- **أ. د. أسماء بنت عبد العزيز الداود**
  الأستاذة في قسم الدعوة – المعهد العالي للدعوة والاحتساب

- **أ. د. عادل مبارك المطيرات**
  كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت

- **د. إبراهيم مصطفى آدي**
  الأستاذ المشارك في الدراسات الإسلامية – جامعة عثمان بن فودي بنيجيريا

- **أ.حسام بن محمد الرثيع**
  أمين تحرير مجلة العلوم الشرعية

قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم الشرعية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .

٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتبرة في مجاله .

٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .

٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .

٥- ألا يكون قد سبق نشره .

٦- ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أو لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية(مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .

٢- ألا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A4) .

٣- أن يكون بنط المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش بنط (١٣) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد) .

٤- يقدم الباحث ثلاث نسخ مطبوعة من البحث، مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة ..

ثالثاً: التوثيق :

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .

٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .

٣ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .

٤ - ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .

رابعاً : عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .

خامساً : عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .

سادساً : تُحكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.

سابعاً : لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .

عنوان المجلة :

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم الشرعية

الرياض ١١٤٣٢- ص ب ٥٧٠١

هاتف: ٢٥٨٢٠٥١ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

www. imamu.edu.sa

E.mail: islamicjournal@imamu.edu.sa

المحتويات

تناسب الآيات والسور حسب ترتيب النزول وترتيب المصحف العثماني، الميداني أنموذجاً د. دخيل بن عبد الله بن سليمان الدخيل	١٣
أصول المفسرين في توجيه رسم المصحف د. أحمد بن سعد بن حسين المطيري	١٢٩
موقف ابن رشد الحفيد (ت ٥٩٥ هـ) من المعاد د. أحلام بنت صالح بن عبد الله الضبيعي	١٨٧
الأحكام الفقهية المتعلقة بالمحجور عليه "المشتبه بإصابته" بوباء كورونا (في باب الصلاة والمعاشرة) د. هيفاء بنت أحمد باخشوين	٢٥١
الإجراءات الاحترازية من الأوبئة بين الفقه والطب – فايروس كُورونا (كوفيد ١٩) أنموذجًا – د. تهاني بنت عبد الله الخنيني	٣٢٥
السؤال الجدلي في القرآن الكريم حقيقته وأدواته دراسة أصولية د. نوف بنت عبد الله بن بجاد العتيبي	٤٢١

تناسب الآيات والسور حسب ترتيب النزول وترتيب المصحف العثماني، الميداني أنموذجاً

د. دخيل بن عبد الله بن سليمان الدخيل
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تناسب الآيات والسور حسب ترتيب النزول وترتيب المصحف العثماني، الميداني أنموذجاً

د. دخيل بن عبد الله بن سليمان الدخيل

قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٨/ ٣/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٢٣/ ٧/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

فكرة البحث تناولت عدة جوانب مرتكزةً على بيان نشأة القول بترتيب القرآن الكريم وتفسيره حسب النزول، والمستند الداعي لهذا الترتيب، مع دراسة الآثار المعتمد عليها لسلوك هذه الطريقة، وكون تفسير "معارج التفكر ودقائق التدبر" للميداني أنموذجًا للدراسة، ومناقشة ما استند إليه الداعون لترتيب القرآن وتفسيره حسب النزول، وبيان قيمتها، وعقد مقارنة بين المفسرين وما جاء عن الميداني في تفسيره حسب ترتيب النزول، وبيان الجديد فيه.

الكلمات المفتاحية: تناسب الآيات – تناسب السور– ترتيب المصحف حسب النزول – تفسير الميداني حسب النزول.

The verses and suras are appropriate in the order of descent and the orded ottoman Quran al midany amodel

Dr. Dakhel Abdullah Soliman ALdakhel
Department : alqoran sciences – Faculty osool al deen
imam mohammad ibn sauod Islamic university

Abstract:

The main idea of this research is to justify the saying of the array and interpretation of the Holy Quran according to it's revelation, and to discuss the foundations of this arrangement. In addition, this research is studying the methods throughout Islamic history that led to the adoption of this way. Depending on Al-Maydany's book (Ma'arij Al-Tafakkur wa Daqa'iq Al-Tadabbur) is a model of this study and discusses the base of the calls of collecting and editing the Quran according to its revelation. Revealing the value of these claims and making a comparison between interpreters verses Al-Mayday draws the light to the distinguish addition in his book.

key words: Harmony of verses , Harmony of Suras , Collecting the verses according to the revelation , The interpretation of Al-Maydany according to the revelation.

مقدمة:

الحمد لله حمد الشاكرين، على نعمه التترا، وآلائه العظمى، أنزل القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، فكتابه الفصل ليس بالهزل، لا تنقضي عجائبه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه، تنزيل من حكيم حميد، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن أبواب العلم مؤهلة، والاجتهاد مفتوح لمن هو أهل له، وكل يحاول أن يأتي بما ينفع الأمة والمسلمين من العلماء المخلصين وفق اجتهاده الذي إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، وينبه على خطئه، وأما إن كان من الكائدين للإسلام العابثين بشرعه فقوله مردود.

ثم في عصرنا الحاضر كانت هناك مطالبة تجديد للقرآن وتفسيره من جانبين: الأول: إعادة ترتيب المصحف العثماني فيقرأ حسب النزول، وإعادة طباعته ونشره في العالم الإسلامي.

ثانياً: تفسير القرآن الكريم وفق النزول لا بحسب ترتيب المصحف العثماني.

وإن كانت بذور الفكرة الأولى متقدمة، فقد تصدى لها، وانتصر للقرآن علماء أجلاء كالخطابي والباقلاني وغيرهما –كما سأبينه– إلا أنها كانت على الجانب النظري، ومن باب الجدال والتشكيك من بعض الفرق المخالفة في القرآن الكريم، ودعا لها بعض المعاصرين.

وفي العصر الحاضر بدأ الجانب التطبيقي لتفسير القرآن حسب النزول، وذلك في ثلاث محاولات كان أحدها للعالم عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

—رحمه الله– في تفسيره "معارج التفكر ودقائق التدبر"؛ حيث يرى أن ترتيب السور اجتهاد من الصحابة وليس بتوقيف، فاستند في الترتيب على ما جاء عن علماء علوم القرآن وما وصل له اجتهاد الشيخ محمد علي خلف الحسيني شيخ عموم المقارئ المصرية في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ هجرية في إحدى الطبعات المصرية للمصحف الشريف.

ثم بدا لي أن أناقش الميداني —رحمه الله– فيما ذهب إليه من القول بأن ترتيب سور القرآن هو اجتهادي وليس توقيفي، وكذا ما جاء عن علماء علوم القرآن فيما نسب لهم، ثم حاولت الوقوف على ما اعتمد عليه الشيخ محمد علي خلف الحسيني في ترتيب النزول، فلم أقف على دليل قطعي في ذلك وإنما هو اجتهاد ظني؛ إما من جهة الدلالة مع صحة الإسناد؛ وإما من جهة ضعف إسناد الأثر المعتمد عليه، ولذا لم أقف — حسب اطلاعي– على مَن جمع هذه الآثار ودرسها، فاستعنت بالله في ذلك وتناولتها من جانبي الرواية والدراية، فخرج هذا البحث الذي وسمته بـ(تناسب الآيات والسور حسب ترتيب النزول وترتيب المصحف العثماني، الميداني أنموذجاً) ، والله الموفق والهادي إلى طريق الرشاد، وﷺ على نبينا محمد وآله وسلم تسليماً مزيداً.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. تسليط الضوء على طريقة جديدة في تفسير القرآن الكريم، هي تفسير القرآن حسب النزول.

٢. أن تفسير القرآن الكريم حسب النزول يمس جانباً من قدسية القرآن الكريم، فيحتاج إلى سياج منيع الضوابط والقيود للإقدام عليه.

٣. أن في هذه الطريقة مدخلًا لمن في قلبه مرض وللمغرضين للإسلام بتجديد القرآن الكريم وإعادة ترتيبه تلاوة.

أهداف البحث:

١. مناقشة ما استند إليه الداعون لترتيب القرآن وتفسيره حسب النزول، وبيان قيمتها.

٢. عقد مقارنة بين المفسرين وما جاء عن الميداني في تفسيره حسب ترتيب النزول، وبيان الجديد فيه.

٣. بيان الآثار المترتبة على سلوك هذه الطريقة في التفاسير التي خالفت جمهور المفسرين.

حدود البحث:

البحث تناول عدة جوانب مرتكزًا على بيان نشأة القول بترتيب القرآن الكريم وتفسيره حسب النزول، والمستند الداعي لهذا الترتيب، مع دراسة الآثار المعتمد عليها لسلوك هذه الطريقة، وكون تفسير "معارج التفكر ودقائق التدبر" للميداني أنموذجًا للدراسة.

الدراسات السابقة:

لم أقف -حسب اطلاعي- بعد مراجعة محركات البحث الإلكترونية وغيرها من المطبوع على مَن تناول هذا الموضوع بجميع جوانبه، التي رأيت أهميتها في هذه الدراسة، كبيان الآثار المترتبة على سلوك هذه الطريقة، ودراسة أسانيد المرويات المعتمد عليها في تفسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول رواية ودراية، وغير ذلك.

وقد وقفت على أهم دراستين قريبتين لهذه الدراسة:

الأولى: رسالة ماجستير في جامعة الأردن بعنوان: منهج عبد الرحمن حبنكة الميداني في التفسير، للباحث/ نادي حسن علي صبرا، وجاءت في (٢٦٦) صفحة، وقسمها إلى أربعة فصول: الفصل الأول: استخدام ترتيب النزول في التفسير. الفصل الثاني: المنهج العام للتفسير في (معارج التفكر) وبيان مصادره. الفصل الثالث: أصول منهج عبد الرحمن حبنكة في التفسير. الفصل الرابع: مقارنة بين منهجي الشيخ عبد الرحمن حبنكة وبين الأستاذ محمد عزت دروزة.

وهذه الرسالة بفصولها مغايرة لدراسة هذا البحث من جهة تناول مناسبة الآيات والسور حسب سبب النزول، وما اعتمد عليه الميداني -رحمه الله- في هذا المنهج، ومناقشته فيما اعتمد عليه في هذا الترتيب وبيان صحته من رده، ولذا فالباحث يقرر هذه الطريقة حيث قال -حفظه الله-صفحة (١٠): "وقد ظهرت في القرن الماضي طريقة جيدة، وهي تناول سور القرآن الكريم بالتفسير حسب ترتيب نزولها، لا حسب ترتيب المصحف". وبهذا يظهر الفرق فيما

تناوله الباحث، وارتكازه على الوصف العام لمنهج الميداني -رحمه الله- في التفسير، وبين الدراسة التي قدمتها.

الثانية: بحث محكّم بعنوان: منهج عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في تفسيره (معارج التفكر ودقائق التدبر) للباحثين: جهاد محمد النصيرات وعبيدة عبد الحكيم أسعد، الجامعة الأردنية، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد ٤٠، العدد ٢/٢٠١٣م، وقد جاء في (٢٤) صفحة، كان للحديث عن المناسبات في ستة أسطر من الصفحة (٤٩٠) بوصف عام للمناسبات في تفسير الميداني -رحمه الله- والفرق جليٌّ بينه وبين الدراسة التي قدمتها.

وهناك مقالات متفرقة لم تناقش الميداني -رحمه الله- في طريقته، وفيما استند إليه، ولم يتتبع الآثار التي اعتمد عليها الميداني -رحمه الله- ودراستها من جانب الرواية والدراية والحكم عليها-حسب اطلاعي- والله ولي التوفيق.

خطة البحث:

المبحث الأول: ترجمة الميداني.

المبحث الثاني: المناسبات القرآنية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المناسبات لغة.

المطلب الثاني: تعريف المناسبات اصطلاحاً.

المطلب الثالث: العلاقة بين أسباب النزول وتناسب الآيات.

المبحث الثالث: ترتيب الآيات والسور في القرآن.

المبحث الرابع: التناسب بين مقصود السورة ومضمونها.

المبحث الخامس: المراد بمقصد السورة وأهميته.

المبحث السادس: دراسة أسانيد آثار النزول رواية ودراية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: اللازمة للبحث.

منهج البحث:

اتبعت فيه المنهج الوصفي التحليلي. وكان على النحو التالي:

١. تقصي منشأ سلوك طريقة تفسير القرآن الكريم حسب النزول.

٢. استقراء المستند والعلل التي اعتمد عليها مَن سلك هذه الطريقة والرد عليها.

٣. تحليل موقف الميداني في سلوكه هذه الطريقة والرد عليه.

٤. عزو الآيات القرآنية، بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني.

٥. جمع الآثار المروية التي اعتمد عليها في سلوك هذه الطريقة ودراستها سنداً ومتناً.

٦. تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية، معتمداً على ما في الصحيحين البخاري ومسلم أو أحدهما، وما جاء في غيرهما خرجته من مظانه، مع بيان حكم أهل العلم في درجة صحته.

٧. بيان الكلمات الغريبة الواردة في البحث من الكتب المختصة بها.

المبحث الأول: ترجمة الميداني:

اسمه وكنيته:

هو عبد الرحمن بن حسن بن مرزوق بن عرابي بن غُنَيم حبنكة الميداني.

وترجع عائلة حبنكة إلى عرب بني خالد، وقد وفدت عائلة الشيخ إلى دمشق من بادية حماة واستقرت بها[١].

وإطلاق حبنكة مأخوذ من حَبَكَهُ باللهجة البدوية، أو حَبَّكَهُ، بمعنى: الثقة.

وقيل: هي مركب من: حب اللقا[٢].

مولده ونشأته:

ولد الشيخ عبد الرحمن حبنكة في العشرينات من القرن الماضي (١٣٤٥هـ)، في دمشق حي الميدان، وهو أكبر إخوته الاثني عشر، سبعة ذكور وهم: عبد الرحمن، وعبد الله، وعبد الرزاق، ومحمد، ومحمود، وإبراهيم، وحسين، وخمس بنات: خديجة، وأمينة، وعفاف، وعاطفة، والبنت الكبرى ماتت رضيعة.

شب الشيخ في بيت جده مرزوق، وعاش في كنفه، إلى أن جمع الله شمل أبيه بالعائلة حيث كان لاجئاً في الأردن بسبب الثورة السورية.

تزوج الشيخ عبد الرحمن في بيت أبيه، والذي كان ينفق عليه.

لازم الشيخ عبد الرحمن المشايخ وتفرغ لطلب العلم، مكتفياً بما أنفق عليه والده. توجه الشيخ عبد الرحمن إلى مهنة تجليد الكتب لتساعده في

---

(١) ينظر: الوالد الداعية المربي الشيخ حسن بن حبنكة الميداني قصة عالم مجاهد حكيم شجاع، للميداني: ٣٥.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٣٦.

الإنفاق وإعانة أهله، ثم أصبح مديراً لإحدى المدارس، ثم عمل في وزارة الأوقاف في دائرة الفتوى حتى عام (١٩٦٧م)، حيث تم عزله بسبب مواقفه في نصرة الحق، وقوته في إنكار المنكر(١).

عقيدته:

الناظر في كتب الميداني –رحمه الله– يجده موافقاً لمنهج أهل السنة والجماعة في تناوله لآيات العقيدة كالاستواء والنزول والكلام والرحمة والرؤيا وغير ذلك إجمالاً، مما يبرز فيه الفرق بين أهل السنة والجماعة وغيرهم، قال: "ولم ألتزم مذهباً معيناً من مذاهب أهل الاعتقاد، إلا مذهب أهل السنة والجماعة بشكل عام، وطريقة السلف هي الطريقة التي رأيتها أقرب لسلامة الفطرة وصفاء الفكرة، وبُعدها عن التعقيدات الفلسفية المتشبعة التي تكثر متاهاتها وكبواتها"(٢). وقد ذكر عند تفسير قوله تعالى:﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾الأعراف: ٥٤، "وقد وصف الله ﷻ نفسه بأنه استوى على العرش، وقد كان الله قبل أن يَخلق الخلق ولم يكن شيء معه، ووصف نفسه أنه استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات، استواءً وصف الله به نفسه، فنحن نثبته ضمن حدود ما أثبت لنفسه ﷻ،ونقول: هو استواءٌ يليق بذاته، سبحانه عما وصفه الواصفون، ضمن

(١) ينظر: عبد الرحمن حبنكة العلم المفكر المفسر زوجي كما عرفته، لعائدة راغب:١١، الوالد الداعية المربي، للميداني:٤٤ ، ٦٤، علماء ومفكرون عرفتهم، للمجذوم:٥٩/٣.

(٢)العقيدة الإسلامية وأسسها، للميداني:٨.

مدركاتهم الضئيلات التي لا تصل إلى إدراك ذاته؛ إذ لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير. وأحسن بيان حول الاستواء الذي وصف الله ﷻ به نفسه، ما قاله الإمام مالك –رحمه الله–(الكيف غير مجهول، والاستواء غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)"[١].

حياته العلميّة:

نشأ الشيخ عبد الرحمن في بيت أهله بين عالم مفكر مجاهد، تمثل بأبيه، ومحبٍّ للعلم وأهله، ساعٍ في خدمته، تمثّل في أمه وجدّه.

بدأ الشيخ عبد الرحمن صبيًّا صغيرًا في مدرسة وقاية الأبناء الابتدائية التابعة للجمعية الغراء؛ حيث كان والده مديرًا لها[٢]، ثم التحق بعد ذلك بمعهد التوجيه الإسلامي الذي أسسه والده كذلك، وأصل هذا المعهد كما يروي الشيخ عبد الرحمن غرفة في الرواق الشمالي من جامع منّجك، كان يقيم فيها والده – رحمه الله– لمطالعة الكتب وإلقاء الدروس العامة والخاصة، وإفتاء الناس في أمور دينهم، وحلّ الخصومات بينهم، ولما كثر طالبوا العلم حول الشيخ والمنقطعون إليه توسعت الغرفة، وبُنيت غرفٌ[٣].

وهكذا سار الشيخ عبد الرحمن بعناية والده ورعايته وتعليمه وتدريبه، حتى تخرج من المعهد عام ١٣٦٧هـ، وله من العمر عشرون عامًا، وصار مدرسًا فيه لمواد مختلفة، شأنه شأن مجموعة من طلبة الشيخ البارزين، واستمر لمدة ثلاث

---

(١) معارج التفكر، للميداني:٤/٢٨٧، وينظر:٦/٥٩٠، ٨/٣٤.

(٢) ينظر: الوالد الداعية: ٦١–٩٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق:٥٨–١٠٨.

سنوات حتى عام١٣٦٩هـ، انتسب بعدها إلى كلية الشريعة في الأزهر الشريف والتحق بالسنة الثالثة حيث عودل له، وتخرج فيها ثم حصل على شهادة العالمية العلميّة – الدكتوراه– مع إجازة في التدريس.

عاد إلى دمشق وعمل مدرسًا في الثانوية العامة بالإضافة إلى التدريس في معهد التوجيه.

وفي عام ١٣٧٩هـ أُسندت إليه إدارة التعليم الشرعي في وزارة الأوقاف وعمره لم يتجاوز الثانية والثلاثين، ثم أصبح عضوًا من أعضاء هيئة البحوث في وزارة التربية والتعليم في سورية، وبقي فيها إلى أن انتقل إلى العمل في المملكة العربية السعودية– بعد أحداث جرت في سورية وحرب ١٣٨٧هـ – في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لمدة سنتين، ثم تحول إلى كلية الشريعة في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ثم استقر مدرسًا في كلية الدعوة وأصول الدين، واستمر هناك قرابة ثلاثين عامًا تقاعد بعدها وقد بلغ السبعين من عمره، وتفرغ حينها لكتابة التفسير وتدوينه(١).

وبعد تقاعده اختير – رحمه الله – عضوًا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ثم انتقل للعيش في بلد المنشأ – سورية– حتى وافته المنية هناك.

شيوخه:

تأثر الشيخ عبد الرحمن –رحمه الله– بشيخه الأول وهو والده حسن بن مرزوق بن حبنّكة – رحمهما الله– ثم لازم الشيخ حسن بن مرزوق العلماء

(١) ينظر: زوجي كما عرفته: ١٩.

والمشايخ ومنهم:

الشيخ طالب هيكل، أخذ عنه النحو والصرف والفقه الشافعي.

الشيخ عبد القادر الأشهب وأخذ عنه الميداني جمع من الفنون، وقد توسع في الأخذ منه.

الشيخ محمود العطار، وهو فقيه حنفي وعالم، أكثر الأخذ عنه.

وغيرهم ذكرهم الشيخ عبد الرحمن في كتابه عن سيرة والده(١).

تلاميذه:

بما أن الميداني –رحمه الله– تصدر لنفع طلاب العلم وفق النظام الأكاديمي في المدارس والمعاهد والجامعات، فقد تخرج على يديه جماعات غفيرة من التلاميذ، ولم أقف على من تتلمذ على يد الشيخ على الطريقة التقليدية من الملازمة.

آثار الميداني:

أمدَّ الميداني –رحمه الله– المكتبة الإسلامية والعربية بمؤلفات زاخرة في شتى المعارف والفنون؛ في الدين واللغة والأخلاق والآداب وغيرها، ومن مؤلفاته:

١. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار).

٢. الأخلاق الإسلامية وأسسها.

٣. الأمة الربانية الواحدة.

٤. أمثال القرآن وصورٌ من أدبه الرفيع.

---

(١) ينظر: الوالد الداعية: ٥١-٥٥.

٥. بصائر للمسلم المعاصر.
٦. البلاغة العربية أسسها وعلومها وصور من تطبيقاتها.
٧. التحريف المعاصر (ردّ على كتاب د. محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة).
٨. تدبر سورة الفرقان.
٩. الحضارة الإسلامية وأسسها ووسائلها.
١٠. ديوان آمنت بالله.
١١. ديوان ترنيمات إسلامية.
١٢. صراع مع الملاحدة حتى العَظم.
١٣. ضوابط المعرفة وأصولُ الاستدلال والمناظرة.
١٤. ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ.
١٥. العقيدة الإسلامية وأسسها.
١٦. غزوٌ في الصميم.
١٧. فقه الدعوة إلى الله، وفقه النصح والإرشاد.
١٨. قبسات.
١٩. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ.
٢٠. كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة.
٢١. الكيد الأحمرُ (دراسة واعية للشيوعية).
٢٢. مبادئ في الأدب والدعوة.
٢٣. معارج التفكر ودقائق التدبر.

٢٤. مكايد يهودية عبر التاريخ.

٢٥. نوح عليه السلام وقومه في القرآن.

٢٦. الوالد الداعية المربي الشيخ حسن حبنّكة الميداني (قصة عالم مجاهد حكيم شجاع).

وفاته:

توفي الشيخ عبد الرحمن –رحمه الله– في صيف ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، وذلك إثر إصابته بسرطان القولون وامتداده إلى الكبد، فرحمه الله رحمة واسعة[١].

(١) ينظر: منهج عبد الرحمن الميداني نادي حسن:٣٢.

المبحث الثاني: المناسبات القرآنية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المناسبات لغة:

تعريف المناسبات لغة:

المناسبات في اللغة: المناسبات جمع، مفردها: مناسبة، ومأخوذة من الفعل (نَسَبَ).

قال ابن فارس: "والنون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتِّصال شيء بشيء، منه النسب، سمي لاتِّصاله وللاتصال به، تقول: نسبتُ أنْسُبُ، وهو نَسِيبُ فلان، منه النسيبُ في الشِّعر إلى المرأة؛ كأنه ذِكْرٌ يتَّصل بها، ولا يكون إلا في النساء، تقول منه: نَسَبْتُ أنْسِبُ. والنسيبُ: الطريق المستقيم، لاتصال بعضِه من بعض."(١) وقال ابن منظور: "وانتسب فلان، أي: اعتزى إلى أبيه أو إلى جده ورفع إليهما، ونقول: ليس بينهما مناسبة: أي مشاكلة، واسم الفاعل منه: ناسِب على المبالغة"(٢).

وعليه فالتناسب في اللغة يدور حول: التقارب والتناسق والترابط والمشاكلة والاتصال.

---

(١) مقاييس اللغة: مادة: نسب، ٥/٤٢٣-٤٢٤.

(٢) لسان العرب: مادة: ن س ب، ١/٧٥٥. وينظر: القاموس المحيط: مادة: نسب:٥٤٢.

المطلب الثاني: تعريف المناسبة اصطلاحاً:

عرَّفها ابن العربي فقال هي: "ارتباط آي القرآن الكريم بعضها ببعض؛ حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني"(١). وعرَّفها السيوطي بأنها: "المعنى الرابط بين الآيات والسور، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسَبَّب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه"(٢). وعرفها البقاعي بكونها علم مستقل بذاته، فقال:" هو علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال"(٣).

ونلحظ أن تعريف ابن العربي لم يذكر الوجه والمعنى الرابط بخلاف تعريف السيوطي، إلا أن السيوطي أدخل في التعريف ما ليس منه كأنواع العلاقات وأوجه المناسبات والعام والخاص والعقلي والحسي وغير ذلك.

أما البقاعي: فإنه يعرفها تعريفًا لعلم قائم بنفسه.

وعليه فالمختار من **تعريف التناسب اصطلاحًا:** هو: تلمس أوجه الترابط والانسجام في نظم القرآن.

---

(١) سراج المريدين في سبيل الدين:٥/١٤٤٠.

(٢) الإتقان في علوم القرآن:٢/٢٨٩.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:١/٦.

المطلب الثالث: العلاقة بين أسباب النزول وتناسب الآيات:

إن علم المناسبة يرتبط ارتباطًا جليًّا بأسباب النزول؛ حيث يتعاضدان في تجلية معنى الآيات، ودلالاتها، "قال ابن تيمية في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾الزمر: ٥٣ ، "فتلك في حق التائبين؛ ولهذا عم وأطلق، وسياق الآية يُبيّن ذلك مع سبب نزولها"(١).

وجاء عن أبي حيان في تفسيره لقوله تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾البقرة: ٢٨٥ ؛ الآية، بأن سبب نزولها لما نزل ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ البقرة: ٢٨٤ أشفقوا منها ثم أعلنوا السمع والطاعة على ما ألم بهم من كرب فجمع لهم بين رفع المشقة والثناء وبذلك ظهر بسبب النزول مناسبتها لما قبلها. (٢).

(١) مجموع الفتاوى:١٠/٥١. ومن الأمثلة ينظر:١٤/٤٥٨، ١٨/١٨٥، ٢٢/٤٦١.

(٢) ينظر : تفسير البحر المحيط:٢/٧٥٥.

المبحث الثالث: ترتيب الآيات والسور في القرآن:

أما ترتيب الآيات في كل سورة مستقلة، فإن إجماع العلماء على أن ترتيبها توقيفي من الله سبحانه[1].

وأما ترتيب السور: فقد اختلف العلماء في ترتيب السور على ثلاثة أقوال:

القول الأول: إنه توقيفي، تولاه النبي ﷺ كما أخبر به جبريل عليه السلام عن أمر ربه، فكان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتب السور، كما كان مرتب الآيات على هذا الترتيب الذي لدينا اليوم، وهو ترتيب مصحف عثمان رضي الله عنه الذي لم يتنازع أحد من الصحابة فيه مما يدل على عدم المخالفة والإجماع.

القول الثاني: إن ترتيب السور باجتهاد من الصحابة، بدليل اختلاف مصاحفهم في الترتيب.

القول الثالث: إن بعض السور ترتيبه توقيفي، وبعضه باجتهاد من الصحابة، حيث ورد ما يدل على ترتيب بعض السور في عهد النبوة، فقد ورد ما يدل على ترتيب السبع الطوال والحواميم والمفصل في حياته عليه الصلاة والسلام.

مناقشة الأقوال:

أدلة القول الأول:

١. أنه قد ثبت في أحاديث كثيرة ذكر سور القرآن المتوالية حسب ترتيب المصحف، ومن الأحاديث المرتبة للسور ما جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة، شفيعًا

(١) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن للبقاعي:٧٣.

لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما...)[1].

٢. عن عبد الله بن أوس عن جده قال: قدمنا وفد ثقيف على النبي ﷺ...، وفيه: فقلنا: يا رسول الله احتبست عنا الليلة عن الوقت الذي كنت تأتينا فيه، فقال رسول الله ﷺ :(إنه طرأ عليَّ حِزبي من القرآن، فأحببت أن لا أخرج حتى أقرأه، أو قال: أقضية) ، قال: فلما أصبحنا سألنا أصحاب رسول الله ﷺ عن أحزاب القرآن كيف تحزبونه، فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل[2].

٣. ما جاء عن واثلة بن الأسقع، أن النبي ﷺ قال:(أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل) [3]. وفي هذا الأثر والأثر السابق (فلما أصبحنا سألنا أصحاب رسول الله ﷺ) ما يدل على أن هذا التقسيم ثابت للصحابة على ما أطلعهم عليه النبي ﷺ.

٤. جاء عن ابن مسعود ﷺ، قال: "بني إسرائيل والكهف ومريم وطه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل قراءة القرآن سورة البقر، ح(٨٠٤):١٩٧/٢.

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ح(١١٠٨) وأبو داود في سننه ح(١٣٩٣) وابن ماجه في سننه ح(١٣٤٥).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده:١٨٨/٢٨، وقال المحقق: إسناده حسن.

والأنبياء هن من العتاق الأول، وهن من تلادي"[1].

٥. ومن الأدلة: جعل الحواميم والطواسين ولاء بخلاف المسبحات، المبدوءات بـ(ألم) حيث لم تجعل متتالية.

٦. عدم ترتيب القرآن على النزول، بحيث يقدم المكي على المدني، وهو ثابت قطعيًّا.

٧. أن ما ثبت قطعًا في ترتيب السور -كما جاء في السنة الصحيحة- يدل على أن مالم يذكر ترتيبه من السور، مرتب كذلك، إذ القرآن وحدة متكاملة.

أما ما استدل به من ذهب إلى أنَّ الترتيب باجتهاد الصحابة:

١. عن يزيدَ الفارسي، قال: سمعتُ ابنَ عباس -رضي الله عنهما- قال: قلتُ لعثمان ابن عفان: ما حَمَلَكم أن عَمَدتُم إلى براءة وهي من المئين وإلى الأنفال وهي من المثاني، فجعلتُموهما في السَّبع الطُّوَل، ولم تكتبوا بينهما سطراً: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ؟ قال عثمان: كان النبيّ - ﷺ- مما يُنزَلُ عليه الآياتُ، فيدعو بعضَ مَن كان يكتبُ له ويقول: له "ضَعْ هذه الآيةَ في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا"، وتنزلُ عليه الآيةُ والآيتان فيقولُ مِثلَ ذلك، فكانت الأنفالُ من أول ما نزل عليه بالمدينة، وكانت براءَةُ من آخر ما نزل من القرآن، وكانت قصتُها شبيهةً بقصتها، فظننتُ أنها منها، فمِن هناك وضعتُها في السَّبع الطُّوَل، ولم أكتب بينهما سطراً: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ح(٤٧٣٩).

ٱلرَّحِيمِ ﴾. حسنه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي[١].

وهذا الأثر فيه إشكالان:

أولًا: جهة الإسناد: فقد ضعفه عدد من المتأخرين كالشيخ محمد رشيد رضا[٢]، وأحمد شاكر في تعليقه على مسند الإمام أحمد فقال: "إنه لا أصل له"[٣]، وشعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند حيث قال: إسناده ضعيف ومتنه منكر، يزيد الفارسي هذا لم يرو عنه هذا الحديث غير عوف- وهو ابن أبي جميلة- فهو في عداد المجهولين، وهو غير يزيد ابن هرمز الثقة الذي خرج له مسلم، فلا ينظر لتحسين الترمذي وتصحيح الحاكم وموافقة الذهبي[٤].

وعلى فرض صحة الإسناد، فإن فيه دلالة على أنه لم يبق لهم من معرفة التوقيف في ترتيب السور سوى الأنفال والتوبة، وليس في هذا حجة لمن ذهب إلى القول بالاجتهاد بسبب هذا الأثر.

ثانياً: جهة المتن: إن سورة الأنفال ليست أول ما نزل في المدينة، فهي نزلت بعد غزوة بدر، فكيف يخفى على عثمان ﷺ وهو من علماء القرآن نزول غيرها قبلها؟!

فإن قيل: لعله يريد: من أول، فتكون الأولية نسبية.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ح(٣٩٩) و (٤٩٩)، الترمذي في سننه ح(٣٣٤٠)، والنسائي في "الكبرى" ح(٧٩٥٣) وابن حبان في صحيحه ح (٤٣).

(٢) نقله عنه شعيب الأرناؤوط في تحقيق مسند الإمام أحمد: ٥٧/١.

(٣) مسند الإمام أحمد تحقيق أحمد شاكر: ٣٢٩/١، ح(٣٩٩).

(٤) ينظر : مسند الإمام أحمد تحقيق شعيب الأرناؤوط: ٥٧/١، ح(٣٩٩).

فيجاب: أنه لا يظهر من الخبر غير الأولية المطلقة، ثم إنها لا تصلح لأن تكون من النسبية الأولية؛ لأنه نزل قبلها عدد من السور والآيات، وقد مضى على رسول الله ﷺ سنة وأكثر قبل غزوة بدر، فهل يُتصور عدم نزول قرآن في هذه الفترة، حتى تأتي غزوة بدر وينزل عليه من سورة الأنفال ما نزل؟![1].

٢. ومما استدل به على أن الترتيب اجتهادي وليس توقيفي، ما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه قَالَ: (أتيت النبي ﷺ في ليلة من رمضان فقام يصلي فلما كبر قال: الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة، ثم قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران، لا يمر بآية تخويف إلا وقف عندها)[2].

ويجاب عنه: أنه دلَّ بعمله هذا على جواز مخالفة الترتيب في أثناء القراءة في الصلاة وغيرها، وعلى هذا جرى عمل المسلمين، فتراهم في الكتاتيب يعلمون الأطفال من آخر القرآن[3]. وقد يجاب عليه: بأن هذا الترتيب كان قبل العرضة الأخيرة لمدارسة جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، والتي أعيد فيها ترتيب القرآن، ونسخت بعض الأحرف.

٣. وكذا استدلوا على الاجتهاد: أن مصاحف الصحابة تخالف مصحف عثمان رضي الله عنه في ترتيب السور وبخاصة مصحف ابن مسعود رضي الله عنه.

ويرد عليه بأن اجتهاد بعض الصحابة في ترتيب مصاحفهم الخاصة كان اختياراً

---

(١) ينظر: المحرر في علوم القرآن، مساعد الطيار:٢٠٩-٢١٠.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ٣٩٨/٥، واللفظ له، وأخرجه أبو داود ح(٨٧٤) والنسائي ح(١١٤٥)، وأصله في صحيحه مسلم بأطول منه: ٤٥٠/١، ح(٧٧٢).

(٣) ينظر: مباحث في علوم القرآن لمناع:١٤٢.

منهم قبل أن يجمع القرآن جمعًا مرتبًا، فلما جمع في عهد عثمان ﷺ بترتيب الآيات والسور على حرف واحد، واجتمعت الأمة على ذلك تركوا مصاحفهم، ولو كان الترتيب اجتهاديًّا لتمسكوا بها[1].

الرأي الثالث: أما ما استدل به من ذهب إلى أنَّ بعض السور ترتيبها توقيفي، وبعضها ترتيبه اجتهادي؛ فإن أدلته ترتكز على ذكر النصوص الدالة على ما هو توقيفي، أما القسم الاجتهادي فإنه لا يستند إلى دليل يدل على أن ترتيبه اجتهادي؛ إذ إن ثبوت التوقيفي بأدلته لا يعني أن ما سواه اجتهادي مع أنه قليل[2].

وبعد عرض الأقوال ومناقشتها، يترجح أن ترتيب السور توقيفي كترتيب الآيات، والذي يظهر من أمر القرآن أن الأصل فيه النقل في كل أموره، في ترتيب سوره وآياته.

ترتيب سور القرآن:

القول بترتيب القرآن حسب النزول متقدم وإن لم يكن له صدى وإنما كان من قبيل المحاجة ، لا كما جاء فيمن بعدهم من المستشرقين والمتأثرين بهم، فقد نقل أبو بكر البلاقلاني –رحمه الله– (ت٤٠٣هـ) في رده على الرافضة بما تدعيه وتورده من شبهات حول ترتيب القرآن الكريم، فقال: "فمن التغيير الذي ادعوه، ولا غرض لعاقل فيه، قولهم: إن أبا بكر وعمر وعثمان والجماعة، فصلوا

(١) المصدر السابق:١٤٣.

(٢) ينظر: المصدر السابق:١٤٣.

بين الكلام المتصل المتناسب وعضبوه[1] حتى صار مُنْبَتِراً غير مفيد، وقدموا المدني على المكي في الكتابة والرسم، والله سبحانه –بزعمهم– قدم المكي على المدني في التأليف والترتيب"[2].

وممن قال بالدعوة إلى إعادة ترتيب سور القرآن وفق أسباب النزول بعض المستشرقين، وذلك في منتصف القرن التاسع عشر، ومنهم: المستشرق (غريم) الذي اعتمد على الروايات والأسانيد الإسلامية في ترتيب سور القرآن، ويؤخذ عليه عدم تمحيصه صحيح الروايات من سقيمها، وتخليه عن المنهج الذي اشترطه على نفسه من احترام الروايات الصحيحة وتقديمها.

المستشرق (نولدكه) وكان مقتنعًا بضرورة ترتيب القرآن زمنيًّا على غير الطريقة الإسلامية، ورسم منهجًا تأثر به كثيرون.

ظهرت محاولات لترتيب سور القرآن ودراسة مراحله التاريخية، منها محاولة (وليم موير) حيث قسم المراحل القرآنية إلى ست، خمس في مكة وسادتها في المدينة، وقد اعتمد على سيرة الرسول ﷺ وأسانيدها بعد دراسة نقدية حشد لها الكثير من معلوماته التاريخية؛ ولكنه وقع في أخطاء عديدة وأخذ بروايات واهية. ومنها محاولة المستشرق (ويل) التي بدأها سنة (١٨٤٤م) ولم تتخذ صورتها النهائية إلا سنة (١٨٧٢م)، ويؤخذ عليه أنه لا يقيم وزناً للروايات والأسانيد؛ لذا كانت في نظر (بلاشير) الطريقة الوحيدة المثمرة حقاً، وفي نظر (نولدكه) نقطة الانطلاق في أجْرأ محاولة لترتيب القرآن.

---

(١) أي: قطعوه. ينظر: لسان العرب: مادة (عضب):١/٦٠٩.

(٢) الانتصار للقرآن:١/٧٠.

وكان (ويل) قد قسم المراحل القرآنية إلى أربع: ثلاث في مكة ورابعة في المدينة، فتابعه على ذلك (نولدكه) وتأثر بهذه الطريقة كل من (بل) و (رودويل) و (بلاشير) ، وتظل ترجمة (بلاشير) للقرآن أدق الترجمات، لا يغض من قيمتها إلا الترتيب الزمني للسور القرآنية بطريقة يعترف (بلاشير) نفسه بأنها لا تخلو من تعسف في إطلاق الأحكام(١)؛ لكنه أعادها إلى ترتيب المصحف العثماني، بعد ما تبين له عدم جدواها(٢).

وتتابع تأثير المستشرقين إلى أن وصل إلى بعض البلدان، ومنهم: في الهند (ميرزا أبو الفضل)، أخرج نص القرآن في ترجمة إنجليزية على الترتيب الزمني، سنة (١٩١١م)(٣). وفي مصر محاولة الدكتور (زكي مبارك) حيث قال في مقال له: "وصدور هذا الكتاب –تفصيل آيات القرآن الكريم(٤)– أنقذني من ورطة كنت معرضًا لعواقبها المضجرة، فقد فكرت منذ أعوام للدعوة إلى ترتيب المصحف ترتيبًا جديدًا يساير موضوعات القرآن، وكنت أخشى الاصطدام بالرأي العام الذي لا يقبل تغييرًا للترتيب الذي جرت عليه المصاحف منذ عهد عثمان، وكانت حجتي أن المصحف رُتّب بعد وفاة الرسول ﷺ فليس من المحتوم أن يبقى على ترتيب واحد طول الزمان"(٥).

وبعد هذا العرض لدعوة المستشرقين، نقف أمام ثلاث محاولات عملية

---

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح:١٧٥-١٧٧.

(٢) ينظر: تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول:٣٠.

(٣) ينظر: مذاهب التفسير الإسلامي، جولد زيهر:٣٤١.

(٤) تأليف جول لابوم، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، مقدمة الكتاب: ص:٧.

(٥) مجلة الراوية الأسبوعية، ٦ نوفمبر سنة ١٩٣٥م.

جادة في تفسير القرآن وترتيبه حسب النزول:

الأولى: التفسير الحديث، لمحمد عزة بن عبد الهادي بن درويش بن إبراهيم بن حسن دروزة، طبع في اثني عشر جزءًا في سنة (١٩٦٣م) فتقدمت طباعته، وليس هناك ما يرجح تأثر دروزة بحويش، فطريقة كل منهما تختلف عن الآخر، فصاحب (بيان المعاني) عبد القادر حويش يصحح الروايات الضعيفة كالواردة في حق داود عليه السلام وحبه لزوجة أوريا، وأن إبليس حارب الجن، وقصة حواء والحية، وأن أم بلقيس من الجن... إلى غير ذلك، كما أنه يرد الروايات الصحيحة الثابتة كما أنكر سبب نزول سورة (المسد) وقد أخرجها البخاري ومسلم(١).

علمًا أن كل هذا يتجافى مع ما اتبعه محمد دروزة في تفسيره، من تأثره بآراء مدرسة الإصلاح في مصر، ولا يلتقيان إلا في معرض ردهما للروايات الصحيحة في البخاري ومسلم في بعض الأحيان(٢).

الثانية: تفسير بيان المعاني، لعبد القادر ملا حويش آل غازي، المفسر القاضي (١٨٨٠-١٩٧٨م) بدير الزور، ثم خطيبًا في جامع السراي، وكان صوفيًّا نقشبندي الطريقة، ويذكر عبد القادر حويش في مقدمة تفسيره، أن فكرة وضع مثل هذا التفسير قد وردته في أول شهر رجب سنة (١٣٥٥هـ) الموافق ١٧ أيلول سنة (١٩٣٦م)، وطبع سنة (١٩٦٤م) في مطبعة الترقي بدمشق(٣).

---

(١) سيأتي تخريجه ص٢١.

(٢) ينظر: محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، فريد مصطفى سليمان:١٢٧-١٣٢.

(٣) ينظر: تتمة الأعلام:٢/٣٠١.

الثالثة: معارج التفكر ودقائق التدبر، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، وهو موضع الدراسة، وسأكتفي بالعلل المسوغة التي ذكرها الميداني لانتهاجه هذا المسلك في تفسيره، فقد بين الميداني —رحمه الله– الباعث من سيره في تفسيره وفق منهجه حسب ترتيب النزول فقال:"... الذي ترجح لدي فيه أن أُتابع تدبر السور على ما ذكر العلماء بعلوم القرآن الكريم، من ترتيب نزولها، لا على وفق ترتيبها **الاجتهادي في المصاحف**، التزاماً بترتيب المصحف الذي وزعت نسخ منه على معظم أمصار المسلمين في عهد عثمان ﷺ"(١).

فالميداني يرى أن ترتيب سور القرآن الكريم ليس توقيفيًّا وإنما هو اجتهاد من الصحابة بما أمرهم به خليفة المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وهذا يهون إعادة ترتيبه تفسيريًّا عند الميداني، وقد سبق ذكر الأقوال في ترتيب القرآن توقيفي أم اجتهاد؟، وبيان الراجح منها وهو التوقيف.

وفي قوله "على ما ذكر العلماء بعلوم القرآن الكريم"، ونقل الميداني عن الزركشي في البرهان في علوم القرآن، فقال:" ترتيب نزول السور في العهد المكي، وفي العهد المدني، وقال بعد ذكر ترتيب ما نزل من سور القرآن في مكة: وعليه استقرت الرواية من الثقات، وهي خمس وثمانون سورة، وذكر–الزركشي– أنهم اختلفوا في آخر ما نزل من السور بمكة: فقال ابن عباس: (العنكبوت)، وقال الضحاك وعطاء: (المؤمنون)، وقال مجاهد:(ويل للمطففين)، ثم ذكر– الزركشي–نزول السورة في العهد المدني، وقال: ومنهم من يقدم المائدة على

(١) معارج التفكر:١/٦.

التوبة. وجعل ترتيبه(النصر) بعد (الحشر) وقبل(النور)"[1].

وبعد نقل النصين يتضح أن ترتيب القرآن حسب النزول أمر ظني، والخلاف في ترتيبه وفق النزول قطعي.

ثم الميداني –رحمه الله– نجده يلتزم في ترتيبه ما اعتمده الشيخ محمد علي خلف الحسيني شيخ عموم المقارئ المصرية في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ هجرية في إحدى الطبعات المصرية للمصحف الشريف[2].

وما يلفت الانتباه أن الميداني في سرده لترتيب السور قدم: العلق ثم القلم ثم المزمل ثم المدثر...، بينما في تفسيره خالف ذلك فجعله: العلق ثم المدثر ثم المزمل ثم القلم.

وقد جاء ترتيب الميداني –رحمه الله– موافقًا للأثر الذي رواه أبو بكر محمد بن الحارث بن أبيض حدثنا أبو العباس عبيد الله بن محمد بن أعين البغدادي، ثنا حسان بن إبراهيم الكرماني، ثنا أمية الأزدي، عن جابر بن زيد قال: "أول ما أنزل الله من القرآن بمكة:(اقرأ باسم ربك)...".ذكرها محمد بن الحارث في جزئه كما نقله السيوطي عنه في الإتقان في علوم القرآن[3]، ، وساق الرواية أبو عمرو الداني في البيان[4]، بالإسناد المذكور سوى شيخ ابن الحارث(عبيد الله بن محمد)، وهو مرسل؛ لأن جابر بن زيد تابعي ثقة كما في التقريب[5]، وأخرجه

---

(١) قواعد التدبر الأمثل:١٥٣-١٥٤.

(٢) ينظر: معارج التفكر:١/١٥١. وينظر: قواعد التدبر الأمثل:١٧٨.

(٣) ١/٥٠.

(٤) ينظر: تقريب التهذيب:١٣٥.

(٥) تقريب التهذيب:١٩١، رقم:٨٧٣.

ابن الضريس أيضاً في فضائل القرآن[١]، بإسناده عن ابن عباس- رضي الله عنهما-؛ لكنه ضعيف جداً، فيه عمر بن هارون بن يزيد الثقفي، وهو متروك كما قاله ابن حجر في التقريب[٢].[٣]

ويقول الدكتور طه فارس[٤]:"من خلال استعراض روايات ترتيب النزول التي وقفت عليها، ودراستها سنداً ومتناً، وتتبع نواقضها مما صح في الروايات، يمكننا القول بأنها لا تصلح للاحتجاج في مثل هذا الأمر؛ لشدة ضعف أسانيدها، ومخالفة متونها لما صح في بيان المكي والمدني، إضافة لما اعترى متونها من خلل واضطراب في ترتيب السور"[٥].

وعند مقابلة ما اعتمده الميداني من ترتيب للعهد المكي وما جاء في (التفسير الحديث) لدروزة، أجد المطابقة بينهما فيما اعتمداه[٦]، إلا أن دروزة مع تقديمة سورة (العلق) في الترتيب إلا أنه في أثناء التفسير قدم سورة (الفاتحة)[٧]، والميداني

---

(١) ينظر: فضائل القرآن لابن الضريس:٧٣.

(٢) ينظر: تقريب التهذيب:٧٢٨، رقم:٥٠١٤.

(٣) وسوف تأتي دراسة كاملة لأشهر الآثار التي تمسك بها من قال بالترتيب خلاف المصحف العثماني والرد عليها.

(٤) طه محمد فارس، سوري الجنسية، ولد سنة (١٩٧٠م) ، دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من جامعة أم درمان، عام ٢٠٠٧م، محاضر في كلية الإمام مالك بدبي، وفي كلية الشريعة في الشارقة، وهو الآن أستاذ مشارك في الجامعة الإسلامية بمنيسوتا، له عدد من الكتب بين تأليف وتحقيق .

(٥) تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول:١٥٨.

(٦) ينظر جدول ترتيب السور المكية في التفسير الحديث:١/١٥.

(٧) ينظر: التفسير الحديث:١/٢٨٣.

أخر سورة (الرعد) وجعلها كلها مكية على الأرجح عنده[1].

ويقول الميداني –رحمه الله–:"واكتشفت في هذا التدبر أمورًا جليلة تتعلق بحركة البناء المعرفي لأمور الدين، وحركة المعالجات التربوية الربانية الشاملة للرسول ﷺ"[2].

ويجاب عن هذا فيقال: وإن ظهرت لبعض هذه الأمور وقفات اجتهادية، فكذلك الترتيب الحالي، يحقق الأسلوب الأمثل، والفهم الأفضل، وانسجام القارئ وتدبره وتجلية حكمه التنزيلية خير شاهد منذ عصر النبي ﷺ إلى وقتنا الحاضر، وقد استلهم العلماء بعض المؤلفات من هذا التسلسل والانسياق ما تحار فيه الألباب، ومن ذلك كتاب (البرهان في تناسب سور القرآن) لابن الزبير الغرناطي، و (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) للبقاعي، و(أسرار ترتيب القرآن) للسيوطي وغيرها مما بث في كتب التفسير.

قال الباقلاني:" ثم يقالُ لهم: ما المانع مِن أن يكونَ اللهُ سبحانَه قد علِمَ أن مصلحَة عبادِه متعلقةٌ بتقديمِ بعضِ المدني على المكي أو جمعَه في الرَّسمِ والتأليفِ والتَلاوة، وتقديمِ التأليفِ النّاسخِ كلهِ قبلَ المنسوخِ أو بعضِه، وأن نظمَه وتأليفَه على غير هذا الوجه، وأخذِهم بتلاوته كذلكَ مفسدةٌ لهم ولطفٌ في عصيانِهم وخلافِهم وعدولِهم عن الحقِّ والعملِ به والتصديقِ لموردِه، فإن حاوَلوا ذكرَ حجةٍ في هذا الباب، لم يجِدوها، وإن مرُّوا على إجازةِ ما سألناهُم عنهُ أبطلوا دليلَهم

(١) ينظر: قواعد التدبر الأمثل:١٨٣.

(٢) معارج التفكر:١/٦.

بُطلاناً ظاهراً"[1].

ترتيب الآي ونزولها:

إن من الأمور المجمع عليها أن ترتيب الآيات ليس بحسب نزولها، وإنما يرجع إلى المناسبات والروابط البلاغية، حيث تنزل الآية بعد الآية بسنين وتكون في الترتيب قبلها، وليس أدل على هذا من تقديم الناسخ على المنسوخ، مع ثبوت أن الناسخ لا بد أن يكون متأخراً عن المنسوخ في النزول –فيمن يرى النسخ في هذه الآيات–كقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾البقرة: ٢٣٤، فهي ناسخة لقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾البقرة: ٢٤٠.

وجاء عن محمد بن سيرين قال: قلت: لعكرمة، ألفوه كما أنزل الأول فالأول؟ قال: لو اجتمعت الإنس والجن، على أن يؤلفوه هذا التأليف ما استطاعوا. قال محمد وأراه صادقاً[2].

ولا يمكن الفصل بين المكي والمدني؛ إذ المدني يعدُّ امتداداً للمكي، يقول الشاطبي: "المدني من السور ينبغي أن يكون منزلاً في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع بعض، والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنزيل

(١) الانتصار للقرآن:٢/١١١.

(٢) فضائل القرآن لابن الضريس:٢٤. جاء في طرف الأثر: لما كان بعد بيعة أبي بكر قد علي بن أبي طالب في بيته. والأثر مرسل فعكرمة لم يسمع من أبي بكر، كما قال العلائي في جامع التحصيل: ٢٣٩.

وإلا لم يصح"[1].

وإن كان الميداني –رحمه الله– **سلك طريقين في تناوله للتفسير:**

الطريق الأول: جاء على القرآن كله، وأعاد ترتيب تفسيره، وهو (معارج التفكر).

الطريق الثاني: أن يجمع آيات متعلقة بموضوع واحد، ثم يرتبها وفق النزول، كما في (قواعد التدبر الأمثل)، وهو ما يطلق عليه (التفسير الموضوعي).

فيقال: الطريقة الثانية قد يكون فيها شيء مما قاله الميداني واضحًا ويؤتي أكله إذا حسن تناوله، أما إخراج تفسير كامل يغير فيه ترتيب سورة القرآن الكريم، التي يرجح توقيف ترتيبه، وأجمعت الأمة على قبوله إن كان اجتهادًا كذلك، لمن حضروا التنزيل وشاهدوا التأويل، واصطفاهم الله ﷻ لصحبة رسوله ﷺ لنشر هذا الدين.

والميداني –رحمه الله– يوضح ما به يعرف ترتيب نزول القرآن في نقاط ثلاث:

الأولى: بالنظر في ترتيب نزول السور المبين عند العلماء بالتنزيل.

الثانية: يعرف في السورة الواحدة بترتيب الآيات فيها، ما لم يرد نص بخلاف ذلك، كأن يثبت تقدم نزول الآية، أو عدد من الآيات، أو يثبت تأخر نزولها، فعندئذ يُتَّبع ما ثبت في النص المبين لتاريخ النزول.

الثالثة: يُعرف ترتيب النزول بالتبصَّر العقلي الهادي إلى قواعد سنة الله التي

(١) ينظر: الموافقات في أصول الأحكام:٣/٢٧٤.

جرى وفقها إنزال معظم النصوص القرآنية وأحكام التشريع[1].

ويجاب عن النقطة الأولى بما سبق من أن هذا الترتيب ظني والخلاف بين العلماء بالتنزيل قائم، وليس قطعي الثبوت.

وفي النقطة الثانية إضافة لما أجيب عليه في النقطة الأولى، بأن ترتيب الآيات في السور توقيفي لا خلاف فيه بين العلماء، كما سبق ذكره.

وأما ما يعرف بالترتيب بالتبصر العقلي، فهذا –أيضا– ظني يخضع للاجتهاد الخاضع لملكة المفسر ونظره، وما يفتحه الله عليه، فالخلاف بين المجتهدين قائم عرضة للتقديم والتأخير، والفرق ما بين النقطة الأولى وما ذكر هنا أن في الأولى تسليم للمجتهد السابق وهم العلماء في علوم القرآن، من دون النظر في الطريق المرجح أو الأداة أو الرواية سواء كانت صحيحة أم سقيمة، وغير ذلك.

ومن الأمثلة التي تناولها الميداني –رحمه الله– مجتهداً في ترتيبها، وأنه لم يوفق للصواب فيها باجتهاده، ورده لما صح من الرواية في النزول، ومحاولته للتوفيق بين الرواية الصحيحة الصريحة في نزول سورة (المسد) وما بلغه اجتهاده، حيث قال: "فسبب النزول الذي سبق بيانه قد رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس –رضي الله عنهما–، قال: لما نزلت: (وأنذر عشيرتك الأقربين، ورهطك منهم المخلصين) خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه. قالوا: من هذا، فاجتمعوا إليه فقال: (أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلًا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي، قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين

(١) ينظر: قواعد التدبر الأمثل:١٥٣.

يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك، ما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ وقد تب، هكذا قرأها الأعمش يومئذ)[1]، وفي رواية للبخاري (أي: بعد: حتى صعد الصفا): فجعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهبٍ وقريش فقال: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟)، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً)[2][3].

مع صراحة النصوص في سبب نزول سورة (المسد)، وفي تقديم آية سورة الشعراء على المسد، وصحتها وقد وردت في البخاري ومسلم-على ما سبق تخريجه هنا-، فإني لأعجب من رد الميداني -رحمه الله- لها، وجعل الحادثة غير ما هو صريح في سبب نزول سورة (المسد)، وأن هناك حادثة أُخرى في أواسط العهد المكي، بعد نزول سورة (الشعراء)، وهو غير العمل الذي قام به النبي ﷺ في أوائل العهد المكي، الذي قال له فيه أبو لهب: تباً لك[4].

ثم بدا لي أن أرجع إلى (التفسير الحديث) لدروزة في هذا الموضع، فتعجبت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، سورة تبت يدا أبي لهب وتب، بابٌ (١٩٧١):٦/١٧٩، ، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى(وأنذر عشيرتك الأقربين، (٢٠٨):١/١٣٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ذكر شرار الموتى، وفيه قال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم.(١٣٩٤):٢/١٠٤.

(٣) معارج التفكر:١/٣٧٨-٣٧٩.

(٤) ينظر: المصدر السابق:١/٣٧٩.

من إنكاره سبب نزول سورة (المسد) مع ذكره للروايات الواردة في البخاري ومسلم، واعتراضه عليها!![1].

ويجدر التنبيه إلى أن الرواية الصحيحة هي المعتمدة في معرفة أسباب النزول، قال الواحدي:" لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلب"[2].

وأختم بعد هذا العرض والمناقشة، أن السلف الصالح والمفسرين في تناولهم لتدبر الآيات والسور، والتزامهم بما ثبت ترتيبه، وأن من أوجه الإعجاز في القرآن قوة التناسب بين الآيات والسور، وكونه دلالة جلية على أنه تنزيل من حكيم حميد.

وعليه فإن هذا العمل الذي قام به الميداني –عفا الله عنه– ومن سبقه ظنًّا بأنهم أتوا بجديد غفل عنه السابقون!، قد يترتب عليه مخاطر وتنزلات باسم التدبر، فتخرج طبعة للقرآن وفق هذه الاجتهادات الظنية، دون تفسيره، وقد بدأت المناداة بهذا في السنين الأخيرة بإعادة ترتيب المصحف على غير ما هو عليه الآن مع تظاهرهم بالغيرة الشديدة على الإسلام[3].

ومن ذلك ما جاء في طلب قدمه يوسف راشد، برسالة رفعها إلى مدير

---

(١) ينظر: التفسير الحديث:١/٤٩٧.

(٢) أسباب النزول:٣٠.

(٣) ينظر: اتجاهات التفسير في مصر وبلاد الشام، فضل عباس رسالة دكتوراه:٥٦١، نقلًا عن محمد دروزة وتفسير القرآن الكريم:١٢٧.

الجامع الأزهر بعنوان (رتبوا القرآن الكريم كما أنزله الله) ، وأحيلت إلى الشيخ محمد عبد الله دراز (ت١٣٥١هـ) الذي قام بتفنيدها، والرد عليها بعنوان:(النقد الفني لمشروع ترتيب القرآن الكريم حسب نزوله) وجعله في مقالين : مختصر[١]، ومطول[٢]، وسأذكر من المقال ما هو رد لبعث البواعث لهذا الترتيب وإن طال النقل فلأهميته، وإجابته –محمد دراز– عليها، حيث يقول: "ويقول الكاتب في توجيه هذا الاقتراح إن ترتيب القرآن في وضعه الحالي يبلبل الأفكار ويضيع الفائدة المطلوبة من نزول القرآن؛ لأنه يخالف منهج التدرج التشريعي الذي روعي في النزول ويفسد نظام التسلسل الطبيعي للفكرة؛ لأن القارئ إذا تنقل من سورة مكية إلى سورة مدنية اصطدم صدمة عنيفة وانتقل بدون تمهيد إلى جو غريب عن الجو الذي كان فيه"[٣].

يقول محمد دراز ردًّا على هذه المقدمة : أول ما نلاحظه أن هذه المقدمات لو صحت كان يجب أن تؤدي إلى نتيجة غير التي يدعو إليها الكاتب، ذلك أنه كان يلزم بمقتضى استدلاله ألا يعاد النظر في ترتيب السور فحسب، بل أن تنثر نجوم القرآن كلها؛ وترتب ترتيباً جديداً على وفق نزولها: المكي منها قبل المدني، والمتقدم في كل منهما على المتأخر منه، حتى يصبح المصحف صورة تاريخية لمراحل نزول القرآن.

فهل عسى أن يكون الكاتب رأى في الدعوة إلى تعديل ترتيب الآي جرأة

---

(١) كنوز الفرقان:٤/٦٠-٦٤.

(٢) المصدر السابق:٤/١١٦-١٢٦.

(٣) المصدر السابق، مقال: النقد الفني لمشروع ترتيب القرآن الكريم حسب نزوله:٤/٦٠.

خطيرة تثير سخط العالم الإسلامي فأراد أن يمهد لها بخطوة أقل خطراً في نظره، فدعا مؤقتاً إلى إعادة تأليف السور على حسب تواريخها، دون مساس بنظم الآي في سورها... حتى إذا تم ما أراد أتبعه بالضربة الحاسمة التي تأتلف مع مقدماته؟... والذي يعنينا هو أن نسجل هاهنا السبب الذي بنى عليه تورعه عن تغيير نظام الآي فقد قال في بيان المانع من ذلك: إن الرسول ﷺ كان ينزل عليه بعض الآيات فيأمر بإلحاقها بسورة مضت، حتى إنه كان يلحق بعض آيات مدنية بسور مكية.

هذا تقرير صحيح، وهو يتضمن اعترافين اثنين، كل منهما يؤخذ حجة عليه:

الأولى: اعترافه بأن ترتيب الآي قد روعي فيه وضع آخر غير منهج التسلسل التاريخي في النزول. فإذا كان قد استساغ في السورة الواحدة أن تشتمل على أجزاء مكية وأجزاء مدنية، فكيف لا يستسيغ أن تكون سورتان متجاورتان إحداهما مكية والأخرى مدنية، مع أن الأمر في السور أهون؛ لأن كل سورة وحدة مستقلة...على أن تجاور المكي والمدني لا مفرَّ منه على اقتراحه هو أيضا؛ لأنه سيضطر آخر الأمر إلى الانتقال من سورة مكية إلى سورة مدنية فكيف يفسر الفجوة التي ستحدث بالانتقال من آخر السورة المكية إلى أول السور المدنية مع بعد ما بين اللونين في نظره؟

الثاني: في قوله: إن المانع من تغيير نظام الآيات هو أن تأليفها في سورها كان بتوقيف نبوي –بل تقول بتوقيف إلهي– ولم يكن بمجرد اجتهاد من الصحابة، وإنه لذلك يجب أن تراعى لهذا الترتيب قدسيته، فلا يلحقه تغيير

ولا تبديل. ومقتضى هذا التعليل أن المؤلف لو علم أن ترتيب السور في مواضعها كما هي الآن ترتيب توقيفي أيضا لحافظ عليه، ولم يجرؤ على طلب تغييره، ألا يعلم أن الأمر كذلك في السور.

وخلاصة القول في هذه الملاحظة الإجمالية أن احترام قدسية الوضع المأثور يقضي بالمحافظة على النسق القائم الآن في الآيات والسور جميعاً، وأن فكرة ترتيب المصحف على حسب النزول كانت تقضي بتغيير الوضع في السور والآيات جميعاً، بل هي في الآيات كانت أشد اقتضاء.

ويقول الكاتب: إن الانتقال من السورة المكية إلى السورة المدنية يصدم القارئ صدمة عنيفة، ويدخله طفرة في جوٍّ غريب منقطع عن السياق. وضرب الكاتب مثلا بسورة محمد بعد سور الحواميم.

فرد محمد دراز على هذه العبارات (الصدمة العنيفة) و (والجو الغريب) لا تقنع طالب الحق، .... ونحن نقول :إن الذي يشعر به القارئ هو على عكس ذلك: كمال الانسجام وتمام الالتحام؛ بين هاتين السورتين، فليقرأ أول سورة محمد ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ محمد: ١ ، وليقرأ صدر السورة قبلها إلى قوله ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ الأحقاف: ٥ ، وليقل لنا: أين المفارقة بين هذين الحديثين؟، ثم ليقرأ في ختام سورة الأحقاف قوله تعالى ﴿ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ الأحقاف: ٣٥، وفي ختام سورة محمد قوله تعالى ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾ محمد: ٣٨، ثم لينظر هل يرى أحسن من هذا تقابلًا بين البدايتين، وتوازياً بين النهايتين[1].

(١) كنوز الفرقان: ٤/١٦١-١٦٤.

ويشير محمد دراز في موضع آخر إلى قاعدة جلية بما يراه من يدعو إلى إعادة ترتيبه بقوله:" إن المنهج القرآني في تلوين البيان، وتنويع العلوم من أهم المقاصد البلاغية: تشويقًا إلى الحديث، وتطرية للنشاط، وترويحاً للنفس من عناء العلائق البشرية، وصعوداً بها بين الفينة والفينة إلى الملأ الأعلى، وإلى الحياة الباقية؛ بل هو كذلك من أحكم وسائل التربية العملية؛ لأن رد الفروع إلى أصولها، وبناء القواعد العملية على دعائمها الأولى العقلية والوجدانية من شأنه أن يمكن العقول والقلوب من هضم القوانين وتمثلها، وأن يحول النفوس إلى قوى محركة تمدُّ الإرادات بأقوى بواعثها"(١).

ثم يبين الفرق بين المقصد المكي والمدني إجمالًا بقوله: وليس الانتقال من أحد النوعين إلى الآخر كما يظن انتقالًا إلى مقصد جديد؛ فإن مقاصد القرآن وأهدافه في السور المكية والمدنية واحدة، وهي إصلاح العقائد، وتنظيم مناهج السلوك للأفراد والجماعات، وإنما يفترق المكي عن المدني بالإجمال والتفصيل(٢).

وفي رده على القائل: بأن الوضع الحالي للسور مخلّ بحكمة التدرج في التشريع، فقال: "فهو انتقال نظر يدل على غفلة عظيمة وخلط بين مقامين مختلفين: مقام التنزيل والتعليم ومقام التدوين والترتيل. وهما مقامان قد وضعا من أول يوم لتحقيق غرضين متفاوتين، فكان أولهما يعتمد حاجات التشريع، وثانيهما يرتبط بحاجات الوضع البياني. وإن مراعاة إحدى الحاجتين في موضع

(١) المصدر السابق:٤/١١٦.

(٢) ينظر: كنوز الفرقان:٤/١١٦-١١٥.

الآخر ليس من الحكمة في شيء بل هو وضع للأمور في غير موضعها"[1].

ومن النقول الدالة على تصور السلف لهذه الطريقة في التفسير وأنها قد تخل بترتيب النظم فتفسد إعجاز أسلوبه البين، ونظمه الباهر.

قال أبو بكر بن الأنباري: "أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرَّقه في بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابًا لمستخبِر، ويوقف جبريل عليه السلام النبي ﷺ على موضع الآية والسورة، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي ﷺ فمن قدَّم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن"[2].

وقال الشيخ ولي الدين الملوي[3]: "قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب، أنها على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا وتأصيلًا؛ فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علمٌ جمٌّ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها

---

(١) المصدر السابق:٤/١١٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن:١/٢٦٠، والإتقان في علوم القرآن:١/٢١٧، الزيادة والإحسان لابن عقيلة:٦/٢٩٩.

(٣) محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو عبد الله المعروف ابن المنفلوطي الشافعي، ولد سنة (٧١٣هـ) وتوفي سنة (٧٧٤هـ). ينظر: طبقات الشافعية للسبكي:٩/٧، وطبقات المفسرين للداوودي:٢/٥٨.

بما قبلها وما سيقت له"[1].

ويقول الدكتور طه فارس بعد دراسة لهذه التفاسير: "اعتماد هذا المنهج في التفسير قد يفتح الباب أمام أصحاب النفوس المريضة وأعداء الإسلام من مستشرقين ومستغربين؛ فينالون من قدسية كتاب الله تعالى"[2].

ويرى آخرون أن "القول بتفسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول بمثابة القول بإعادة ترتيب المصحف"[3].

(١) الإتقان في علوم القرآن:٣/٣٧٠.

(٢) تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول:٢٠١.

(٣) إعادة ترتيب سور القرآن الكريم جحود صريح بتنجيمه وبتوقيف ترتيبه، مقال لمحمد شركي.

المبحث الرابع: التناسب بين مقصود السورة ومضمونها.

لقد سبق في المبحث الأول من هذا الفصل تعريف التناسب لغة واصطلاحاً، وعرض الخلاف في تعريفه الاصطلاحي مع اختيار التعريف الأمثل للتناسب عند أهل الاصطلاح في هذا الفن وهو: "وجه ارتباط السورة أو الآية بما قبلها وما بعدها"(١).

وهنا نبرز رأي بعض الباحثين في إطلاق المصطلح المناسب لاتصال موضوع السورة ومقصدها بجزئياتها وأغراضها المتعلقة بالوحدة الموضوعية، حيث يرون بعد إنعام النظر التفرقة بين التناسب والتناسق، وعليه لا بد من تعريف التناسق حتى يتجلى الفرق بينهما.

تعريف التناسق:

التناسق لغة: النون والسين والقاف، أصلٌ صحيح يدل على تتابع في الشيء. وكلامٌ نَسَقٌ: جاء على نظامٍ واحد قد عُطف بعضه على بعض، وأصله قولهم: ثَغْرٌ نَسَق، إذا كانت الأسنانُ متناسقة متساوية، وخَرَزٌ نَسَق: منظم، قال أبو زبيد:

بجيدِ ريمٍ كريمٍ زانَهُ نَسَقٌ يكادُ يُلهِبُه الياقوتُ إلهابا(٢).

وقال الفيروز آبادي: "وأنْسَقَ: تَكَلَّمَ سَجَعاً، والتَّنْسيقُ: التنْظيم، وناسَقَ بينَهُما: تابع، وتناسقت الأشياء وانتَسَقَت وتَنَسَّقت بعضها إلى بعض بنفس

(١) مباحث في التفسير الموضوعي:٥٨.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس مادة (نسق) :٥/٤٢٠.

المعنى"[1].

التناسق في الاصطلاح: "التحام موضوعات السورة القرآنية؛ وتماسك بنائها، واتساق معانيها لخدمة مقصود واحد، هو ما يسمى بالمحور العام للسورة القرآنية"[2].

العلاقات بين التناسق الموضوعي، وعلم المناسبات القرآنية:

يمكن تحديد العلاقة بين التفسير الموضوعي وعلم المناسبات في جانبين هما: علاقة الخصوص والعموم.

أولًا: علاقة الخصوص:

الناظر في علم المناسبات –غالبًا– ما يهتم بإبراز الترابط، أو التماثل بالنظر إلى السورة الواحدة، من خلال بيان الرابط والعلاقة والمناسبة بين آية وآية قبلها أو بعدها، أو بين مقطع ومقطع، أو سورة وسورة، أو مقطع وآية، بقرينة معينة؛ كالتضاد أو التماثل أو العطف وغير ذلك من أنواع الروابط.

بينما التناسق الموضوعي، يهتم بالجزئيات والأغراض المتعددة داخل السورة الواحدة، وربط هذه الأغراض بموضوع السورة العام وهو الكلية الكبرى التي هي محور هذه المقاصد المتنوعة، وأن هذا الاتساق منسجم ومنسبك بإحكام عجيب غاية في الفصاحة والبلاغة.

ثانياً: علاقة العموم:

إن التناسق لا يمكن أن يتجرد وينفصل عن موضوع المناسبات القرآنية؛

---

(١) القاموس المحيط: مادة (نسق):٢٧٧.

(٢) وحدة النسق في السورة القرآنية، رشيد الحمداوي:١٤٠.

لأن بيان التناسق بين الموضوعات داخل السورة القرآنية؛ يقتضي أن يبين وجه الربط بين كل موضوع وآخر، وهذا لا يلغي حق الوجود لعلم المناسبات، فالترابط هو المناسبات بعينها.

وبناء على ما سبق يتضح جليًّا أن هناك تداخلًا وعلاقة بين العلمين – علم المناسبات وعلم التناسق الموضوعي- ولكن لكل منهما ما يحده ويميزه عن الآخر(١).

ويحسن بنا –هنا- إيضاح الفروق بين تداخل العلوم المتعلقة بموضوعنا في هذا المبحث، حيث بينا حدود كل علم من المناسبات وعلم التناسق الموضوعي، والعلاقة بينهما، ونكمل هذا الإيضاح ببيان الفرق بين التناسق الموضوعي، وعلم التفسير الموضوعي.

التفسير الموضوعي هو: عبارة عن جمع الآيات القرآنية التي تتناول موضوعًا محددًا، أو مصطلحًا محددًا، ومن ثم القيام بتصنيفها من حيث المكي والمدني، وترتيبها حسب زمن النزول إن تيسر ذلك، ثم القيام بتقسيم الموضوع إلى عناصر مترابطة، مأخوذة من الآيات نفسها، ورد الآيات إلى عناصرها، مع تفسيرها بإيجاز(٢).

التناسق الموضوعي هو: بناء السورة الذي يتسم بالتناسق بين أجزائه، والترابط المعنوي بين آياته.

وقد يعبر عنه: بسياق السورة العام، إلا أن كلمة (نسق) هي أدل على

---

(١) ينظر: التناسق الموضوعي، للعمراني:٢٦-٢٧

(٢) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للخالدي:٧٩.

التكامل والتناسب من الناحيتين المعنوية والبيانية، وأشمل لأجزاء السورة بخلاف السياق الذي يراد به سوابق الآيات ولواحقها[1].

وقد يطلق على التناسق الموضوعي : الوحدة الموضوعية ، ولا شك أن بينهما فرق من جهة المنهج المتبع للمتدبر في كلٍّ من المصطلحين، ففي الوحدة الموضوعية يوجه المتدبر اهتمامه في بيان أن للسورة موضوعًا واحدًا، ثم يجهد نفسه في حشد المعلومات التي يراها مرتبطة بهذا الموضوع، دون تدرج بتتبع هذه المعلومات، وأما التناسق فهو عبارة عن بيان الصلة بين الموضوعات المتعددة داخل السورة الواحدة، ومن خلال ذلك يتم بيان المقصد العام التي جاءت تعالجه السورة القرآنية، وربط الموضوعات المتعددة داخل السورة به، والفرق بين المنهجين واضح؛ حيث إن ما يسمى بـ(الوحدة الموضوعية) قد يكون في حشد المعلومات وربطها بالموضوع المقرر مسبقًا تكلفٌ وبُعدٌ، بخلاف التدرج المتعلق بالتناسق الموضوعي داخل السورة للوصول من خلاله إلى المقصد العام للسورة[2].

(١) ينظر: وحدة السياق في السورة القرآنية:١٤٠.

(٢) ينظر: التناسق الموضوعي:٢٨.

المبحث الخامس: المراد بمقصد السورة، وأهميته:

القصد في اللغة:

جاء تعريف القصد في معاجم اللغة العربية بعدة معان، منها: القصد: استقامة الطريق، قَصَدَ يقْصِدُ قصداً، فهو قاصِد، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ النحل: ٩ . ويأتي القصد بمعنى: العدل ، ومنه حديث النبي ﷺ:(القصدَ القصدَ تبلغوا)[1] .

ومن معاني القصد: الاعتماد والأَمُّ، قَصَدَه يقْصِدُه قَصْداً وقَصَدَ له وأَقْصَدَني إليه الأمر، وهو قَصْدُكَ وقَصْدَكَ، أي: تُجاهَك. والقصد: إتيان الشيء، تقول: قصَدْتُه وقصدْتُ له وقصدْتُ إليه بمعنى. وقَصَدْتُ قَصْدَه: نحوت نحوه.

والقصد في الشيء: خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير. قلت: وهذا داخل في العدل.

والقصد: الكسر في أي وجه كان، تقول: قصدت العود قصدًا كسرته.

والقِصدَة: بالكسر، القطعة من الشيء إذا انكسر[2].

وغالب المعاني التي تدور على هذه المادة ترجع للعمد والأَمِّ، قال ابن جني: "أصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهودُ والنهوضُ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، (٦٤٦٣):٨/٩٨. من حديث أبي هريرة.

(٢) لسان العرب: مادة (قصد) :٣/٣٥٣-٣٥٧.

نحو الشيء، على اعتدالٍ كان ذلك أو جَوْر"[١].

المقصد في الاصطلاح:

وعلى ما سبق فالمقصد المراد في مقاصد السور هو:" الغرض العام الذي سيقت السورة من أجله، والهدف الكلي الذي بُنيت على أساسه"[٢].

أهميته:

اعتنى به المفسرون وعلماء الدراسات القرآنية، ولا سيما القرن الخامس الهجري وما بعده، واتسعت العناية به في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وقد أسهموا بوضع اللبنة الأولى وهي في محورين من العلوم:

الأول: علوم القرآن: حيث تناولوا من خلاله علم المناسبات القرآنية، والترابط بين السور والآيات، من أمثال الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) وتبعه السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن).

الثاني: المقاصد والغايات لسور القرآن الكريم، وقد أفرد بعض العلماء مؤلفًا خاصًّا بمقاصد السور كالبقاعي في (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور)، وأصبح علمًا قرآنيًّا قائمًا بذاته[٣].

والميداني –رحمه الله– يؤكد على هذه الأهمية بإفراد القاعدة الثانية من قواعد التدبر الأمثل "حول وحدة موضوع السورة القرآنية"، على أن متدبر كتاب الله ﷻعليه أن يضع نصب عينيه كشف الموضوع الذي تدور حوله السورة القرآنية،

---

(١) المصدر السابق: مادة (قصد):٣/٣٥٥.

(٢) الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية:٩١.

(٣) ينظر: الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية:٩١، والتناسق الموضوعي:٢٤-٢٥.

فلهذا البحث فوائد جمة، فباكتشاف الترابط قد تُصحح مفاهيم، وترجح تفسيرات.

ومما يدل على اهتمامه، بمقصد السورة ووحدة موضوعها، إفراده تفسير سورة الفرقان مدرجًا هذا المسلك من الاهتمام بعنوانها (تدبر سورة الفرقان في وحدة موضوع) ، وهو ما أكد عليه في مقدمته إذ جعلها النقطة الأولى، بقوله: "أولاً: الاهتمام بالنظرة الكلية الشاملة، القائمة على أن السورة ذات موضوع واحد، بمفهوم وحدة موضوع السورة القرآنية...، مع كشف ارتباط آياتها ومعاني جملها بعناصر هذا الموضوع"(١).

ويبين الميداني –رحمه الله– أن ما توصل إليه بعد تتبع طويل قاده إلى أن السورة القرآنية متعانقة الآيات والجمل في الآية حول موضوع كلي واحد، يصور الميداني مقربًا هذا التعانق كشجرة من الأشجار البديعة المثمرة المشبعة بالتنسيق الجمالي، وبالعناصر الجمالية المعجبة، أو كمثل كائن حي من الكائنات الراقيات، فالشجرة مهما اختلفت صفات أجزائها مجتمعة على أصل واحد، والكائن الحي مهما اختلفت صفات أعضائه مجتمع على أصل واحد(٢).

كما ينبه الميداني –رحمه الله– إلى أن وحدة موضع النص التعليمي التربوي لا تعني انحصار الكلام في جزئية فكرية، ومتابعة البحث فيها من كل الجوانب المتعلقة بها.

ويبين أن هذا إنما هو من وظائف فصول العلوم، وبحوث الاختصاص، التي

---

(١) تدبر سورة الفرقان:٥.

(٢) ينظر: قواعد التدبر الأمثل:٢٧-٢٨.

قل أن يرافقها بلاغة عالية، وأدب رفيع، وتوجيه تربوي، وأمر ونهي، وترغيب وترهيب، وموعظة وتذكير[١].

ويؤكد على هذا الدور بأنه يكفي في وحدة الموضوع –للنص التربوي– أن يهدف إلى كلية من الكليات الكبرى الفكرية، وأن تكون أفكاره العامة مرتبطة بهذه الكلية، سواء كانت مشتقة منه أو موصولة بها بوجه من الوجوه.

ثم يبين السبب في استدعاء الفكرة ضمن الموضع الكلي، بأن "الغرض التعليمي أو التربوي أو البياني البليغ هو الذي استدعى إيراد الفكرة ضمن الموضوع الكلي الذي يدور حوله النص"[٢].

كما يشير –رحمه الله– إلى ظهور الارتباط وخفائه، فالظهور ناتج عن الاعتقاد بأن السورة القرآنية تشتمل على وحدات معانٍ متماسكة، تشبه حلقات مترابطة، مشمولة بحلقة أكبر منها؛ وهي داخلة فيها ومتعلقة بها.

ثم يقرب صورة الترابط بين الجزئيات والموضوع الكلي، ذهنيًّا بقوله: "أن يرسم دائرة كبرى ثم يربط بها حلقة، ثم ينظر في الحلقات التالية، هل يربطها بالحلقة الفرع، أو يربطها بالدائرة الكبرى الأصل، ثم يسير هكذا إلى كل الحلقات، ويبحث عن ارتباطها بالدائرة الأصل أو بالحلقات الفروع، وبعد البحث العميق والتأمل الدقيق، لا بد أن يكتشف نسيجاً عجيباً بديع الصورة، ويظهر له به رائعة من روائع إعجاز القرآن"[٣].

---

(١) ينظر: المصدر السابق:٢٨.

(٢) المصدر السابق:٢٨.

(٣) المصدر السابق:٢٨-٢٩.

أما خفاء الارتباط وما يتبعه من انتزاع رابط ضعيف أو وهمي، فإنه ناتج من اعتقاد أن وحدة موضع السورة وارتباط الجزئيات الفكرية بها إنما هو يشبه السلاسل المستطيلة كالحبال، فكل حلقة تتعلق بما قبلها دون النظر لارتباط بعضها بالحلقة الكبرى؛ التي هي أساس الموضوع، ولا يزول هذا الخفاء إلا بتصحيح التصور، وفق ظهور الارتباط كما سبق(١).

والميداني –رحمه الله– يلفت انتباه قارئ القرآن المتدبر له الذي يروم الوصول إلى مقصد السورة وموضوعها، من أن الأمر يحتاج إلى تأمل دقيق، مع صبر وأناة(٢) ، ويرى تقسيم السورة بحسب جزئياتها إلى دروس، وإن كانت لا تحتمل إلا درسًا واحدًا أشار إليه؛ ليسهل ترابط الجزئيات فيما بينها، أو باتصالها المباشر بالكلية العامة لمقصد السورة(٣)، ثم يصدر كل درس سابق –غالبًا– إذا خفيت صلته بسؤال يبحث له عن إجابة، وتكون الإجابة هي الرابط للدرس اللاحق، فينتظم عقد الترابط بينهما، فيقول: "وهنا يرد سؤال يتطلب جواباً..." ثم يصله بالدرس الذي يليه بقوله: "ويأتي الجواب في الدرس الثاني من دروس السورة الثلاثة..."(٤).

وتميز الميداني –رحمه الله– بمنهج فريد في توضيح موضوع السورة ووحدتها، فيبسطه وفق العناصر التي يقسم بها السورة تبعًا لكل مقطع مستقل بجزئية،

---

(١) ينظر: المصدر السابق:٢٩.

(٢) ينظر: معارج التفكر:١/٣٧.

(٣) ينظر: قواعد التدبر الأمثل:٢٧-٢٩.

(٤) معارج التفكر:١/٣٨-٣٩، وينظر: قواعد التدبر الأمثل:٤٠-٤٣.

تجتمع في تحديد الكلية الكبرى للسورة، ومن الأمثلة على هذا: ما جاء في تفسيره لسورة الفرقان؛ فقد عنون لموضوع السورة، ثم أجمله بقوله: "يدور موضوع السورة حول كليات كبرى من عناصر القاعدة الإيمانية، وحال الناس في مرحلة نزول السورة تجاهها مع التوجيه والتربية والمعالجة.

البحث الكلي الشامل لآيات سورة (الفرقان) دلَّ على أن موضوعها يدور حول كليات كبرى من عناصر القاعدة الإيمانية تتعلق بالله الرب الخالق ﷻ، والقرآن المنزل من لدنه، وبالرسول ﷺ المبلغ له، ثم الدعاة من بعده، وبالمرسَلِ إليهم إبان التنزيل، ويُلْحق بهم من بعدهم"(١).

ثم يقسمها إلى عناصر؛ مدرجًا كل عنصر بما يحتويه ويتضمنه، فقال:

"فالعنصر الأول: جاء في السورة حوله بيان توحيد الربوبية لله ﷻ، وما يلزم عنه عقلًا من توحيد الإلهية له تبارك وتعالى، وواجب عبادته وحده لا شريك له، وموقف الذين كفروا من هذه القضايا، والمعالجة الربانية لهم حولها.

العنصر الثاني: وهو القرآن، فقد جاء في السورة حوله بيان أنه منزَّلٌ من عند الله على رسوله محمد ﷺ، وبيان موقف الذين كفروا منه، وبعض مقالاتهم بشأنه، مع المعالجة الربانية.

العنصر الثالث: وهو الرسول ﷺ ثم الدعاة من بعده، فقد جاء في السورة حوله بيان إثبات نبوة محمد ﷺ ورسالته، وأن رسالته عامة للعالمين، وبيان موقف الذين كفروا منه، وشبهاتهم حوله، واتهاماتهم له، ومقترحاتهم حول ما يرون بالنسبة إلى وسيلة تبليغ الله دينه للناس، لو شاء الله أن يُرسل رسولًا،

(١) تدبر سورة الفرقان:١٧.

وجاء فيها المعالجة الربانية حول هذه القضايا، مع تربية الرسول وتسليته، وبيان وظيفته، والإشارة إلى الحكمة القاضية بعموم رسالته الخاتمة، ثم بيان واجب الدعاة الذين يحملون وظيفة الدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من بعده، وما ينبغي أن يتحلوا به من صفات حتى يكونوا بحقٍّ عباد الرحمن وأئمةً للمتقين.

والعنصر الرابع: وهو المرسَلُ إليهم إبان التنزيل، ويُلحقُ بهم من بعدهم، وقد جاء في سورة (الفرقان) بيان الطور الذي وصل إليه مشركو مكة إبان نزولها، ومواقفها من قضايا الإيمان بالله ووحدانيته وصفاته، والإيمان بالقرآن وما جاء فيه، والإيمان بالرسول وبلاغاته، وبيان طائفة من الإنذارات للكافرين، والبشريات للمؤمنين، والمعالجات الفكرية والنفسية"(١).

ولم أطل النقل عن الميداني –هنا– إلا لأسلط الضوء على هذه الطريقة الرائعة، والمنهج المميز محبوك السبك في عرضه لموضوع السورة، بل لم يكتف الميداني –رحمه الله– بهذا العرض، وإنما ربط ذلك بما دلت عليه السورة من براعة الاستهلال، فيقول بعد عرضه للعناصر السابقة: "ونجد هذه العناصر الأربعة مشاراً إليها في الآية الأولى من السورة؛ كأنها تحدّد خُطُوطَ مسير آيات السورة حول هذه العناصر، فيقول الله ﷻ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١، فالسورة تسير ضمن أربعة خطوط، وقد وُزِّعَتْ فقراتُها على

(١) تدبر سورة الفرقان:١٧-١٨.

هذه الخطوط توزيعًا مفرقاً، وآياتُها كمصابيح مدلاةٍ من خطوط فكرية غير منظورة في اللفظ"[1].

وقد تتبعت كتب التفسير التي اعتنت بهذا المنهج، والكتب التي أفردت في بيان هذا النوع، من الترابط والتناسب بين موضوع السورة وأغراضها، ومقارنة بعض السورة بما يذكره الميداني، فاستوقفني التقارب بين ما يذكره الميداني وابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) من جهة موضوع السورة وأغراضها، وإن كنت مترددًا بقولي:

إن الميداني متأثر بابن عاشور، إلا أني أرى ابن عاشور وضع اللبنة الأولى والميداني طور وبسط ذلك؛ فللميداني إضافات وزيادة تفصيل، وسوف أنقل ما قاله ابن عاشور في أغراض هذه السورة بنصه ليرى التقارب الملحوظ بينهما.

قال ابن عاشور:" أغراض هذه السورة: واشتملت هذه السورة على الابتداء بتمجيد الله تعالى وإنشاء الثناء عليه، ووصفه بصفات الإلهية والوحدانية فيها.

وأدمج في ذلك التنويه بالقرآن، وجلال منزله، وما فيه من الهدى، وتعريض بالامتنان على الناس بهديه وإرشاده إلى اتقاء المهالك، والتنويه بشأن النبي ﷺ.

وأقيمت هذه السورة على ثلاث دعائم:

الأولى: إثبات أن القرآن منزل من عند الله، والتنويه بالرسول المنزل عليه ﷺ، ودلائل صدقه، ورفعة شأنه عن أن تكون له حظوظ الدنيا، وأنه على طريقة غيره من الرسل، ومن ذلك تلقي قومه دعوته بالتكذيب.

الدعامة الثانية: إثبات البعث والجزاء، والإنذار بالجزاء في الآخرة، والتبشير

---

(١) المصدر السابق:١٨.

بالثواب فيها للصالحين، وإنذار المشركين بسوء حظهم يومئذ، وتكون لهم الندامة على تكذيبهم الرسول وعلى إشراكهم واتباع أيمة كفرهم.

الدعامة الثالثة: الاستدلال على وحدانية الله، وتفرده بالخلق، وتنزيهه عن أن يكون له ولد أو شريك، وإبطال إلهية الأصنام، وإبطال ما زعموه من بنوة الملائكة لله تعالى.

وافتتحت في آيات كل دعامة من هذه الثلاث بجملة "تبارك الذي" إلخ.

قال الطيبي: مدار هذه السورة على كونه ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة، ينذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولهذا جعل براعة استهلالها ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١ ، وذكر بدائع من صنعه تعالى جمعا بين الاستدلال والتذكير، وأعقب ذلك بتثبيت الرسول ﷺ على دعوته ومقاومته الكافرين.

وضرب الأمثال للحالين ببعثة الرسل السابقين وما لقوا من أقوامهم مثل قوم موسى وقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقوم لوط. والتوكل على الله، والثناء على المؤمنين به، ومدح خصالهم ومزايا أخلاقهم، والإشارة إلى عذاب قريب يحل بالمكذبين"(١).

فالتقارب بين الميداني –رحمه الله– وابن عاشور واضح، ولعل الميداني متأثر به فقد قارنت بين عدة سور، ووجدت أصل ما عند ابن عاشور هو عند الميداني، إلا أن الميداني فيه زيادات وإضافات مع عناية ترتيب.

ومن ذلك ما جاء في سورة العاديات حيث قال: موضوع السورة: تعالج

(١) التحرير والتنوير: ٩/٣١٤.

تخليص المجتمعات الجاهلية، من قبيحة الغزو للسلب والنهب والسطو على الأموال عدوانًا وظلمًا، والتفاخر بذلك، مستخدمين إحدى نعم الله على الناس وهي نعمة الخيل المهيأة من الله للقتال في سبيله عز وجل...[١].

وما ذكره الميداني موافق –كذلك– لما ذكره ابن عاشور –رحمهما الله– في تفسيره قال: "أغراضها: ذَمُّ خصال تفضي بأصحابها إلى الخسران في الآخرة، وهي خصال غالية على المشركين والمنافقين، ويراد تحذير المسلمين منها.

ووعظ الناس بأن وراءهم حساباً على أعمالهم بعد الموت ليتذكره المؤمن ويُهَدد به الجاحد.."[٢].

وتلحظ التقارب بين ما ذكره الميداني وابن عاشور–رحمهما الله–.

وكذلك ما جاء في سورة (الفجر) قال الميداني: "موضوع السورة: فالسورة تدور حول إنذار المكذبين برسالة الرسول ﷺ، وتحذيرهم من إهلاكٍ عاجلٍ في الحياة الدنيا، كما حصل لمكذِّبي أهل القرون الأولى وتَرهيبهم من عذابٍ مؤجل إلى يوم الدين، ويكونُ ذلك في جهنم دار عذاب المجرمين. معَ ترغيب المستجيبين لدعوة الرسول ﷺ في دخول جنَّة الله التي أعدها للمتقين فَمَنْ هم أعْلَى مرتبةً منهم، وهم الأبرار والمحسنون"[٣].

وما ذكره ابن عاشور هو أصل ما قاله الميداني –رحمهما الله– حيث قال في التحرير والتنوير: "أغراضها: حوت من الأغراض ضربَ المثل لمشركي أهل

---

(١) ينظر: معارج التدبر:١/٦٢٩.

(٢) التحرير والتنوير:١٥/٤٩٨.

(٣) معارج التفكر:١/٥١٦.

مكة في إعراضهم عن قبول رسالة ربهم بمثل عاد وثمود وقوم فرعون. وإنذارهم بعذاب الآخرة.

وتثبيت النبي ﷺ مع وعده باضمحلال أعدائه.

وإبطال غرور المشركين من أهل مكة؛ إذ يحسبون أن ما هم فيه من النعيم علامة أن الله أكرمهم، وأن ما فيه المؤمنون من الخصاصة علامة على أن الله أهانهم.

وأنهم أضاعوا شكر الله على النعمة، فلم يواسوا ببعضها الضعفاء، وما زادتهم إلا حرصاً على الكثر منها. وأنهم يندمون يوم القيامة على أن لم يقدِّموا لأنفسهم من الأعمال ما ينتفعون به يوم لا ينفع نفساً مالُها، ولا ينفعها إلا إيمانُها، وتصديقها بوعد ربها، وذلك ينفع المؤمنين بمصيرهم إلى الجنة"[1].

وينظر كذلك للتقارب بينهما ما جاء في تناولهما لسورة (الليل)[2].

ومن خلال تتبعي لمؤلفات الميداني المتعلقة بالتفسير القرآني، أجد الميداني نهج في بيان مقصد السورة العام كلا المنهجين (التناسب والتناسق)، فأحياناً يقدم المقصد العام الشامل لأغراض السورة، ثم يبين الجزئيات المتعلقة به داخل السورة وهو الغالب، وأحياناً يتدرج في دراسة الأغراض داخل السورة إلى أن يصل إلى المقصد العام الشامل للسورة، دون الإشارة إلى سبب التفريق بينهما، وهل قصد الميداني ما أشرنا إليه سابقاً من بيان الفرق بين ما يسمى بـ(الوحدة الموضوعية) و (التناسق الموضوعي) .

وبعد طول تأمل أجد أن الميداني –رحمه الله– لم يفرق بينهما، وإنما كان

---

(١) ١٥/٣١١-٣١٢.

(٢) ينظر: عند الميداني معارج التفكر: ١/٤٨٦، وعند ابن عاشور في التحرير والتنوير: ١٥/٣٧٧.

أحياناً المقصد العام حاضرًا وبارزًا في ذهنه، ويدرس ذلك قبل التدوين في مؤلفاته التفسيرية، فيقدمه، ثم يتناول العناصر داخل كل سورة ويبين الرابط بينها وبين المقصد العام.

وفي بعضها يدرس العناصر والأغراض والجزئيات في السورة، وينظر في الرابط والعلاقة بينها، ثم يخرج بمقصد كلي جامع لها، فنجده –رحمه الله– يقدم دراسة ذلك على موضوع السورة، وسوف أوضح ذلك:

فمن الأمثلة التي يقدم الميداني –رحمه الله– عنوان مقصد السورة على الدرس لأغراضها ما جاء في تناوله لسورة (عبس) ، مع الأخذ بعين الاعتبار عدم تفريق الميداني لمصطلحي (التناسب) و (التناسق) فليس مراداً عنده:

قال – رحمه الله– موضوع السورة: تضمَّنت سورة (عبس) توجيه علاج تربوي حول بعض عناصر المنهاج الأمثل لحامل الرسالة الربانية، تُجاهَ من استجاب للدعوة، وتُجاه من لم يستجب لها. وتوجيه علاج تربوي فيه شدةٌ وعُنْفٌ بإقناعٍ وتَرْهيبٍ وترغيبٍ للإنسان الكافر المعاند، الذي عاندَ وكابَر واستهان بدعوة الداعي إلى الله فلم يستجب لدعوته...، ثم بدأ الميداني – رحمه الله – بتقسيم السورة حسب أغراضها وجزئياتها إلى أربعة دروس:

الدرس الأول: جاء فيه عتاب الرسول محمد ﷺ على ما كان منه بشأن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى متلهياً عنه، وقد تناول الآيات من (١-١٦) .

الدرس الثاني: جاء فيه تقريعٌ بشدة وعنف للإنسان الكافر بربه وتعجيبٌ من شدة كفره وغلوه فيه، مع تذكير لما كان عليه من أساس خلقته، تناولت الآيات من (١٧-٢٣).

الدرس الثالث: جاء فيه عرض بعض مظاهر ربوبيته سبحانه وتعالى، وما يستحقه من شكره للنعم، تناولت الآيات من (٢٤-٣٢) .

الدرس الرابع: جاء فيه عرض لقطات من مشاهد يوم القيامة ترغيباً وترهيباً، وهو في الآيات من (٢٣-٤٢)[١].

ومن تقديم الميداني –رحمه الله– لقضايا السورة على عنوانها وكليتها الكبرى ما جاء في تناوله لسورة (المزمل) حيث قال: موضوع السورة: في هذه السورة توجيه بعض وصايا للرسول ﷺ وللذين آمنوا معه، تتعلق ببعض التكاليف التعبدية، والأعمال الحياتية، والسلوك الدعوي.

وفيها تلويح بوعيد شديد مؤجل إلى يوم الدين، وآخر معجل في الدنيا، موجه للذين كذبوا الرسول ﷺ وما جاء به.

والآية الأخيرة من السورة نسخت فرضية قيام الله الذي جاء في أوائلها، وأمرت بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالاستغفار لمن وعد بالمغفرة (٢).

فموضوع السورة يدور حول ما يلي:

"أوامر ووصايا سلوكية للرسول ﷺ وللمؤمنين مقرونة بالوعد، ومعالجةٌ للكافرين بالوعيد مع تأكيد أن رسالة الإسلام رسالة تذكير، لا رسالة سَوْقٍ بالإجبار"[٣]. كما جاء –كذلك– في سور أخرى.[٤]

---

(١) ينظر: معارج التفكر:٢/٢١٤-٢١٥.ومن الأمثل ينظر : ٣/١٧٢، ٦/١٦وما بعدها.

(٢) ينظر: معارج التفكر:١/١٥٥.

(٣) المصدر السابق:١/١٥٥.

(٤) ينظر: المصدر السابق:١/٤٨٤، ١/٥١٣.

المبحث السادس: دراسة أسانيد آثار النزول رواية ودراية:

أولاً: الرواية :

١. قال أبو جعفر النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ[١]: حدثني يَمُوتُ بنُ المزَرَّعِ، ثنا أبو حاتمٍ سهلُ بنُ محمدٍ السِّجِسْتانيُّ، ثنا أبو عبيدةَ مَعْمَرُ بنُ المثنَّى، ثنا يونسُ بن حبيبٍ، سمعت أبا عمروِ بن العلاءِ يقول:(سألت مجاهداً عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي، فقال: سألت ابنَ عباس عن ذلك فقال: سورةُ الأنعام نزلتْ بمكة جملةً واحدةً، فهي مكيةٌ إلا ثلاث آياتٍ منها نَزَلْنَ بالمدينة : (قل تعالوا أتل) إلى تمامِ الآيات الثلاث، وما تقدَّم من السورِ مدنيَّاتٌ، ونزلتْ بمكةَ سورةُ الأعرافِ، ويونسَ، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحِجْر، والنحل، سوى ثلاث آياتٍ من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة في مُنْصَرفِة من أُحد، وسورةُ بني إسرائيل، والكهف، ومريمَ، وطه، والأنبياء، والحجّ، سوى ثلاث آياتٍ (هذان خصمان) إلى تمام الآيات الثلاثِ، فإنهن نزلن بالمدينة، وسورة المؤمنين، والفرقان، وسورةُ الشعراء سوى خمس آيات من آخرها نزلن بالمدينة: (والشعراء يتبعهم الغاوون) إلى آخرها، وسورة النمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، سوى ثلاثِ آياتٍ منها نزلن بالمدينة: (ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام) إلى تمام الآيات الثلاث، وسورة السجدة سوى ثلاث آيات: (أفمن كان مؤمناً) إلى تمام الآيات الثلاث، وسورة سبأ، وفاطر، ويس، والصافات، وص، والزمر، سوى ثلاث آيات نزلن

(١) الناسخ والمنسوخ:٢/٣١٦.

بالمدينة في وحشي قاتل حمزة: (قل يا عبادي الذين أسرفوا) إلى تمام الثلاث آيات، والحواميم السبع، وق، والذاريات، والطور، والنجم، والقمر، والرحمن، والواقعة، والصف، والتغابن، إلا آياتٍ من آخرها نزلن بالمدينة، والملك، و ن، والحاقة، وسأل، وسورة نوح، والجن، والمزمل، إلا آيتين:(إن ربك يعلم أنك تقوم)، والمدثر إلى آخر القرآن إلا (إذا زلزلت)،و(إذا جاء نصر الله)، و(قل هو الله أحد)، و(قل أعوذ برب الفلق)، و(قل أعوذ برب الناس)، فإنهن مدنيّاتٌ.

ونزلت بالمدينة: سورةُ الأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، وسورة محمد، والفتح، والحجرات، والحديد، وما بعدها إلى التحريم.

أولاً: دراسة الإسناد:

أبو جعفر النحاس: هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي النحاس، أخذ عن الزجاج، وحدَّث عن محمد بن جعفر بن أعين، وبكر بن سهل الدمياطي، والحافظ أبي عبد الرحمن النسائي، وجعفر بن الفِرْيَابي والطحاوي وطبقتهم، ثقة توفي سنة (٣٣٨هـ)(١).

يموت بْن المزرّع بْن يموت، أَبُو بكر العبدي: بصري قدم بغداد وحدث بها عن أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني، وجماعة كثيرة، وروى عنه أبو بكر الخرائطي، وأبو بكر بن مجاهد المقرئ، وأبو بكر الأنباري وغيرهم، واسمه يموت ثم تسمى محمدًا، فغلب الاسم الأول عليه، توفي سنة (٤٠٣هـ) وقيل:

---

(١) ينظر: المنتظم:٦/٣٦٤، سير أعلام النبلاء:١٥/٤٠١-٤٠٢، وطبقات النحويين واللغويين:٢٣٩.

سنة (٤٠٤هـ)[١].قال الذهبي: "وما أعلم به بأساً"[٢].

سهل بن محمد بن عثمان أبو حاتم السجستاني، النحوي، المقرئ، البصري، روى عن يزيد بن هارون، وأبي عبيدة، وعنه: أبو داود والنسائي وابن خزيمة وأبو روق الهِزاني، توفي سنة (٢٥٥هـ). قال الذهبي: "وكان صدوقاً"[٣]، وقال ابن حجر: "صدوق فيه دعابة"[٤].

أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، أسند الحديث عن هشام بن عروة، وأبي عمرو بن العلاء وآخرين، وروى عنه علي ابن المغيرة الأثرم، وأبو عبيد القاسم بن سلّام، وأبو عثمان المازني، وأبو حاتم السّجستاني، وعدة، وقد رمي برأي الخوارج، توفي سنة (٢٠٨هـ) وقيل بعد ذلك، وقد قارب المائة[٥]. قال يحيى بن معين[٦] والدارقطني[٧]: ليس به بأس. وعلي ابن المديني أحسن ذكره وصحح روايته[٨].

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد:٣٥٨/١٤، والمنتظم لابن الجوزي:١٧٢/١٣، والكامل في التاريخ لابن الأثير:٦٤٣/٦، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي:١٨١/٢.

(٢) سير أعلام النبلاء:٢٤٨/١٤.

(٣) الكاشف للذهبي:٤٧٠/١.

(٤) تقريب التهذيب لابن حجر:٤٢٠.

(٥) ينظر: إنباه الرواة للقفطي:٢٧٧/٣، والكاشف للذهبي:٢٨٢/٢، وتقريب التهذيب لابن حجر:٩٦٢، ونزهة الألباء للأنباري:٨٤.

(٦) الجرح والتعديل:٢٥٩/٨.

(٧) إكمال تهذيب الكمال لمغلطاي:٣٠٧/١١.

(٨) تهذيب الكمال للمزي:٣١٨/٢٨.

وقال أبو عبد الله الحاكم: "من أئمة الأدب المتفق على إتقانهم"[١].

قال الذهبي: "ثقة"[٢]، وقال ابن حجر: "صدوق أخباري"[٣].

قال ابن حجر:" قلت: وذكره البخاري في صحيحه في مواضع يسيرة سماه فيها وكناه تعليقًا [٤] .

يونس بن حبيب بن عبد القاهر الأصبهاني العجلي الضبي، أبو بشر، سمع زياد بن عثمان بن زياد بن أبي سفيان، والحسن، وروى عن أبي داود الطيالسي وعامر بن إبراهيم وغيرهم، وروى عنه: النضر بن شميل، وعبد الله بن محمد الأسدي، وغيرهما، وسئل أبو مسعود عمن يكتب عنه من المحدثين فقدَّم يونس بن حبيب[٥]. قال ابن أبي حاتم:" كتبت عنه بأصبهان وهو ثقة"[٦]. وذكره ابن حبان في الثقات[٧].

أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازني البصري. الإمام وأحد القراء العشرة، روى عن داود بن أبي هند، وجعفر الصادق، وهشام بن عروة، وأبي رجاء العطاردي، ومجاهد، الحسن، وابن المنكدر، والزهري، وغيرهم.

---

(١) إكمال تهذيب الكمال لمغلطاي:٣٠٧/١١. وذكره عنه مسعود في سؤالاته:٣٣٦

(٢) الكاشف:٢٨٢/٢.

(٣) تقريب التهذيب:٩٦٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: بَابُ قَوْلِهِ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا} :٦/ ١١٧.

(٥) ينظر: التاريخ الكبير للبخاري:٢٨٧/٨، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم:٢٣٧/٩.

(٦) الجرح والتعديل:٢٣٧/٩.

(٧) ينظر: الثقات لابن حبان:٢٩٠/٩.

وروى عنه أبو عبيدة والأصمعي، وشعبة، ومعمر بن سليمان، ووكيع، وعدة. توفي سنة (١٥٤هـ). قال زهير بن حرب: كان أبو عمرو لا بأس به؛ ولكنه لم يحفظ.

قال يحيى بن معين: أبو عمرو ثقة. وقال أبو حاتم: لا بأس به[١].

مجاهد بن جبر أبو الحجاج، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، عن أبي هريرة، وابن عباس، وسعد، وعنه قتادة، وابن عون، وسيف بن سليمان، إمام ثقة في القراءة والتفسير وفي العلم، حجة، أخرج له الجماعة، توفي سنة (١٠٤هـ)[٢].

الحكم على الإسناد:

قال السيوطي في الإتقان في علوم القرآن[٣]:"هكذا أخرجه –النحاس– بطوله، وإسنادهُ جيدٌ، رجالُه كلُّهم ثقاتٌ من علماء العربية المشهورين".

قلت: وفيه أمران:

الأول: قول السيوطي: (بطوله): وهذا غير دقيق، فإن رواية النحاس كما سبق في كتابه الناسخ والمنسوخ، ومتنها مفرق على السور.

الثاني: قول السيوطي:(كلهم ثقات): وهذا تجوز في العبارة، وقد سبق أن منهم الصدوق.

---

(١) ينظر: التاريخ الكبير للبخاري:٩/٥٥، كتاب الثقات لابن حبان:٦/٣٤٤، سير أعلام النبلاء:٦/٤٠٧، ومعرفة القراء الكبار للذهبي:١/٢٢٣.

(٢) ينظر: الكاشف للذهبي:٢/٢٤٠-٢٤١، وتقريب التهذيب لابن حجر:٩٢١.

(٣) ١/٥٠.

وقد يكون قصد السيوطي: بأن الشهرة تزيد في التوثيق، بدليل قوله:(وإسناده جيد).

وعليه: فإسناده حسن، لقلة ضبط بعض الرواة-كأبي حاتم السجستاني وأبي عبيدة- في حكم ابن حجر عليه-. والله أعلم.

ثانياً: الدراية:

وبعد عرض الإسناد وثبوت صحته، لا بد من النظر في دلالة متنه، ونتناولها على ما يلي:

سبب ورود الأثر: وهو سؤال أبي عمرو بن العلاء مجاهداً "عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي، فقال: سألت ابنَ عباس عن ذلك"، وهو صريح في أن سرد ابن عباس لها، إنما لبيان المكي والمدني، لمطابقة الجواب للسؤال، وإن كان ابن عباس ذكر المكي والمدني وفق ترتيب المصحف.

في قول ابن عباس: "سورةُ الأنعام نزلتْ بمكة جملةً واحدةً، فهي مكيةٌ إلا ثلاث آياتٍ منها نَزَلْنَ بالمدينة: (قل تعالوا أتل) إلى تمامِ الآيات الثلاث"، ما يدل على تصريحه بمكان النزول، لا ترتيبه كذلك. وقدم سورة الأنعام؛ لأن نزولها جاء جملة واحدة كما ذكر.

وفي قول ابن عباس: "وما تقدَّم من السورِ مدنيَّاتٌ"، يبين هنا أن السور التي قبل على ترتيب المصحف، وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة. ثم رجع لمكان النزول بقوله: "ونزلتْ بمكةَ سورةُ الأعرافِ".

ثم إذا تتبعنا ترتيب سور القرآن الكريم وجدناه موافقًا لما ذكره ابن عباس مطابقة فقد سردها وفق ترتيب المصحف، وعاد لبعض ما لم يذكره في المكي بقوله: إلا

(إذا زلزلت)،و(إذا جاء نصر الله)، و(قل هو الله أحد)، و(قل أعوذ برب الفلق)، و(قل أعوذ برب الناس)، فإنهن مدنيّاتٌ.

ونزلت بالمدينة: سورةُ الأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، وسورة محمد، والفتح، والحجرات، والحديد، وما بعدها إلى التحريم.

فاكتمل بذلك ترتيب المصحف، وعليه فإن هذا الأثر هو دليل لمن يرى ترتيب المصحف وفق الترتيب الذي ترجح التوقف فيه.

٢.قال البيهقي أنبا أبو عبد الله الحافظ، أنبا أبو محمد زياد العدل، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، ثنا أحمد بن نصر بن مالك الخُزاعي، ثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه، حدثني يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن قالا:(ما أنزل الله من القرآن بمكة: "اقرأ باسم ربك" و "ن" و "المزمل" و"المدثر" و"تبت يدا أبي لهب" و"إذا الشمس كورت" و"سبح اسم ربك الأعلى" و"والليل إذا يغشى" و"والفجر" و"والضحى" و" ألم نشرح" و"العصر" و"العاديات" و"الكوثر" و"الهاكم" و"أرأيت" و "قل يا أيها الكافرون" و"أصحاب الفيل" و"الفلق" و "قل أعوذ برب الناس" و "قل هو الله أحد" و "والنجم" و"عبس" و"إنا أنزلناه" "والشمس وضحاها" "والسماء ذات البروج" "والتين والزيتون" و"لإيلاف قريش" و"القارعة" و "لا أقسم بيوم القيامة" و"الهمزة" و"المرسلات" و "ق" و "لا أقسم بهذا البلد" "والسماء والطارق" و"اقتربت الساعة" و "ص" و"الجن" و "يس" و"الفرقان" و"الملائكة" و "طه" و"الواقعة" و"طسم[1]"

(١) الشعراء.

و "طس" و"طسم[١]" و"بني إسرائيل" و"السابعة[٢]" و"هود" و"يوسف" و"أصحاب الحجر" و"الأنعام" و"الصافات" و"لقمان" و"سبأ" و"الزمر" و "حم المؤمن" و "حم الدخان" و "حم السجدة[٣]" و "حم عسق" و "حم الزخرف" و" الجاثية" و"الأحقاف" و"الذاريات" و"الغاشية" و"أصحاب الكهف" و"النحل" و"نوح" و"إبراهيم" و"الأنبياء" و"المؤمنون" و"آلم السجدة" و"الطور" و"تبارك" و"الحاقة" و"سأل" و "عمَّ يتساءلون" و"النازعات" و"إذا السماء انشقت" و"إذا السماء انفطرت" و"الروم" و" العنكبوت".

وما نزل بالمدينة: "ويل للمطففين" و" البقرة" و "آل عمران" و"الأنفال" و"الأحزاب" و "المائدة" و"الممتحنة" و"النساء" و" إذا زلزلت" و"الحديد" و"محمد" و"الرعد" و"الرحمن" و "هل أتى على الإنسان" و"الطلاق" و "لم يكن[٤]" و"الحشر" و"إذا جاء نصر الله" و"النور" و"الحج" و"المنافقون" و"المجادلة" و"الحجرات" و "يا أيها النبي لم تحرم[٥]" و"الصف" و"الجمعة" و"التغابن" و"الفتح" و"براءة"[٦].

---

(١) القصص.

(٢) يونس.

(٣) فصلت.

(٤) البينة.

(٥) التحريم.

(٦) دلائل النبوة للبيهقي:١٤٢/٧.، ونقله عنه: السيوطي في الإتقان في علوم القرآن:٥٠/١-٥٢.

قال البيهقي: "والسابعة[1] يريد بها سورة يونس"، قال: وقد سقط من هذه الرواية الفاتحة، والأعراف، و(كهيعص) فيما نزل بمكة"[2].

أولاً دراسة الإسناد:

قال البيهقي أنبا أبو عبد الله الحافظ، أنبا أبو محمد زياد العدل، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، ثنا أحمد بن نصر بن مالك الخُزاعي، ثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه، حدثني يزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن.

أبو عبد الله الحافظ، هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حَمْدَوَيْه الضبي النيسابوري، يعرف بابن البيّع الحاكم، أمام أهل الحديث في عصره، صاحب المستدرك على الصحيحين ومعرفة علوم الحديث وغيرها، توفي سنة(٤٠٥هـ)[3].

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي بن زياد، أبو القاسم السمذي العدل الدورقي، روى مسند إسحاق بن راهوية عن عبد الله بن محمد بن شيرويه، وأحمد بن إبراهيم بن بنت نصر، حدث عنه أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان بن محمد النصروي. قال الحاكم سمع أبا بكر محمد بن حمدون، وأبا

---

(١) الموجود في دلائل النبوة:١٤٣/٧:"التاسعة" وهو تصحيف والصواب "السابعة" كما أثبته البيهقي في السنن الكبرى:"...وَافْتَحِ السَّابِعَةَ، وَكَانُوا يُسَمُّونَ سُورَةَ يُونُسَ السَّابِعَةَ..."السنن الكبرى للبيهقي:٢٤٣/٦، وذكره ابن أبي شيبة في مصنفه:٥٢٠/٧، والحاكم في المستدرك:٣٦٩/٢ وقال: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.، وابن حبان في صحيحه:٣٨٥/١٥

(٢) ينظر: دلائل النبوة:١٤٣/٧.

(٣) ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي:١٠٣٩/٣-١٠٤٥، وتاريخ بغداد:٤٧٣/٥، وسير أعلام النبلاء:١٦٢/١٧، والوفيات:٢٨٠/٤.

حامد بن الشرقي، وحدث من أصول صحيحه، توفي (٣٩١هـ) [١]. قلت وهو شيخ الحاكم أكثر عنه في مستدركه ويصحح روايته.

محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي، أبو بكر العالم المحدث الإمام صاحب الصحيح، سمع إسحاق الحنظلي ومحمود بن غيلان وغيرهم، وحدث عنه البخاري، ومسلم، وغيرهم. توفي سنة (٣١١هـ)[٢].

يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح العبدي مولاهم، أبو يوسف الدورقي، روى عن هُشَيم والدراوردي، وروى عنه الجماعة والمحاملي، وله مسند، توفي سنة (٢٥٢هـ) [٣].

قال الحافظ ابن حجر: "ثقة" و"كان من الحفاظ"[٤].

أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم، أبو عبد الله الخزاعي المروزي البغدادي، المصلوب، قتله الواثق ظلماً، روى عن رباح بن زيد ومالك بن أنس، وحماد بن زيد، وهشيم بن بشير وغيرهم، روى عنه يحيى بن معين والدورقي، والحسن بن واقد وغيرهم، يعدُّ في البغداديين، أثنى عليه أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين،

---

(١) ينظر: التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد لابن النقطة:٣٢٢.

(٢) ينظر: تذكرة الحفاظ:٢/٧٢٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي:١٤/٣٦٥، والوافي بالوفيات:٢/١٩٦، والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد:٣٦

(٣) ينظر: الكاشف للذهبي:٢/٣٩٣، وتقريب التهذيب لابن حجر:١٠٨٧.

(٤) تقريب التهذيب:١٠٨٧.

توفي سنة (٢٣١هـ)[١]. ووثقه ابن حجر [٢].

علي بن الحسين بن واقد المروزي، روى عن أبيه وخارجة بن مصعب وابن المبارك، وغيرهم، رَوَى عَنه: أَحمد الدارمي، وأبو عبد الله المروزي، وأحمد بن نصر الخزاعي، وابن راهويه، وغيرهم، روى له البخاري في "الأدب"، ومسلم فِي مقدمة كتابه والباقون، توفي سنة (٢١١هـ) [٣].

قال ابن أبي حاتم: "سألت أبي عنه فقال ضعيف الحديث"[٤]، وَقَال النَّسَائي: ليس به بأس[٥].

أسند العقيلي من طريق البخاري قال: رأينا علي بن الحسين سنة (٢١٠هـ) وكان أبو يعقوب يعني إسحاق ابن راهويه سيء الرأي فيه لعلة الإرجاء فتركناه ثم كتبنا عن إسحاق[٦]. وذكره ابن حبان في الثقات[٧].

ونقل ابن حبان عن البخاري قال: كنت أمر عليه طرفي النهار ولم أكتب عنه[٨].قال الذهبي: "ضعفه أبو حاتم وقواه غيره"[٩]، وقال ابن حجر: "صدوق

---

(١) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم:٧٩/٢، وتهذيب الكمال للمزي:٥٠٦/١، وسير أعلام النبلاء:١٦٦/١١،

(٢) تقريب التهذيب:١٠٠.

(٣) ينظر: تهذيب الكمال للمزي:٤٠٦/٢٠،

(٤) الجرح والتعديل:١٧٩/٦.

(٥) ينظر: تهذيب الكمال:٤٠٧/٢٠.

(٦) ينظر: الضعفاء الكبير للعقيلي:٢٢٦/٣.

(٧) ينظر: الثقات لابن حبان:٤٦٠/٨.

(٨) ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر:١٨٦/٤.

(٩) الكاشف:٣٨/٢.

يهم"[1].قلت: والذي يظهر أنه ضعيف يعبر به في الشواهد والمتابعات، فلم أقف على من وثقه غير النسائي وذكره ابن حبان في الثقات.

الْحُسَيْن بن وَاقد أَبُو عَليّ قَاضِي مرو، رَوَى عَن: أوفى بْن دلهم، وأيوب السختياني، وثابت البناني، وعكرمة مولى ابْن عباس، وغيرهم. رَوَى عَنه: زيد بْن الحباب، والأعمش ، وابن المبارك، وغيرهم، توفي سنة (١٥٩هـ)[2].

اثنى عليه أحمد ابن حنبل [3]. وسئل أبو زرعة[4] والنسائي[5] عنه فقال: لا بأس به.

قال عنه يحيى بْن مَعِين: ثقة [6].

يزيد بن أَبي سَعِيد النحوي، أَبُو الحسن القرشي، مولاهم، المروزي. رَوَى عَن: سُلَيْمان بْن بريدة، وأخيه عَبد اللَّهِ بْن بريدة، وعكرمة مولى ابن عباس، ومجاهد بن جبر المكي.

رَوَى عَنه: الحسن بْن رشيد العنبري، والحسين بْن واقد، وعَبد الله بْن سعد الدشتكي، ومحمد بْن بشار، نوح بْن أَبي مريم، ويسار المعلم، وأبو حمزة

---

(١) تقريب التهذيب:٦٩٣.

(٢) ينظر: طبقات ابن سعد:٣٧١/٧، والتاريخ الكبير للبخاري:٣٧٨/٢، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم:٦٦/٣، تهذيب الكمال:١٤٣/٣، سير أعلام النبلاء:١٠٤/٧، تهذيب التهذيب:٣٧٣/٢.

(٣) ينظر: تهذيب الكمال:٤٩٢/٦،

(٤) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم:٦٦/٣.

(٥) ينظر: الثقات لابن حبان:٢٠٩/٦.

(٦) ينظر: تاريخ ابن معين رواية الدوري:١٠١.

السكري: المروزيون.

روى له البخاري في "الأدب" والباقون سوى مسلم. وثقه ابن معين[١] وأبو زُرْعَة، والنَّسَائي[٢] والدارقطني[٣].

وَقَال أَبُو حاتم سألت أبي فقال: صالح الْحَدِيث[٤].وذكره ابنُ حِبَّان في كتاب "الثقات" ، وَقَال: قتله أَبُو مسلم سنة (٣٠١هـ).

عكرمة مولى ابن عَبَّاس أَبُو عَبْد اللَّه الْهَاشِمِيّ سَمِعَ ابْن عَبَّاس وأبا سَعِيد وعَائِشَة. روى عَنْهُ جَابِر بْن زَيْد وَعَمْرو بْن دينار، والشعبي توفي سنة (١٠٤هـ) قَالَ أَبُو عَبْد اللَّه: لَيْسَ أحد من أصحابنا إلا احتج بعكرمة[٥].

قال الذهبي:" واعتمده البخاري وأما مسلم فتجنبه، وروى له قليلًا مقروناً بغيره، وأعرض عنه مالك وتحايده إلا في حديث أو حديثين"[٦]، قال أبو حاتم وممن روي عنه: يزيد النحوي والحسين بن واقد. [٧]. وثقه العجلي[٨] وابن حجر[٩] ونفيا عنه تهمة الحرورية.

---

(١) ينظر: تاريخ ابن معين رواية الدوري:٤/٣٥٤.

(٢) ينظر: تهذيب الكمال:٣٢/١٤٣.

(٣) موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني:٢/٧٢٠.

(٤) ينظر: الجرح والتعديل:٩/٢٧٠.

(٥) ينظر: التاريخ الكبير:٧/٤٩، والجرح والتعديل:٧/٧.

(٦) ميزان الاعتدال:٣/٩٣.

(٧) الجرح والتعديل:٧/٨.

(٨) ينظر: الثقات للعجلي:٣٣٩.

(٩) ينظر: تقريب التهذيب:٦٨٧-٦٨٨.

وممن توسط فيه الذهبي فقال: "صدوق حافظ عالم كذبه مجاهد وابن سيرين ومالك وقال حماد قيل: لأيوب أكانوا يتهمون عكرمة فقال أما أنا فلم أكن أتهمه، وقال أحمد كان يرى رأي الخوارج الصفيرية، وقال ابن المديني: كان عكرمة يرى رأي نجدة. وقد وثقه جماعة واحتجوا به"(١)، وقال ابن عدي: "وأصحاب الصحاح أدخلوا أحاديثه إذا روى عنه ثقة في صحاحهم"(٢).

الحسن بن أبي الحسن البصري، الإمام، أبو سعيد، أبوه يسار، ولد الحسن زمن عمر بن الخطاب، وسمع عثمان، وروى عن عمران بن حصين وأبي موسى، وابن عباس، وجندب، وعنه عون، ويونس، وأُمم، كان كبير الشأن، رفيع الذكر، رأساً في العلم والعمل، توفي سنة (١١٠هـ). ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس(٣).

الحكم على الإسناد:

حكم البيهقي على هذا الإسناد: بأنه مرسل صحيح(٤).

قلت: والذي يظهر من الاختلاف في علي بن الحسين بن واقد المروزي، ما يرجح أنه مرسل حسن ولا يرتقي للصحيح.

ثانياً: الدراية:

بالنظر إلى المتن فإنه يتناول من جهتين:

---

(١) من تكلم فيه وهو ثقة:١٣٦.

(٢) الكامل في الضعفاء لابن عدي:٥/٢٧١-٢٧٢.

(٣) ينظر: تقريب التهذيب:٢٣٦، وجامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي:١٦٢.

(٤) ينظر: دلائل النبوة:٧/١٤٤.

الأولى: دلالة المتن على أنه بيان لتحديد ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة حيث جاء فيه:" ما أنزل الله من القرآن بمكة" ثم قال:" وما نزل بالمدينة"، فتصدير هذا ثم ذكر السور بعدها مما يدل على أن المراد بهذا الأثر هو بيان لما نزل بمكة وما نزل بالمدينة وليس المقصود به الترتيب، كما سيأتي في الجهة الثانية.

الثانية: هو ما ذكره البقاعي في "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور" حيث قال بعد ذكره لهذا الأثر: "فذكره على ترتيبه، غير أنه عطف الكل بالواو، لا بـ ثم"[1].

وهو يشير هنا إلى أن العطف بالواو لا يفيد الترتيب، بخلاف ثم الدالة على العطف مع التراخي، وهو جلي لمن تدبره.

٣.قال البيهقي وقد أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أنا أحمد بن عبيد الصفار، ثنا محمد بن الفضل، ثنا إسماعيل بن عبد الله بن زُرارةَ الرَّقِّي، ثنا عبد العزيز بن عبد الرحمن القرشي، ثنا خُصيفٌ عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: "إن أول ما أنزل الله على نبيه من القرآن (اقرأ باسم ربك)، فذكر معنى هذا الحديث وذكر السور التي سقطت من الرواية الأولى في ذكر ما نزل بمكة، قال: "وللحديث شاهد في تفسير مقاتل وغيره مع المرسل الصحيح الذي تقدم".[2]

أولًا: دراسة الإسناد:

علي بْن أَحْمَد بْن عبدان بْن مُحَمَّد بْن الفرج بْن سعيد أَبُو الحسن الأهوازي،

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور:١٦٦/١.

(٢) يقصد الأثر السابق، ينظر: دلائل النبوة للبيهقي:١٤٢/٧. ونقله السيوطي في الإتقان:٥٣/١-٥٤.

الْحَافِظُ الْمُحَدِّثُ ابْنُ الْمُحَدِّثِ. سمع من أبيه، ومحمد بن محمويه، وأحمد بن عبيد الصفار، وأبي القاسم الطبراني، وانتقى عليه مُحَمَّد بْن أَبِي الفوارس، وهو راوية مسند أحمد بن عبيد الصفار، حَدَّثَنَا عنه الأزهري، والأزجي، والحسن بْن غالب المقرئ، ومحمد بْن مُحَمَّد بْن علي الشروطي، توفي سنة (٤١٥هـ)، ثقة وأبوه حافظ عصره[١].

أحمد بن عبيد بن إسماعيل الحافظ المحدِّث، الحِمْصِيُّ الرُعَيْنِيُّ، الثقة أبو الحسن البصري الصفار، مصنف السنن الذي يكثر أبو بكر البيهقي من التخريج منه في سننه: حدث عن الكديمي ومحمد بن الفرج الأزرق ومحمد بن غالب تمتام وأبي إسماعيل الترمذي وطبقتهم، روى عنه الدارقطني وعلي بن القاسم النجاد وأبو الحسين بن جميع وعلي بن أحمد بن عبدان الشيرازي وآخرون، قال الدارقطني: كان ثقة ثبتًا صنف المسند وجوده. قلت: سماع ابن عبدان منه كان في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة[٢].

محمد بن الفضل بن جابر بن شاذان أبو جعفر السقطي سمع سعيد بن سليمان الواسطي، وعبد الأعلى بن حماد النرسي، وفضيل بن عبد الوهاب، وإبراهيم بن محمد بن عرعرة، وحامد بن يحيى البلخي.

روى عنه ابنه إسحاق، ومحمد بن مخلد، وأبو سهل بن زياد القطان، ومحمد، وأحمد بن يوسف بن خلاد، توفي سنة (٢٨٨هـ). وقال الخطيب: كان ثقة.

---

(١) تاريخ بغداد: ٢٣٢/١٣، وتاريخ جرجان:٥٤٨، وتاريخ الإسلام للذهبي:٢٥٧/٩، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور: ٤١٠.

(٢) ينظر: تذكرة الحفاظ:٦٢/٣، وسير أعلام النبلاء للذهبي:٤٧/١٢

ووافقه الألباني[١]. وذكره الدارقطني، فقال: صدوق[٢].

قلت: ولعل الأظهر أنه صدوق، فإن الدارقطني كتب عنه، قال الحاكم: قال الدَّارَقُطْنِيّ: محمد بن الفضل بن جابر بن شاذان السقطي، صدوق، وابنه إسحاق صدوق، وابن ابنه أحمد بن إسحاق صدوق، كتبت عنهما[٣].

إسماعيل بن عبد الله بن زرارة أبو الحسن الرقي، وقد ينسب إلى جده، توفي سنة (٢٢٩هـ) [٤]. روى عن شريك وحماد بن زيد وعبد الرحمن القرشي وغيرهم، وروى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا وعبد الله بن أحمد بن حنبل، ومحمد السَّقطي وغيرهم، قال أبو حاتم: أدركته ولم أكتب عنه[٥].

قال الخطيب: حدثني الحسن بن محمد الخلال عن أبي الحسن الدارقطني قال: إسماعيل بن عبد الله السكّري: ثقة. قلت: هكذا أورد الخطيب عن أبي الحسن الدارقطني هذا الكلام في ترجمة إسماعيل بن عبد الله بن زرارة أبي الحسن، ويحتمل أن يكون قول الدارقطني عن إسماعيل بن عبد الله بن خالد بن يزيد أبي عبد الله السكري، وهو به أشبه لوصف أبي حاتم الرازي له بالصدق، ولم يذكر في ابن زرارة شيئًا غير ما أوردناه[٦]. ولذا قال الذهبي: وهم ابن عساكر فذكره بدله –يقصد إسماعيل بن عبد الله بن خالد السكري–إسماعيل بن عبد الله بن

---

(١) ينظر: السلسلة الصحيحة:٣/٣٥٥

(٢) ينظر: تاريخ بغداد:٤/٢٥٦، ورجال الحاكم في المستدرك، للوادعي:٢/٢٧٧

(٣) موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني:١/٤٥.

(٤) ينظر: تقريب التهذيب:١٤٠.

(٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم:٢/١٨١.

(٦) ينظر: بغية الطلب في تاريخ حلب:٤/١٦٦٤.

زرارة الرقي، وذا قديم الموت[١]. وذكره ابن حجر تمييزا[٢].

ونقل الذهبي عن الحافظ المزي قوله: "روى ابن ماجه خمسة أحاديث قال فيها: حدثنا إسماعيل بْن عبد الله الرقي، وإنما هُوَ السكري لا ابن زرارة؛ لأن ابن زرارة مات سنة تسع وعشرين، وإنما رحل ابن ماجه بعد الثلاثين"[٣]. قال ابن حجر: صدوق، تكلم فيه الأزدي بلا حجة[٤].

عَبد العزيز بْن عَبد الرَّحْمَنِ البالسي القرشي، روى عن خصيف، روى عنه محمد بن سليمان لوين وإسماعيل بن عبد الله بن زرارة الرقى. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: عرضت على أبي أحاديث سمعتها من إسماعيل بن عبد الله بن زرارة السكوني عن عبد العزيز بن عبد الرحمن القرشي عن خصيف عن أبي صالح عن أسماء بنت يزيد عن خزيمة بن ثابت، فقال لي : عبد العزيز هذا اضرب على حديثه هي كذب أو قال موضوعة.

قَالَ عَبد اللَّهِ وَأَخْبَرَنَا لوين، قَال: حَدَّثَنا عَبد العزيز البالسي كَانَ يكون ببالس، وَهو هذا وعبد العزيز هَذَا يروي عَن خصيف أحاديث بواطيل يرويها عَنْهُ إِسْمَاعِيل بْن زرارة وإسحاق بْن خلدون البالسي وفيها غير حديث خصيف، عَن أَنَس وسائر ذاك كله ليس لها أصول، ولاَ يتابعه الثقات عَلَيْهَا.[٥].قال

---

(١) الكاشف للذهبي:١/٢٤٧.

(٢) تقريب التهذيب لابن حجر:١٤٠.

(٣) تاريخ الإسلام :٥/١٠٨٨.

(٤) ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر:١٤٠.

(٥) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم:٥/٣٨٥، الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي:٦/٥٠٤

النسائي: لَيْسَ بِثِقَة[١]. قال ابن حبان: "يَأْتِي بالمقلوبات عَن الثِّقَات فيكثر والملزقات بالإثبات فيفحش"[٢]. قال ابن عدي: "وَإذا حدث عن خصيف ثقة فلا بأس بحديثه وبرواياته إلاَّ أن يروي عنه عَبد العزيز بن عَبد الرحمن البالسي، يُكَنَّى أبا الأصبغ فإن رواياته عنه بواطيل والبلاء من عَبد العزيز لا من خصيف ويروي عنه نسخة"[٣]. فاتفق الأئمة على تضعيفه كما سبق ، وكذا الدارقطني[٤]، وأبي نعيم[٥]، وغيرهم.

خُصَيف – مصغر بالصاد المهملة آخره فاء– ابن عبد الرحمن ابن زيد الجزري، أبو عون، مولى بني أمية، عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعنه سفيان، وابن فُضيل، توفي سنة (١٣٧هـ)[٦].

قال ابن معين: ليس به بأس[٧]. وقال علي بن المديني قلت ليحيى: مُجَاهِد عَن ابْن عَبَّاس قَالَ: من دون مُجَاهِد؟ قلت خصيف (قَالَ) : لَو كَانَ مَنْصُور إِنَّه خصيف كَانَ يحيى ضعف خصيفاً[٨].

---

(١) ينظر: الضعفاء والمتروكين للنسائي:٧٢.

(٢) المجروحين لابن حبان:١٣٨/٢.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي:٥٢٨/٣.

(٤) ينظر: الضعفاء والمجروحين للدارقطني:١٦٢/٢.

(٥) ينظر: الضعفاء لأبي نعيم:١٠٥/١.

(٦) ينظر: التاريخ الكبير للبخاري:٢٢٨/٣

(٧) ينظر: تاريخ ابن معين رواية الدوري:١٤٥

(٨) أخبار المكيين من تاريخ ابن خثيمة:٢٧٦/١

وضعفه أحمد[١]، ووثقه العجلي[٢]، وقال الذهبي: "صدوق سيء الحفظ، ضعفه أحمد"[٣].

قال ابن حجر: "صدوق سيء الحفظ، خلط بآخره ورمى بالإرجاء"[٤].

مجاهد بن جبر، بفتح الجيم وسكون الموحدة، أبو الحجاج، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، روى عن أبي هريرة، وابن عباس، وسعد، وروى عنه قتادة، وابن عون، وسيف بن سليمان، وحديثه عن عائشة في البخاري[٥] ومسلم[٦] وأحمد في مسنده[٧] والنسائي في سننه[٨]، وابن معين يقول: لم يسمع من عائشة، توفي سنة (١٠٤هـ) وقيل غير ذلك. قال علي بن المديني: "لا أنكر أن يكون مجاهد لقي جماعة من الصحابة، وقد سمع من عائشة"[٩]. ونقل البخاري عن يحيى القطان قوله: "مرسلات مجاهد أحب إلي من مرسلات عطاء

---

(١) المغني في الضعفاء للذهبي:٢٠٩/١

(٢) ينظر: الثقات للعجلي:١٤٣

(٣) الكاشف:٣٧٣/١.

(٤) تقريب التهذيب:٢٩٧.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العمرة، باب: كم اعتمر النبي ﷺ، (١٧٧٦) :٢/٣، وأخرجه في كتاب: المغازي، باب: عمرة القضاء، ذكره أنس عن النبي ﷺ،(٤٢٥٣):١٤٢/٥. وأحمد في مسنده:٤٧١/١٠.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحج، باب: بيان عدد عمر النبي ﷺ، (١٢٥٥):٦١/٤.

(٧) مسند الإمام أحمد (٦٤٣٠) :٤٧١/١٠.

(٨) سنن النسائي، كتاب: الطهارة، باب: القدر الذي يكفي للغسل،(٢٢٦):١٢٧/١.

(٩) إكمال تهذيب الكمال لمغلطاي:٧٨/١١.

بكثير"[1]. وهو حجة ثقة إمام في القراءة والتفسير[2].

الحكم على الإسناد:

هذا الإسناد ضعيف لا تقوم به الحجة، فعبد العزيز بن عبد الرحمن القرشي ضعيف باتفاق الأئمة، وفيه محمد بن الفضل وإسماعيل بن عبد الله بن زرارة صدوقان، وخُصيف مختلف فيه وضعفه أحمد، وهو صدوق سيء الحفظ، خلط بآخره.

ثانياً: الدراية:

قلت هذا الإسناد على ضعفه فإن البيهقي وإن قواه بالإسناد المرسل الصحيح فيما تقدم وبما جاء في تفسير مقاتل، إلا أنه يقال فيه ما قيل في الإسناد السابق من علل في المراد بالمتن؛ إذ هذا الإسناد جاء به البيهقي لإكمال ما سقط من السور في الإسناد السابق، وعليه فإنه يقال فيه: بالنظر إلى المتن فإنه يتناول من جهتين:

الأولى: دلالة المتن على أنه بيان لتحديد ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة حيث جاء فيه:" ما أنزل الله من القرآن بمكة" ثم قال:" وما نزل بالمدينة"، فتصدير هذا ثم ذكر السور بعدها مما يدل على أن المراد بهذا الأثر هو بيان لما نزل بمكة وما نزل بالمدينة وليس المقصود به الترتيب، كما سيأتي في الجهة الثانية.

الثانية: هو ما ذكره البقاعي في "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور" حيث قال بعد ذكره لهذا الأثر: "فذكره على ترتيبه، غير أنه عطف الكل بالواو،

---

(١) التاريخ الكبير للبخاري:٧/٤١٢.

(٢) ينظر: الكاشف:٢/٢٤١، وتقريب التهذيب:٩٢١.

لا بـ ثم"[1].

وهو يشير هنا إلى أن العطف بالواو لا يفيد الترتيب، بخلاف ثم الدالة على العطف مع التراخي، وهو جلي لمن تدبره.

٤. أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الرازي، قال: قال عمر بن هارون قال: حدثنا عمر بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: " أول ما نزل من القرآن بمكة، وما أنزل منه بالمدينة الأول فالأول، فكانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة فكتبت بمكة، ثم يزيد الله فيها ما يشاء، وكان أول ما أنزل من القرآن: اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم ن والقلم، ثم يا أيها المزمل، ثم يا أيها المدثر، ثم الفاتحة، ثم تبت يدا أبي لهب ثم إذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك الأعلى ثم والليل إذا يغشى ثم والفجر وليال عشر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح، ثم والعصر ثم والعاديات ثم إنا أعطيناك الكوثر ثم ألهاكم التكاثر ثم أرأيت الذي يكذب، ثم قل يا أيها الكافرون ثم ألم تر كيف فعل ربك ثم أعوذ برب الفلق ثم أعوذ برب الناس ثم قل هو الله أحد ثم والنجم إذا هوى ثم عبس وتولى ثم إنا أنزلناه في ليلة القدر ثم والشمس وضحاها ثم والسماء ذات البروج ثم والتين والزيتون ثم لإيلاف قريش ثم القارعة ثم لا أقسم بيوم القيامة ثم ويل لكل همزة ثم والمرسلات ثم ق والقرآن ثم لا أقسم بهذا البلد ثم والسماء والطارق ثم اقتربت الساعة ثم ص والقرآن ثم الأعراف، ثم قل أوحي ثم يس والقرآن ثم الفرقان، ثم الملائكة، ثم كهيعص ثم طه ثم الواقعة، ثم طسم الشعراء، ثم

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ١/١٦٦.

طس النمل، ثم القصص، ثم بني إسرائيل، ثم يونس، ثم هود، ثم يوسف، ثم الحجر، ثم الأنعام، ثم الصافات، ثم لقمان، ثم سبأ، ثم الزمر، ثم حم المؤمن، ثم حم السجدة، ثم حم عسق ثم الزخرف، ثم الدخان، ثم الجاثية، ثم الأحقاف، ثم الذاريات، ثم هل أتاك حديث الغاشية ثم الكهف، ثم النحل، ثم إنا أرسلنا نوحا ثم سورة إبراهيم، ثم الأنبياء، ثم المؤمنون، ثم تنزيل السجدة، ثم الطور، ثم تبارك الملك، ثم الحاقة، ثم سأل سائل ثم عم يتساءلون ثم النازعات، ثم إذا السماء انفطرت ثم إذا السماء انشقت ثم الروم، ثم العنكبوت، ثم ويل للمطففين. فهذا ما أنزل الله عز وجل بمكة، وهي ست وثمانون سورة، ثم أنزل بالمدينة سورة البقرة، ثم الأنفال، ثم آل عمران، ثم الأحزاب، ثم الممتحنة، ثم النساء، ثم إذا زلزلت ثم الحديد، ثم سورة محمد، ثم الرعد، ثم سورة الرحمن، ثم هل أتى على الإنسان ثم يا أيها النبي إذا طلقتم ثم لم يكن ثم الحشر، ثم إذا جاء نصر الله ثم النور، ثم الحج، ثم المنافقون، ثم المجادلة، ثم الحجرات، ثم لم تحرم ثم الجمعة، ثم التغابن، ثم الحواريون، ثم الفتح، ثم المائدة، ثم التوبة، فذلك ثمان وعشرون سورة فجميع القرآن مائة سورة وأربع عشرة سورة، وجميع آي القرآن ستة آلاف آية وستمائة آية وست [ص:٣٥] عشرة آية، وجمع حروف القرآن: ثلاث مائة ألف حرف، وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمائة حرف وواحد وسبعون حرفاً "[١].

(١) فضائل القرآن لابن الضريس:٣٣.

أولًا: دراسة الإسناد:

أخبرنا أحمد، قال: حدثنا محمد، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الرازي، قال: قال عمر بن هارون قال: حدثنا عمر بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس.

أحمد بن إسحاق بن نيخاب الطيبي، أبو الحسن، حدث ببغداد في سنة تسع وأربعين وثلاث مائة عن: إبراهيم بن ديزيل، ومحمد بن أحمد بن أبي العوام، وبشر بن موسى، وأبي مسلم الكجي، ومحمد بن أيوب، وعدة، روى عنه: أبو الحسن بن رزقويه، وأبو الحسين بن بشران، وأخوه أبو القاسم، وأبو علي بن شاذان، وآخرون، توفي سنة (٣٤٧هـ)، قال الخطيب: لم نسمع فيه إلا خيراً .[١]، وقال الذهبي:" الشيخ، الصدوق"[٢]، وقال ابن حجر: "محدث مشهور"[٣]، وقال ابن ماكولا: "محدث مشهور، روى عن محمد بن يحيى بن الضريس، بفضائل القرآن وغيره"[٤]. وذكره ابن قطلوبغا في (الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة)[٥].

ذكر ابن حبان في (الثقات)[٦] وابن قطلوبغا في (الثقات ممن لم يقع في الكتب

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد للخطيب:٤/٣٥، والأنساب:٨/٢٨٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي:١٥/٥٣٠.

(٢) سير أعلام النبلاء:١٥/٥٣٠.

(٣) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه:٤/١٤٢٩.

(٤) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب:٧/٣٣٨.

(٥) ١/٢٧٩.

(٦) الثقات لابن حبان:٩/١٥٢.

الستة)[١].

مُحَمَّد بن عَبد اللَّه بن أَبي جعفر الرازي، واسم أبي جعفر، عيسى بن ماهان، روى عن: إبراهيم بن المختار، وداود بن محمَّد الروذي، وأبيه عبد الله بن أَبي جعفر الرازي، وعبد الرحمن بْن زيد بْن أسلم، وعُمَر ابن هارون البلخي. من العاشرة[٢]، وروى عنه: أَبو مسعود أَحمد بن الفرات الرازي، وبهلول ابن إِسحاق الأَنْبارِيّ، وأَبو حاتم مُحَمَّد بْن إدريس، ومحمد بن أيوب ابن يَحْيَى بْن الضريس الرازيون. وروى له أبو داود[٣].

قال عنه أبو حاتم[٤] والذهبي[٥] وابن حجر[٦]:صدوق.

عمر بن هَارُون بن يزيد بن جابر بن سلمة الْبَلْخِي أَبو حفص الثَّقَفِيّ يروي عن بن عرُوبَة وابن جريج وَشعْبَة، روى عَنه العراقيُّون وأهل بلده، توفي سنة (١٩٤هـ)[٧]، وكان ممن يروي عن الثقات المعضلات ويدعي شيوخًا لم يرهم، وكان ابن مهدي حسن الرأي فيه، قال محمد بن عمرو السويقي: شهدت عمر بن هارون ببغداد وهو يحدثهم فيسأل عن حديث لابن جريج رواه عنه الثوري لم يُشارك فيه، فحدث به، فرأيتهم مزقوا عليه الكتب[٨]، قال عنه يحيى

---

(١) الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة لابن قطلوبغا:١٩٨/٨.

(٢) ينظر: تقريب التهذيب:٨٦٠.

(٣) ينظر: تهذيب الكمال للمزي:٣٦٦/٦.

(٤) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم:٣٠٢/٧.

(٥) الكاشف للذهبي:١٨٥/٢.

(٦) تقريب التهذيب:٨٦٠.

(٧) ينظر: تاريخ بغداد للخطيب:١٥/١٣.

(٨) ينظر: المجروحين لابن حبان:٩٠/٢.

بن معين: ليس هو ثقة[١]، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث نخسه ابن المبارك نخسة، وجاء عن أبي زرعة أن الناس تركوا حديثه[٢]، قال السعدي: "عمر بن هارون لم يقنع الناس بحديثه"[٣]، قال العجلي: "ضعيف"[٤]، قال النسائي:" مَتْرُوك الحديث"[٥]، قال الذهبي: "واهٍ اتَّهمه بعضهم"[٦]، و قال ابن حجر: "متروك"[٧].

عمر بن عطاء، عن أبيه.

في هذا الإسناد وقفت منه باحتمالين:

الأول: أن يكون عمر بن عطاء هو عمر بن عطاء بن وراز، وضبطه الذهبي[٨]وابن حجر[٩] بالوَرَاز، بفتح الواو والراء الخفيفة وآخره زاي، وقيل: وران، فوهاه الذهبي وضعفه ابن حجر، وعليه يكون سقط من الإسناد ابن جريج الواسطة بين عمر بن هارون وعمر بن عطاء.

وكذلك لم يعرف عن عمر بن عطاء بن وراز رواية عن أبيه، وعمر بن عطاء

---

(١) ينظر: تاريخ ابن معين، رواية ابن محرز:١/٥٤.

(٢) الجرح والتعديل :٦/١٤١.

(٣) أحوال الرجال للسعدي:٣٥٥.

(٤) الثقات للعجلي:٣٦١.

(٥) الضعفاء والمتروكين للنسائي:٨٤.

(٦) الكاشف:٢/٧٠.

(٧) تقريب التهذيب:٧٢٨.

(٨) ينظر: الكاشف:٦٧.

(٩) ينظر: تقريب التهذيب:٧٢٥.

يروي عن عكرمة، وعليه فإن الواسطة بين عمر بن عطاء وابن عباس هو عكرمة!!

الثاني: ثم بدا لي أن أتتبع إسناد ابن الضريس فيمن نقل عنه هذا الأثر عن ابن عباس، فتبين لي أن في كتاب فضائل القرآن لابن الضريس تصحيفًا من (عثمان بن عطاء) إلى (عمر بن عطاء)! حيث ذكره السخاوي في جمال القراء[١] عن عثمان بن عطاء بن أبي مسلم، وكذا النووي في جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحرف والأصوات[٢]، وابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري[٣]، والسيوطي في الإتقان في علوم القرآن[٤].

وليزول الشك ويقوى هذا الاحتمال تتبعت روايات عمر بن هارون عن عثمان بن عطاء، فذكرها: أبو بكر محمد بن عبدويه الشافعي توفي سنة (٢٥٤هـ) في الغيلانيات[٥]، والجهضمي المتوفى سنة (٢٨٢هـ) في أحكام القرآن[٦]، والطبراني المتوفى سنة(٣٦٠هـ) في مسند الشاميين[٧]، وأبو عمرو الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ) في البيان في عدِّ آي القرآن[٨]، وغيرهم

---

(١) ينظر:١/١٠٦.

(٢) ينظر:٣٣.

(٣) ينظر:٩/٤١.

(٤) ينظر:١/٥٤.

(٥) ينظر:١/٣٠٥.

(٦) ينظر:١/١٢٢.

(٧) ينظر:٣/٣٣٧.

(٨) ينظر:١/٨٠.

فالروايات تثبت أن عمر بن هارون يروي عن عثمان بن عطاء الخرساني لا عن عمر بن عطاء.

عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني واسم أبي مسلم عبد الله بن الأزدي، أكثر روايته عن أبيه، روى عنه محمد بن شعيب بن شابور وسعد بن الصلت وآخرون، توفي سنة (١٥٥هـ)[١]، قال البخاري: "ليس بذلك"[٢]، قال يحيى: ضعيف، وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال علي بن الجنيد: متروك، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بروايته، قال الدارقطني: هو ضعيف الحديث جداً، وقال السعدي: ليس بالقوي في الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن خزيمة: لا أحتج بحديثه، وقال أبو حاتم: سألت دحيماً عنه، فقال: لا بأس به، فقلت: أن أصحابنا يضعفونه، قال: وأي شيء حدث عثمان من الحديث واستحسن حديثه[٣].

وعطاء بن أبي مسلم الخرساني، أرسل عن ابن عباس وطائفة من الصحابة[٤]، وروى عن عكرمة ويحيى بن يعمر والطبقة، وعنه ابنه عثمان، والأوزاعي ومالك وغيرهم، توفي سنة (١٣٥هـ)[٥].

قال ابن حبان: عطاء لا يجوز الاحتجاج بروايته؛ لما فيها من المقلوبات التي

---

(١) ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر:٣٨/٤٤٨.

(٢) التاريخ الكبير:٦/٢٤٤.

(٣) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي:٢/١٧٠، وتهذيب التهذيب لابن حجر:٧/١٣٩.

(٤) ينظر: جامع التحصيل للعلائي:٢٣٨.

(٥) ينظر: الكاشف:٢/٢٣.

وهم فيها، فلست أدري البلية في تلك الأخبار من عثمان أو من ناحية أبيه، وهذا شيء يشتبه إذا روى رجل ليس بمشهور بالعدالة عن شيخ ضعيف[1]، وقال ابن حجر: "صدوق يهم كثيراً ويرسل ويدلس"[2].

الحكم على الإسناد:

هذا الإسناد ضعيف جداً، ففيه عمر بن هارون البلخي متروك، وعثمان بن عطاء الخرساني ضعيف لا يحتج به، وفيه علة أخرى وهي إرسال عطاء بن أبي مسلم عن ابن عباس.

ثانياً: الدراية:

الذي يظهر أن هذا الأثر يراد به معرفة المكي والمدني لا ترتيب النزول لقوله (ثم أنزل بالمدينة)، والعطف بـ(ثم) هنا معارضة لما صح من مرسل عكرمة والحسن، الذي جاء العطف فيه بالواو، والصحيح مقدم فيكون مطلق العطف هو المقدم، فالضعيف لا يعارض الصحيح، أو يقدم عليه أو يرى بأن فيه زيادة بـ(ثم) على العطف بالواو؛ لأن الزيادة تقبل إذا كان مخرجهما واحد وصحيحان، أما هذا الأثر فهو مختلف وضعيف جداً.

٥. قال أبو عبيد القاسم بن سلام، حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والحج، والنور، والأحزاب، والذين

---

(١) ينظر: المجروحين:٢/١٠٠.

(٢) تقريب التهذيب:٦٧٩.

كفروا[1]، والفتح، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والحواريون يريد الصف والتغابن، ويا أيها النبي إذا طلقتم، ويا أيها النبي لم تحرم، والفجر، والليل، وإنا أنزلناه في ليلة القدر، ولم يكن، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله؛ وسائر ذلك بمكة[2].

أولاً: دراسة الإسناد:

قال أبو عبيد القاسم بن سلام، حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة.

القاسم بن سَلام أَبو عبيد البغداديّ، يروي عَن عبد الله بن صالح وشريك وَإِسْمَاعِيل بن جَعْفَر، وهشيم ويحيى القطان، رَوَى عنه أهل العراق، توفي سنة (٢٢٤هـ)، وكان أحد أَئِمَّة الدنيا صَاحب حَدِيث وَفقه ودين وورع ومعرفة بالأدب وأَيَّام النَّاس مِمَّن جمع وصنف واختار وذبَّ عن الحديث ونصره وقمع من خالفه وحاد عنه[3]، قال الذهبي: "ثقة علامة"[4]، وقال ابن حجر: "الإمام المشهور، ثقة فاضل، مصنف"[5].

عبد اللَّه بن صالح بن مُحَمَّد بن مسلم أبو صالح كاتب الليث بن سعد قدم مع الليث بغداد، ولا يعلم أنه حدَّث بها، وكان يذكر أنه رأى زياد بن

---

(١) يعني بها سورة محمد.

(٢) فضائل القرآن للقاسم بن سلام:٣٦٥.

(٣) ينظر: الثقات لابن حبان:١٦/٩، تهذيب الكمال للمزي:٣٥٤/٢٣.

(٤) الكاشف:١٢٨/٢.

(٥) تقريب التهذيب:٧٩١.

فائد، وعمرو بن الحارث، سمع من عبد الله بن لهيعة، والليث بن سعد، ومعاوية بن صالح، ويَحْيَى بن أيوب، وغيرهم، روى عنه جماعة من الأئمة مثل أبي عبيد القاسم بن سلام، ومحمد بن سعد البخاري، ومحمَّد الذهلي، وأَحمد بن منصور الرمادي، ومحمَّد بن إسحاق الصاغاني، وعامة الشيوخ المصريين، وحدَّث عنه الليث بن سعد، توفي سنة (٢٢٣هـ)[١].

قال الذهبي: "كان صاحب حديث، فيه لين، قال أبو زرعة: حسن الحديث لم يكن ممن يكذب، وقال الفضل الشعراني: ما رأيته إلا يحدث أو يُسبِّح، وقال ابن عدي: هو عندي مستقيم الحديث له أغاليط، وكذَّبه جزرة"[٢]. قال ابن حجر: "صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة"[٣].

معاوية بن صالح بن حدير بن سعيد الكلاعي الحضرمي أبو عمرو، قاضى الأندلس، روى عن راشد ابن سعد وعبد الرحمن بن جبير وسليم ابن عامر، روى عنه الثوري والليث بن سعد وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن صالح كاتب الليث، توفي سنة (١٥٨هـ) ، قال يحيى القطان: ما كنا نأخذ عنه في ذلك الزمان ولا حرفاً، وكان أحمد ابن حنبل وعبد الرحمن بن مهدي يوثقاه، واختلف عن يحيى بن معين: فقال: ليس برضا، ونقل عنه أبو بكر بن أبي

(١) ينظر: تاريخ بغداد:١١/١٥٥.

(٢) الكاشف:١/٥٦٢.

(٣) تقريب التهذيب:٥١٥.

خيثمة[١]: أنه صالح، ونقل الطيالسي[٢] عن يحيى بن معين : أنه ثقة.

قال أبو حاتم : صالح الحديث، حسن الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال أبو زرعة: ثقة محدث[٣]، وقال النَّسَائي: ثقة، وَقَال ابْن خراش: صدوق[٤]، قال ابن عدي: وحدث عَنْهُ اللَّيْث وبشر بْن السري وثقات الناس وما أرى بحديثه بأساً، وَهو عندي صدوق إلا أَنَّهُ يقع فِي أحاديثه إفرادات[٥].

قال الذهبي: "صدوق إمام"[٦]، قال ابن حجر: "صدوق له أوهام"[٧].

قلت: والصحيح: أن معاوية بن صالح ثقة، فلم يضعفه إلا يحيى بن سعيد وهو معروف بتشدده، وأما يحيى بن معين فاختلفت الرواية عنه، قال الترمذي: "معاوية بن صالح ثقة عند أهل الحديث، ولا نعلم أحداً تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان"[٨].

علي بن أبي طلحة أبو الحسن الهاشمي، روى عن ابن عباس مرسلًا بينهما مجاهد ومحمد بن زيد وراشد بن سعد، روى عنه بديل بن ميسرة ومعمر وعبد

---

(١) ينظر: تاريخ ابن الفرضي:١٣٩/٢.

(٢) ينظر: تهذيب الكمال للمزي:١٨٩/٢٨.

(٣) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم:٣٨٢/٨-٣٨٣.

(٤) ينظر: تهذيب الكمال للمزي:١٩٢/٢٨.

(٥) ينظر: الكامل في الضعفاء:١٤٦/٨.

(٦) الكاشف:٢٧٦/٢.

(٧) تقريب التهذيب:٩٥٥.

(٨) الجامع الصحيح للترمذي:٣٢/٥.

الله بن سالم وداود بن أبي هند، ومعاوية بن صالح، وغيرهم، توفي سنة (١٤٣هـ)، روى له مسلم[١] وأبوداود[٢] والنسائي[٣] وابن ماجه[٤][٥].

عن الميموني عن أَحمد ابن حنبل: عليّ بن أَبي طلحة له أشياء منكرات وهو من أهل حمص[٦].

ونقل عبد الله بن أحمد عن أبيه أنه ثقة[٧]، وقال دحيم: لم يسمع على بن أبي طلحة من ابن عباس التفسير[٨]، وقال أبو داود: هو في الحديث- إن شاء الله تعالى- مستقيم، كان له رأي سوء وكان يرى السيف[٩]، وقد وثقه العجلي[١٠]، قال ابن حبان: وهو الذي يروي عن ابن عباس الناسخ والمنسوخ ولم يره[١١].

الحكم على الإسناد:

هذا الإسناد حسن، فإن عبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد صدوق، وأما علي بن أبي طلحة فلم يسمع من ابن عباس ولكن الواسطة معلومة وهو

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: حكم العزل:٤/١٥٩، ح(١٤٣٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سنن، كتاب: الفرائض، باب: في ميراث ذوي الأرحام: ٣/٢١٥ح(٢٨٩٩).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (تحفة الأشراف:١١٥٦٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الفرائض، باب: ذوو الأرحام:٤/٢٩٥، ح(٢٧٣٨).

(٥) ينظر: التاريخ الكبير للبخاري:٦/٢٨١، وتهذيب الكمال للمزي:٢٠/٤٩٠.

(٦) ينظر: تهذيب الكمال للمزي:٢٠/٤٩١.

(٧) ينظر: علل أحمد:١/٩٤.

(٨) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم:٦/١٨٨.

(٩) سؤالات الآجري لأبي داود:٢/٢٦٥.

(١٠) الثقات للعجلي:١/٣٤٨.

(١١) ينظر: الثقات لابن حبان:٧/٢١١.

مجاهد كما وضحه ابن حجر في التهذيب[1].

ونقل ابن كثير الأثر بهذا الإسناد وقال: "وهذا إسنادٌ صحيحٌ عن ابن أبي طلحة مشهور، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير"[2].

ثانياً: الدراية:

هذا الأثر واضح الدلالة في ترتيب النزول حسب ترتيب المصحف العثماني، وليس فيه ما يدل على ترتيب النزول وفقها، وما ذكر عن ابن عباس هنا إنما بيان للسور المكية والسور المدنية وفق الترتيب الذي عليه المصحف الشريف، والعطف بالواو دال على عدم الترتيب كما سبق.

وقال ابن كثير بعد أن ذكر هذا الأثر: "وقد ذكر في المدني سوراً في كونها مدنية نظر، وفاته الحجرات والمعوذات"[3].

٦. قال أبو بكر الأنباري: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا حجاج بن منهال، ثنا همام عن قتادة: "نزل في المدينة من القرآن البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمن، الحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، ويا أيها النبي لم تحرم، إلى رأس العشر، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله، وسائر القرآن نزل بمكة".

---

(١) ينظر: تهذيب التهذيب: ٤/٢٠٤.

(٢) فضائل القرآن لابن كثير: ٣٩.

(٣) المصدر السابق.

هذا الأثر ذكره أبو بكر الأنباري في كتابه "الرد على من خالف مصحف عثمان" والكتاب مفقود، ونقل هذا الأثر عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن(١)، والحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره(٢)، والسيوطي في الإتقان في علوم القرآن(٣). وقد اتفقوا في نقل الأثر من طريق أبي بكر الأنباري، إلا أن القرطبي وابن كثير قدما سورة الرحمن على سورة الحديد بخلاف السيوطي فإنه قدم سورة الحديد على سورة الرحمن.

هذا وقد جاء الأثر عن قتادة من طرق أخرى صحيحة، مع خلاف يسير في المتن، حيث جاء من طريق الحارث المحاسبي قال: قال وحدثنا شُرَيح قال حدثنا سفيان عن معمر عن قتادة قال السُّور المدنية البقرة وآل عمران والنِّساء والمائدة والأنفال والتَّوبة والرعد والحجر والنحل والنور والأحزاب وسورة محمَّد -صلى الله عليه وسلم- والفتح والحجرات والحديد والمجادلة والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والنِّساء القصرى ويا أَيها النَّبي لم تحرم ولم يكن وإِذا جاء نصر الله والفتح وقل هو الله أحد وهو يشك في أَرَأَيْت(٤). والخلاف بين متنه وما جاء من طريق ابن الأنباري في أنه: زاد ذكر سورة الأنفال، وسورة الحجر، والإخلاص، ولم يذكر الحج، والرحمن، والحشر، والبينة.

وجاء أيضاً من طريق آخر عن أبي عمرو الداني مع اختلاف يسير في

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:١/٦١.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير:١/٩٨.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:١/٥٧.

(٤) فهم القرآن للمحاسبي:٣٩٥.

المتن أيضاً:

قال أبو عمرو الداني: "أخبرنا فارس بن أَحمد قال أَنا أَحمد بن مُحَمَّد قال أَنا أَحمد ابن عثمان قال أَنا الفضل بن شاذان قال أَنا إِبراهِيم بن موسى قال أَنا يزيد ابن زُرَيع قال أَنا سعيد عن قتادة قال المدنِي البقرة وآل عمران والنِّساء والمائدة والأنفال وبراءة والرعد والحج والنور والأحزاب ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ و ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ والمسبحات من سورة الحديد إلى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ و ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ و ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ و ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ مدني وما بقي مكي"(١).

والخلاف بين متنه وما جاء من طريق ابن الأنباري في أنه: زاد ذكر سورة الأنفال، والبينة، ولم يذكر النحل، والرحمن.

وسوف أتناول دراسة إسناد أبي بكر بن الأنباري، لنقل المحققين له واعتمادهم عليه كالقرطبي وابن كثير والسيوطي، وفيه إضافة نقلها القرطبي عن ابن الأنباري تعقيباً على هذا الأثر، ستأتي في قسم الدراية لهذا الأثر، كما أن الحارث تكلم فيه الإمام أحمد، وأبو عمرو الداني توفي سنة (٤٤٤هـ) فهو متأخر عن ابن الأنباري، فناسب تقديم إسناد أبي بكر ابن الأنباري.

أولاً: دراسة الإسناد:

قال أبو بكر الأنباري: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا حجاج بن منهال، ثنا همام عن قتادة.

---

(١) البيان في عدِّ آي القرآن:١٣٣.

محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، الحافظ المشهور[١]، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظًا له، وسمع الحديث من أبيه وإسماعيل بن إسحاق القاضي وإبراهيم الحربي، والكُدَيمي وثعلب وغيرهم، وصنف كتبًا كثيرة كان يمليها من حفظه، وكان صدوقًا خيرًا من أهل السنة[٢]، توفي سنة (٣٢٨هـ)، وروى عنه الدّارقطني، وأبو عمر بن حيوية، وأبو عبد الله بن بطة، وخلق كثير[٣].

إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم، بن بابك الجهضمي، الأزدي، سمع محمد بن عبد الله الأنصاري، وعلي بن المديني، ومسلم الفراهيدي، وسليمان الواشجي، وحجاج بن منهال الأنماطي، ومسدَّد والقعنبي، وغيرهم، روى عنه موسى بن هارون الحافظ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبو القاسم البغوي وابن الأنباري، وغيرهم، توفي سنة (٢٨٢هـ)، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: كان ثقة صدوقاً، وكتب إلينا ببعض حديثه، قال غيره: كان ثقة.[٤]. قال السلمي: سألت الدَّارَقُطنِيّ، عن إسماعيل ابن إسحاق القاضي، فقال: إمام جليل ثقة، وهو تاج القضاة[٥].

---

(١) ينظر: مصباح الأريب في تقريب الرواة الذين ليسوا في تقريب التهذيب للعنسي:٣/٢١٦.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد للخطيب:٤/٢٩٩.

(٣) ينظر: الدليل المغني لشيوخ الإمام أبي الحسن الدارقطني:١/٤٤٧، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي:٦٨٥، والدر الثمين في أسماء المصنفين للساعي:١١٨.

(٤) ينظر: ترتيب المدارك لعياض:٤/٢٧٨، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون:١/٢٨٢، وسير أعلام النبلاء للذهبي:١٣/٣٣٩.

(٥) ينظر موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني:١/١٢٢.

حجاج بن المنهال أبو محمد الأنماطي البصري سمع شعبة وحماد بن سلمة، وهمام ويزيد بن إبراهيم روى عنه أبي ومحمد بن يحيى النيسابوري ومحمد بن مسلم توفي سنة (٢١٧هـ)[١].

وثقه أحمد ابن حنبل وأبو حاتم الرازي[٢] والنسائي وابن سعد وابن قانع[٣] والعجلي[٤] وابن حجر[٥]

همام بن يحيى بن دينار أبو عبد الله العوذي الأزدي المحلمي الشيباني البصري سمع الحسن وقتادة ويحيى ابن أبي كثير، وغيرهم، وروى عنه ابن المبارك وأهل البصرة، توفي سنة(١٦٣هـ) [٦]، قال أحمد ابن حنبل كان عبد الرحمن بن مهدي يرضاه، وفي رواية صالح بن أحمد بن حنبل قال: ثبت في كل المشايخ، قال يحيى بن معين همام: ثقة صالح عن قتادة، وقال أبو حاتم: ثقة صدوق في حفظه شيء، وهو في قتادة أحب إلي.

وقال يزيد بن هارون كان همام قويًّا في الحديث، وسئل عنه أبو زرعة فقال: بصري لا بأس به[٧]، ووثقه العجلي[٨].

---

(١) ينظر: التاريخ الكبير ببخاري:٢/٣٨٠، والثقات لابن حبان:٨/٢٠٢.

(٢) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم:٣/١٧٦.

(٣) ينظر: تهذيب التهذيب:٨/٨٢.

(٤) الثقات للعجلي:١/٢٨٦.

(٥) تقريب التهذيب:٢٢٤.

(٦) ينظر: التاريخ الكبير للبخاري:٨/٢٣٧، والثقات لابن حبان:٧/٥٨٦.

(٧) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم:٩/١٠٨.

(٨) الثقات للعجلي:٢/٣٣٤.

قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس أبو الخطاب السدوسي البصري ولد أكمه روى عن أنس بن مالك وعبد الله بن سرجس وأبي الطفيل وصفية بنت شيبة وأرسل عن سفينة وأبي سعيد الخدري وسنان بن سلمة بن المحبق وعمران بن حصين وغيرهم.

روى عنه: أيوب السختياني وسليمان التيمي وجرير بن حازم وشعبة ومسعر ويزيد بن إبراهيم التستري وهمام بن يحيى، وغيرهم، قال ابن المسيب: ما أتانا عراقي أحفظ من قتادة، وقال ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس، وقال ابن مهدي: قتادة أحفظ من خمسين مثل حميد، قال حماد بن زيد توفي سنة (١١٧هـ)، وقد احتج به أرباب الصحاح[١]. أحد المشهورين بالتدليس وهو أيضاً يكثر من الإرسال. [٢].

الحكم على الإسناد:

مرسل صحيح عن قتادة، ومثل هذا لا يقال بمجرد الرأي فيأخذ حكم الرفع.

كما يقوي إسناده ما جاء سابقاً من طريق الحارث المحاسبي وطريق أبي عمرو الداني.

ثانياً: الدراية:

يقال في هذا الأثر ما قيل سابقاً، بأن ما ورد في الأثر بيان للسورة المدنية نزولًا، وهي موافقة لترتيب المصحف العثماني، وكذلك العطف بالواو لا يقتضي

---

(١) ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر:٤٨/٧، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال، للخزرجي:٣١٥.

(٢) ينظر: جامع التحصيل للعلائي:٢٥٤.

الترتيب كما ذكرناه عن البقاعي فيما سبق.

ثم ما نقله القرطبي عن ابن الأنباري، بعد أن ذكر هذا الأثر بإسناده، قال أَبو بكرٍ: فمن عمل على تركِ الأَثر والإِعراض عن الإِجماعِ ونظم السُّور على منازلها بمكةَ والمدينة، لم يدرِ أَين تقع الفاتحة، لاختلاف النَّاسِ في موضِعِ نُزُولها، ويضطرُّ إِلى تأخير الآية التي في رأس خمسٍ وثلاثينَ ومائين من البقرة إِلى رأس الأَربعين(١).

هذه هي أهم الآثار التي يحتج بها من أجاز إعادة ترتيب القرآن حسب النزول أو من يجد له مندوحة واستساغة للتقديم والتأخير، فقد حرصت على دراستها، وبيان عللها ورجالها، وما فيها من دلالة ظاهرة في هذه الآثار.

ثم أنبه لأمر مهم ألا وهو حفظ جهود السابقين الذي ألفوا في المناسبات بين السور والآيات، وأن عملهم قائم على قبول المناسبة وظهورها على وفق ترتيب المصحف العثماني، وإعادة الترتيب على ما يطالب به المتأخرون سواء في التفسير فقط دون التلاوة، أو من يدعو لإعادة ترتيب تلاوة المصحف يسقط عملهم وينبذ مؤلفاتهم، فلهم السبق والفضل، وما قاموا به من تجلية المناسبات بما يحمدون على صنيعهم.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٦٢/١.

الخاتمة

الحمد لله المتفرد بالجلال والإكرام، عظيم الشأن، له الحمد في الأولى والآخرة، أحمده على نعمه وتوفيقه على الإتمام، وبعد التجوال في كتب العلم والتطواف في تضاعيفها في المناسبة والتناسب والنزول لآيات القرآن وسورها، وقفت على بعض النتائج التي من أهمها:

- أن القرآن تعهد الله ﷻ بحفظه من التبديل وصانه من التغيير فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩، ومن هذا الحفظ حفظ ترتيبه وفق العرضة الأخيرة والتي أجمع عليها الصحابة –رضي الله عنهم–.
- إن المطالبة بإعادة ترتيب القرآن حسب نزوله ومخالفة الترتيب الذي اتفق عليه الصحابة ومن بعدهم، مردود بما التمسه العلماء من وجوه التناسب بين الآيات والسور، وهو ما يدل عليه حسن الترتيب والتناسق النظمي وكذا الموضوعي.
- أن فتح من هذا الباب وإن كان في التفسير لمن صحت نيته، هو مستند لمن ارتابت قلوبهم في محاولة طلب إعادة ترتيب القرآن وفق النزول.
- أن للقرآن قداسة وحرمة لا يمكن التشكيك فيها، وانتهاج مثل هذا الأسلوب يضعف هذه الحرمة ويوغر فيمن ضعف إيمانه الريبة في تكامل هذا القرآن وتماسكه، وأنه عرضة للتغيير والتبديل.
- أن من طالب بهذه الطريقة من التفسير حسب نزول القرآن لم يستند على دليل قطعي، وكذا يرى بأن هذا الترتيب اجتهاد وليس توقيفًا، وهو خلاف الصواب في هذه المسألة كما بينا، والاجتهاد في الثوابت يجعلها عرضة

للتبديل والتغيير لخضوعها لاجتهادات مختلفة.

التوصيات:

من التوصيات المهمة التي تتعلق بهذا الموضوع هو عقد مقارنة بين ما التمسه علماء القرآن من مناسبات بين الآيات والسور، وما اجتهد فيه ممن ألّف في التفسير على طريقة إعادة ترتيب القرآن حسب النزول، وبيان الفروق بينهما.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١. اتجاهات التفسير في مصر وبلاد الشام، فضل عباس رسالة دكتوراه في الأزهر، مصر.

٢. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٣. أحوال الرجال للسعدي، إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني أبو إسحاق، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.

٤. أخبار المكيين من كتاب التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة، أحمد بن زهير بن حرب، تحقيق: إسماعيل حسن حسين، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧م.

٥. الإرشاد في معرفة علماء الحديث، الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني أبو يعلى، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩

٦. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة: الثانية ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

٧. إعادة ترتيب سور القرآن الكريم جحود صريح بتنجيمه وبتوقيف ترتيبه، مقال لمحمد شركي. https://pulpit.alwatanvoice.com .

٨. إكمال تهذيب الكمال الحافظ علاء الدين مغلطاي بن قليج الحنفي، المحققان: أبو عبد الرحمن عادل ابن محمد و أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٩. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ناسف العباسي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ.

١٠. إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
١١. الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب أبوبكر الباقلاني، تحقيق: عصام القضاة، دار لفتح، عمان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٢. البرهان في تناسب سور القرآن، لابن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، الجامعة الزيتونية للشريعة وأصول الدين، تونس، ١٤٠٨هـ.
١٣. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت ، ١٣٩١هـ.
١٤. بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي ابن العديم، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر.
١٥. البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، الطبعة الأولى ،١٤١٤ هـ-١٩٩٤ م
١٦. البيان والتبيين لضوابط ووسائل تمييز الرواة المهملين، د. محمد بن تركي التركي، أستاذ الحديث المساعد، بقسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية – جامعة الملك سعود.
١٧. تاريخ ابن معين رواية الدوري، يحيى بن معين أبو زكريا، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م.
١٨. تاريخ ابن معين، رواية ابن محرز، يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام المري بالولاء، البغدادي، تحقيق: محمد كامل القصار، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٥هـ١٩٨٥م.
١٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت،

الطبعة الأولى، سنة النشر: ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٢٠. تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
٢١. تاريخ جرجان، حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠١ هـ ١٩٨١م.
٢٢. تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الفكر – بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ – هـ – ١٩٩٨ م.
٢٣. تاريخ علماء الأندلس، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، ابن الفرضي، تحقيق: السيد عزت العطار الحسني، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
٢٤. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، أحمد بن علي ابن حَجَر العسقلاني، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م.
٢٥. تتمة الأعلام، محمد خير رمضان يوسف الزركلي، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
٢٦. تدبر سورة الفرقان في وحدة موضوع، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٢٧. تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد الكوثري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٢٨. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٩. تفسير البحر المحيط محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، زكريا عبد المجيد النوقي، أحمد الجمل، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م.

٣٠. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس، ١٩٨٤م.
٣١. التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرية، مصر، ١٣٨٣هـ.
٣٢. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير الدمشقي، مؤسسة الريان، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.
٣٣. تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد الباكستاني، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٣٤. التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر الشهير بابن النقطة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
٣٥. التناسق الموضوعي في سورة الإسراء، منصور بن علي العمراني، مكتبة المجتمع العربي، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ ٢٠١٧.
٣٦. تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عمر السلامي وعلي بن مسعود، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ
٣٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٣٨. الثقات لابن حبان محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م.
٣٩. الثقات للعجلي معرفة الثقات، أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي، تحقيق : عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.
٤٠. الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة لابن قطلوبغا، تحقيق: شادي بن محمد سالم آل نعمان، صنعاء، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.
٤١. جامع التحصيل في أحكام المراسيل، أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي العلائي،

تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦م.
٤٢. الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤ م.
٤٣. الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢م.
٤٤. الدر الثمين في أسماء المصنفين، علي بن أنجب بن عثمان أبو طالب الساعي، تحقيق: أحمد شوقي بنبين، محمد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م.
٤٥. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية ـ ودار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م
٤٦. الدليل المغني لشيوخ الإمام أبي الحسن الدارقطني، نايف بن صلاح بن علي المنصوري، دار الكيان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
٤٧. الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، إبراهيم بن نور الدين ابن فرحون، تحقيق: علي عمر، الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٤٨. رجال الحاكم في المستدرك، مقبل بن هادي بن مقبل بن قائدة الوادعي، مكتبة صنعاء الأثرية، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.
٤٩. سراج المريدين في سبيل الدين، محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، تحقيق: عصمت دندش، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ.
٥٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ

٥١. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.
٥٢. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: عزة عبيد الدعاس، دار الحديث.
٥٣. سنن الترمذي، وهو الجامع الصحيح، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
٥٤. السنن الكبرى، أحمد بن حسين بن علي البيهقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٥٥. سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ ١٩٩١م.
٥٦. سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي الخرساني، أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
٥٧. سؤالات الآجري لأبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق : محمد علي قاسم العمري، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م.
٥٨. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
٥٩. الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: أحمد صقر، مؤسسة المختار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
٦٠. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ١٩٩٣م.
٦١. صحيح مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد

الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٢. الضعفاء الكبير، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
٦٣. الضعفاء لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن مهران الأصبهاني، تحقيق: فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ١٩٨٤م.
٦٤. الضعفاء والمتروكين أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: بوران الضناوي، كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م.
٦٥. الضعفاء والمجروحين الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني، تحقيق: عبد الرحيم محمد القشقري، المكتبة الشاملة.
٦٦. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨ م.
٦٧. طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
٦٨. عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر، زوجي كما عرفته، لزوجته: عائدة راغب الجراح، دار القلم، دمشق.
٦٩. العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة السادسة عشرة، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.
٧٠. العلل ومعرفة الرجال عن أحمد بن حنبل رواية المروذي، أحمد بن محمد ابن حنبل الشيباني، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، الدارس السلفية، بومباي، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٧١. علم المقاصد الشرعية، نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى،

١٤٢١هـ.
٧٢. علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، دار الشواف، الطبعة الرابعة، المكتبة الشاملة.
٧٣. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر، ١٤١٢هـ.
٧٤. فضائل القرآن، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٧٥. فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: مروان العطية وزملاؤه، دار ابن كثير، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ
٧٦. فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي أبو عبد الله، تحقيق: حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.
٧٧. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ.
٧٨. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
٧٩. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، أحمد بن محمد الذهبي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
٨٠. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
٨١. الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد

الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨م.
٨٢. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، مطبعة محمود بك، الطبعة الأولى، ١٣١٩هـ.
٨٣. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة العبسي، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤٠٩هـ.
٨٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٨٥. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ.
٨٦. مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، دار الملايين، الطبعة الخامسة والعشرون، ١٤٢٣هـ.
٨٧. المجروحين، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي ، حلب.
٨٨. مجلة الراوية الأسبوعية، ٦ نوفمبر سنة ١٩٣٥م.
٨٩. مجلة كنوز الفرقان، تصدر من الاتحاد العام لجماعة القراء، السنة الأولى، العدد الأول، محرم، ١٣٦٨هـ.
٩٠. مجموع فتاوى ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،١٤١٦هـ.
٩١. المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ.
٩٢. محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، فريد مصطفى سليمان
٩٣. المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن سويلم أبوشهبة، مكتبة السنة، القاهرة،

الطبعة الثانية.
٩٤. مذاهب التفسير الإسلامي، جولد زيهر، تعريب: عبد الحليم النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م.
٩٥. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٩٦. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم النيسابوري، ابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٩٧. مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٩٨. مسند أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٩٩. مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى.
١٠٠. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور "المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى" إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٠١. مصباح الأريب في تقريب الرواة الذين ليسوا في تقريب التهذيب، جمعه: محمد بن أحمد المصنعي العنسي، مكتبة صنعاء الأثرية، الفاروق الحديثة، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
١٠٢. معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٠٣. معرفة القراء الكبار، محمد بن أحمد عثمان الذهبي، تحقيق: طيار آلتي قولاج، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
١٠٤. المغني في الضعفاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: نور الدين عتر، دار إحياء التراث العربي، قطر، الطبعة ٦٥.
١٠٥. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
١٠٦. مناقب الإمام أحمد، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
١٠٧. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد بن عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
١٠٨. منهج عبد الرحمن الميداني في التفسير، نادي حسن علي صبرا، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، أيار، ٢٠٠٦.
١٠٩. الموافقات في أصول الأحكام، إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، ومحمد عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
١١٠. موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني، جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري، محمد مهدي المسلمي، أشرف منصور عبد الرحمان، أحمد عبد الرزاق عيد أيمن إبراهيم الزاملي، ومحمود خليل. المكتبة الشاملة.
١١١. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ.
١١٢. الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١١٣. نتائج الفكر في تخريج أحاديث الأذكار، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي السلفي، دار ابن كثير. المكتبة الشاملة.
١١٤. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري الأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المناز، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
١١٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.
١١٦. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن آيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ
١١٧. الوالد الداعية المربي الشيخ حسن بن حبنكة الميداني قصة عالم مجاهد حكيم شجاع، الناشر مؤلف الكتاب، دار البشير، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
١١٨. الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية في القرنين الثامن والتاسع دراسة بلاغية في التراث العربي، سامي العجلان، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٣٠هـ.

***

أصول المفسرين في توجيه رسم المصحف

د. أحمد بن سعد بن حسين المطيري
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أصول المفسرين في توجيه رسم المصحف

د. أحمد بن سعد بن حسين المطيري

قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٢٥/ ٦/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ١/ ١/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

تناول هذا البحث مفهوم توجيه رسم المصحف، وعناية المفسرين ومنهجهم في توجيه الرسم، وأصول المفسرين في توجيهه.

ويهدف البحث إلى بيان عناية المفسرين ومنهجهم في توجيه رسم المصحف، ودراسة أصولهم في توجيه الرسم.

وقد انتهى البحث إلى عدد من النتائج من أهمها:

١- توجيه رسم المصحف على مذهب جمهور المفسرين لا علاقة له بمعنى الآية وسياقها.

٢- الأصول والعلل التي يعتمد عليها جمهور المفسرين في توجيه رسم المصحف لا تخرج في مجملها عن الأصول والعلل التي يعتمد عليها علماء الرسم.

٣- المذهب الذي يعتمد على فكرة الربط بين توجيه الرسم ومعنى الآية وسياقها لم ينشأ عند المفسرين إلا متأخراً، وهو مخالف لمذهب جمهور المفسرين من المتقدمين والمتأخرين.

الكلمات المفتاحية: توجيه رسم المصحف، أصول المفسرين، التفسير.

The Principles of Interpreters in the Holy Qur’an Book Drawing Instructions

Dr. Ahmed bin Sa'ad bin Hussain Al-Mutairi
Department Holy Qur’an and its Sciences – Faculty Usuluddin
Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic university

Abstract:

This study handled the concept of the Holy Qur’an, drawing instructions, the interpreters' interest, methodology and principles regarding the Holy Qur’an, and drawing instructions .

The study aims to show the interpreters' interest, methodology and principles regarding the Holy Qur’an, drawing instructions.

The study has concluded several results, the most important of them:

1. The instruction of the Holy Qur'an drawing according to the doctrine of the majority of interpreters has no relation to the verse's meaning and context.
2. The principles and causes that the majority of interpreters rely on in the Holy Qur’an drawing instructions, not exceeded the principles and causes on which the scholars of drawing rely on.
3. The doctrine that relies on the idea of linking the drawing instruction and the verse's meaning and context did not arise among the interpreters until late, and it is contrary to the doctrine of the majority of earlier and later interpreters.

key words: Holy Qur'an Drawing instruction, Principles of the interpreters, interpretation "Tafsir".

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن علم رسم المصحف من العلوم القرآنية الشريفة التي اعتنى بها العلماء منذ القرون الأولى، والذي كان يعرف قديماً بعلم هجاء المصاحف، ولعل من أهم فروع هذا العلم ومسائله ما يتعلق بتوجيه ظواهر الرسم، وبيان علل ما فيه من الزيادة أو الحذف أو الإبدال أو الوصل والفصل، والذي كان لعلماء الرسم قصب السبق في العناية بهذا المجال.

وقد اعتنى علماء التفسير بتوجيه رسم المصحف وبيان علله، وذلك من خلال أقوالهم المبثوثة والمنثورة في تفاسيرهم والتي تضمنت مادة علمية تستحق البحث والدراسة؛ ولذا اخترت أن يكون عنوان هذا البحث "أصول المفسرين في توجيه رسم المصحف".

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- عناية بعض المفسرين بتوجيه رسم المصحف.

٢- أن بعض المفسرين له إسهام في التأليف في توجيه الرسم كمكي بن أبي طالب [ت: ٤٣٧] في كتابه "علل هجاء المصاحف" وهو مفقود.

٣- اختلاف مذاهب الدارسين والباحثين في توجيه ظواهر الرسم.

٤- ندرة الدراسات القرآنية حول توجيه رسم المصحف.

٥- لم أقف على دراسة مستقلة في أصول توجيه رسم المصحف عند المفسرين.

أهداف البحث:

١- بيان عناية المفسرين في توجيه رسم المصحف.

٢- بيان منهج المفسرين في توجيه رسم المصحف.

٣- جمع أصول المفسرين في توجيه رسم المصحف.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع والتتبع لم أجد دراسات مستقلة تتناول "أصول المفسرين في توجيه رسم المصحف"، والذي وقفت عليه من الدراسات وتناولت توجيه رسم المصحف:

- رسم المصحف عند الإمام مكي بن أبي طالب القيسي دراسة تأصيلية لمنهج التعليل، للدكتور عمر رشيد السامرائي.

وهذه الدراسة اقتصرت على منهج مكي في تعليل رسم المصحف، بينما هذا البحث سيكون في جميع التفاسير التي اعتنت بتوجيه رسم المصحف.

خطة البحث:

تتألف خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

المقدمة:

وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد: وفيه مفهوم توجيه رسم المصحف.

الفصل الأول: عناية المفسرين ومنهجهم في توجيه رسم المصحف، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عناية المفسرين بتوجيه رسم المصحف.

المبحث الثاني: منهج المفسرين في توجيه رسم المصحف.

الفصل الثاني: أصول التوجيه عند المفسرين، وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول: توجيه الحذف.

المبحث الثاني: توجيه الزيادة.

المبحث الثالث: توجيه البدل.

المبحث الرابع: توجيه الفصل والوصل.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

ثبت المصادر والمراجع.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الاستقرائي الوصفي، وفق المنهج العلمي التالي:

١- جمع أقوال المفسرين في توجيه ظواهر رسم المصاحف العثمانية مما يخالف فيه الخط اللفظ بحيث لا يتطابق فيه النطق مع الرسم، ويختلف فيه الرسم القياسي مع الاصطلاحي من كتب التفسير.

٢- دراسة أصول المفسرين في توجيه رسم المصحف حسب أبواب الرسم المعروفة.

٣- مقارنة أقوال المفسرين بأقوال علماء الرسم في التوجيه.

٤- ذكر سنة وفاة الأعلام عند ورود أسمائهم في ثنايا البحث.

٥- التزام الطرق المتبعة في كتابة البحوث العلمية، من عزو الآيات الكريمة إلى سورها، وتوثيق القراءات من مصادرها الأصلية، وتخريج الأحاديث، وتوثيق النقول والأقوال بالإحالة إلى مصادرها الأصلية إلى غير ذلك.

التمهيد: مفهوم توجيه رسم المصحف

التوجيه لغة: مصدر، وأصله من: الوَجْه، وهو مستقبل كل شيء، والوَجْهُ والجِهة بمعنى، والمواجهة: المقابلة، والوجْهُ بكسر الواو وضمّها الجانب والناحية، ويقال: هذا وَجْهُ الرأي، أي الرأي نفسه، ووَجْهُ الكلام: السبيل الذي تقصده به' والوجْهُ: النوع والقسم يقال: الكلام فيه على وجوه، وعلى أربعة أوجه، ووجوه القرآن معانيه.(١) .

الرسم لغة: الأثر، أو بقيته، ورسم الدار: ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض، ورسم على كذا وكذا: أي كتب(٢) .

الرسم اصطلاحاً: معرفة كيفية تصوير اللفظ بحروف هجائه، بتقدير الابتداء به والوقف عليه(٣) .

ومصطلح الرسم يستعمل للدلالة على قواعد الكتابة التي يستعملها علماء العربية كما يستعمل للدلالة على علم رسم المصحف والكتب المؤلفة فيه، ويستعمل أيضاً للدلالة على خط العروض(٤) ؛ ولذا فإن الرسم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الرسم القياسي: وهو ما طابق فيه الخطُّ اللفظَ(٥) .

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة ٦/٨٨-٨٩، الصحاح ٦/٢٢٥٤-٢٢٥٦، لسان العرب ٦/٤٧٧٥-٤٧٧٨، القاموس المحيط ص ١٦٢٠، تاج العروس من جواهر القاموس ٩/٤٢٠.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة ٢/٣٩٣-٣٩٤، الصحاح ٥/١٩٣٢-١٩٣٣، لسان العرب ٣/١٦٤٦-١٦٤٧، القاموس المحيط ص ١٤٣٨.

(٣) جميلة أرباب المراصد ١/١٩٣، شرح الشافية ٣/٣١٢، كشف الظنون ١/٧٠٧ .

(٤) انظر: المطالع النصرية ٤٢ و٨٤-٨٨، الميسر في رسم المصحف ٢٦.

(٥) غالباً.

الثاني: الرسم العثماني: وهو ما كتبه الصحابة في المصحف، وخالف الخطُّ اللفظَ[١]، وذلك بزيادة أو حذف أو بدل أو وصل أو فصل[٢].

الثالث: خط العروض: وهو الذي جرى على ما أثبته اللفظ وإسقاط ما حذفه[٣].

رسم المصحف اصطلاحًا: علمٌ تُعْرَفُ به مخالفة رسم المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي، من حذف وزيادة وبدل وفصل ووصل، ونحو ذلك[٤].

ومن خلال ما تقدم من التعريفات يمكن القول بأن توجيه رسم المصحف، هو: "علمٌ يُعْنى ببيان وجوه وعلل رسم المصاحف العثمانية".

وأصول المفسرين في توجيه رسم المصحف: "الأسس العلمية التي يقوم عليها تعليل المفسرين لرسم المصحف".

ويستعمل علماء الرسم للدلالة على مصطلح توجيه رسم المصحف كلمة "علل" أو "تعليل" أو "معلل"[٥]، وسمّى مكي [ت: ٤٣٧] كتابه "علل هجاء المصاحف"[٦][٧].

---

(١) غالباً.

(٢) انظر: جميلة أرباب المراصد ١/١٩٥، النشر ١/١٢٨.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن ١/٣٧٦

(٤) إرشاد الكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين ١/١٨٠-١٨١، سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين ص ٢٢.

(٥) انظر: المقنع ١/٣٢٨، ٤٨٧، مختصر التبيين ٢/٣٧١، ٤/١١٤٣.

(٦) انظر: إنباه الرواة للقفطي ٣/٣١٨، ومكي بن أبي طالب وتفسير القرآن ص ١٣٤وهو مفقود.

(٧) ذكر الأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد في كتابه "الميسر في علم رسم المصحف وضبطه " ص ١٨٢-١٨٣أن للداني كتاباً اسمه "علل هجاء المصاحف" وعزا ذلك إلى مصدرين هما: المقنع

الفصل الأول: عناية المفسرين ومنهجهم في توجيه رسم المصحف وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عناية المفسرين بتوجيه رسم المصحف

اعتنى بعض المفسرين بتوجيه رسم المصاحف العثمانية وبيان علله، ويظهر ذلك من خلال أقوالهم المبثوثة في تضاعيف تفاسيرهم، وهذه الأقوال- وإن لم تكن كثيرة- لكنها تشكل مصدرًا مهمًّا من مصادر توجيه رسم المصحف؛ نظراً لكون بعض المفسرين له عناية برسم المصحف؛ ولذا فسأُشير هنا إلى أبرز التفاسير التي عُنيت بتوجيه رسم المصحف متبوعة بمثالٍ واحدٍ[1] يُبين عن تلك العناية، وهي كما يلي:

١-تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) .

قال الطبري: [ت: ٣١٠] "فإن قال قائل: فكيف كتب ذلك بنون واحد، وقد علمت أن حكم ذلك إذا قرئ: ﴿نُنَجِّي﴾ [يونس: ١٠٣] أن يكتب بنونين؟ قيل: لأن النون الثانية لما سكنت وكان الساكن غير ظاهر على اللسان حذفت، كما فعلوا ذلك بـ إلا لا، فحذفوا النون من (إن) لخفائها، إذ كانت مندغمة في اللام من (لا) "[2]

٢-تفسير ابن أبي زمنين (تفسير القرآن العزيز) .

قال محمد بن أبي زمنين: [ت: ٣٩٩] "قال محمد: ﴿وَيَمْحُ﴾ [الشورى: ٢٤]

للداني ومعجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني لعبدالهادي حميتو، ولم أقف على كتاب للداني بهذا الاسم -بعد البحث- في هذين المصدرين.

(١) سيأتي مزيد من الأمثلة في الفصل الثاني.

(٢) تفسير الطبري ١٦/٣٨٦-٣٨٧

الوقوف عليها بواو وألف، المعنى: والله يمحو الباطل على كل حال، وكتبت في المصحف بغير واو؛ لأن الواو تسقط في اللفظ؛ لالتقاء الساكنين على الوصل، ولفظ الواو ثابت"[١] .

٣-تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) .

قال الثعلبي: [ت: ٤٢٧] "واختلف القرّاء في قوله ﴿وَأَكُن﴾ [المنافقون: ١٠] فقرأ أبو عمرو وابن محيص: وأكون بالواو ونصب النون على جواب التمنّي أو للاستفهام بالفاء، قال أبو عمرو: وإنما حذفت الواو من المصحف اختصارًا كما حذفوها في (كلّمن) وأصلها الواو"[٢] .

٤-تفسير مكي بن أبي طالب (الهداية إلى بلوغ النهاية) .

قال مكي: [ت: ٤٣٧] "وكتبت الصلاة في المصاحف بالواو لتدل على أصلها، لأن أصل الألف الواو، وأصلها صلوة. فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها، قلبت في اللفظ ألفاً. "[٣] .

٥-تفسير المهدوي (التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) .

قال المهدوي: [ت: ٤٤٠] "﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ [الإسراء: ١١] قوله: (ويدع) محذوف اللام في خط المصحف؛ لسقوطها من اللفظ؛ لالتقاء الساكنين"[٤]

٦-تفسير الواحدي (التفسير البسيط) .

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين ١٦٨/٤

(٢) تفسير الثعلبي٢٦/٤٧٠-٤٧١

(٣) تفسير الهداية ١٣٣/١

(٤) تفسير المهدوي٩٩/٤

قال الواحدي: [ت: ٤٦٨] "وكتب في المصحف ﴿فَٱدَّارَأۡتُمۡ﴾ [البقرة: ٧٢] بغير ألف قبل الراء كما كتبوا (الرحمن) بغير ألف الاختصار، لأنهم قد يحذفون لطول الكلام كما يحذفون لكثرة الاستعمال"(١).

٧-تفسير السمعاني (تفسير القرآن).

قال السمعاني: [ت: ٤٨٩] "فإن قيل: قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] هو مكتوب في المصحف بنون واحدة فكيف جعلتم أصح القراءتين بنونين؟ والجواب عنه: أنه إنّما كتب بنون واحد؛ لأن النون الأولى متحركة، والنون الثانية ساكنة، فخفيت الساكنة في جنب المتحركة، فحذفت"(٢).

٨-تفسير الراغب الأصفهاني.

قال الراغب الأصفهاني: [ت: ٥٠٢] "حذف الياء في الخط في قوله ﴿يُؤۡتِ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٤٦] اتباع اللفظ لالتقاء الساكنين كقوله: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الفاتحة الإسراء: ١١] وكقوله: ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ الفاتحة العلق: ١٨]".(٣)

٩-تفسير الكرماني (غرائب التفسير وعجائب التأويل).

قال الكرماني: [ت: ٥٠٥] "كتب في المصحف بزيادة ألف، وكذلك ﴿لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١] و﴿لَّأَوۡهَا﴾ [الأحزاب: ١٤] في الأحزاب، وذلك، إن صورة الفتحة في الخطوط قبل الخط العربي كانت ألفاً، وصورة الضمة كانت واواً،

(١) تفسير الواحدي ٦٣/٣

(٢) تفسير السمعاني ٤٠٥/٣

(٣) تفسير الراغب ٢٠٨/٤.

وصورة الكسرة كانت ياءً، فعلى هذا كتب ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ [التوبة: ٤٧] و ﴿أَوْ لَأَأْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١] فجعلوا مكان الفتحة ألفاً، وكذلك أولئك، وأولات، جعلوا مكان الضمة واواً، وعلى هذا ﴿وَإِيتَآيِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠] جعلوا مكان الكسرة ياءً لقرب عهدهم بالخط الأول"(١) .

١٠-تفسير البغوي (معالم التنزيل) .

قال البغوي: [ت: ٥١٦] "﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦] في الآخرة ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ يعني: الجنة، وحذفت الياء من ﴿يُؤْتِ ٱللَّهُ﴾ في الخط لسقوطها في اللفظ، وسقوطها في اللفظ لسكون اللام في الله".(٢)

١١-تفسير الزمخشري: (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) .

قال الزمخشري: [ت: ٥٣٨] "فإن قلت: كيف خطّ في المصحف: ولا أوضعوا، بزيادة ألف؟ قلت:

كانت الفتحة تكتب ألفاً قبل الخط العربي، والخط العربي اخترع قريباً من نزول القرآن، وقد بقي من ذلك الألف أثر في الطباع، فكتبوا صورة الهمزة ألفاً، وفتحتها ألفاً أخرى، ونحو: ﴿أَوْ لَأَأْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١] "(٣) .

١٢-تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) .

قال ابن عطية: [ت: ٥٤٢] "وكتبت اللام مفردة من قولهم (ما ل) هذا

---

(١) غرائب التفسير ١/٤٥٥.

(٢) تفسير البغوي ٢/٣٠٣.

(٣) تفسير الزمخشري ٢/١٥٥.

إما لأن على المصحف قطع لفظه فاتبعه الكاتب، وإما لأنهم رأوا أن حروف الجر بابها الانفصال نحو (في ومن وعلى وعن) "[1] .

١٣-تفسيرابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير) .

قال ابن الجوزي: [ت: ٥٩٧] "وقال الزجاج: الوقف عليها ﴿وَيَمۡحُ﴾ [الشورى: ٢٤] بواو وألف والمعنى: واللهُ يمحو الباطل على كل حال، غير أنها كُتبتْ في المصاحف بغير واو؛ لأن الواو تسقط في اللفظ لالتقاء الساكنين، فكُتبتْ على الوصل، ولفظ الواو ثابت"[2] .

١٤-تفسير الرازي (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب) .

قال الرازي: [ت: ٦٠٦] "المسألة الثانية: قرأ حمزة والكسائي: ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ﴾ ﴿حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ﴾ ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩١] كله بغير ألف، والباقون جميع ذلك بالألف، وهو في المصحف بغير ألف، وإنما كتبت كذلك للإيجاز، كما كتب: الرحمن بغير ألف، وكذلك: صالح، وما أشبه ذلك من حروف المد واللين"[3]

١٥-تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن) .

قال القرطبي: [ت: ٦٧١] "وقيل: ﴿ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤] ليس لفظ الواحد وإنما هو صالحو المؤمنين: فأضاف الصالحين إلى المؤمنين، وكتب بغير واو على اللفظ لأن لفظ الواحد والجمع واحدٌ فيه. كما جاءت أشياء في

---

(١) تفسير ابن عطية ٤/٤١٩.

(٢) تفسير ابن الجوزي ٧/٢٨٦.

(٣) تفسير الرازي ٥/٢٩٠.

المصحف متنوعٌ فيها حكم اللفظ دون وضع الخط"[١] .

١٦-تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) .

قال البيضاوي: [ت: ٦٨٥] "وكتب في المصحف ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ [الروم: ١٣] و﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧] بالواو وكذا ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم: ١٠] بالألف إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها"[٢]

١٧-تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) .

قال النسفي: [ت: ٧١٠] "﴿لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥] لنأخذن بناصيته ولنسجنه بها إلى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة، وكتبها في المصحف بالألف على حكم الوقف"[٣]

١٨-تفسير ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل) .

قال ابن جزي: [ت: ٧٤١] "وأكد ﴿لَنَسۡفَعَۢا﴾ [العلق: ١٥] باللام والنون الخفيفة، وكتبت في المصحف بالألف مراعاة للوقف عليها"[٤] .

١٩-تفسير أبي حيان (البحر المحيط) .

قال أبو حيان: [ت: ٧٤٥] "وقرأت فرقة: ﴿وَلَيَكُونَا﴾ [يوسف: ٣٢] بالنون المشددة، وكتبها في المصحف بالألف مراعاة لقراءة الجمهور بالنون الخفيفة"[٥].

٢٠-تفسير ابن عادل (اللباب في علوم الكتاب) .

---

(١) تفسير القرطبي ٨٦/٢١.

(٢) تفسير البيضاوي ٤٧/٣.

(٣) تفسير النسفي ٦٦٤/٣.

(٤) تفسير ابن جزي ٧٢٧/٤.

(٥) تفسير أبي حيان ٤٧١/١٢.

قال ابن عادل: [ت: ٧٧٥] "ولذلك كتبوا (الحياة) بواوٍ في رسم المصحف العزيز تنبيهاً على هذا الأصل، ويؤيده (الحيوان) لظهور الواو فيه"(١) .

٢١-تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) .

قال النيسابوري: [ت: ٧٢٨] "وقد كتب ﴿لَنَسۡفَعَۢا﴾ [العلق: ١٥] في المصحف بالألف على حكم الوقف لأن النون الخفيفة المؤكدة يوقف عليها بالألف"(٢) .

٢٢-تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) .

قال الثعالبي: [ت: ٨٧٥] "وكتب ﴿وَيَمۡحُ﴾ [الشورى: ٢٤] في المصحف بحاء مرسلة، كما كتبوا: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الإسراء: ١١] إلى غير ذلك مِمَّا ذهبوا فيه إلى الحذف والاختصار"(٣) .

٢٣-تفسير البقاعي (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) .

قال البقاعي: [ت: ٨٨٥] "وأما حذفها باتفاق المصاحف أيضاً في ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤] في الشورى مع أنه مرفوع أيضاً، فللبشارة بإزهاق الباطل إزهاقاً هو النهاية - كما سيأتي إن شاء الله تعالى-، وذلك لمشابهة الفعل بالأمر المقتضي لتحتم الإيقاع بغاية الإتقان والدفاع"(٤) .

٢٤-تفسير الإيجي (جامع البيان في تفسير القرآن) .

قال الإيجي: [ت: ٨٩٤] " ﴿لَنَسۡفَعَۢا﴾ [العلق: ١٥] : لنأخذن، وكتابتها في

---

(١) تفسير ابن عادل ٣١٤/٤.

(٢) تفسير النيسابوري ٥٣٣/٦.

(٣) تفسير الثعالبي ١٥٨/٥.

(٤) تفسير البقاعي ٣٦١/١٠.

المصحف بالألف على حكم الوقف"[1] .

٢٥-تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) .

قال أبو السعود: [ت: ٩٨٢] "﴿ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ﴾ [الشورى: ٢٤] استئناف مقرر لنفي الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه إظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ [الإسراء: ١١] "[2] .

٢٦-تفسير الخطيب الشربيني (السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير) .

قال الشربيني: [ت: ٩٩٧] "فائدة: خط في المصحف علماء بواو قبل الألف على لغة من يميل الألف إلى الواو، وعلى هذه اللغة كتبت الصلاة والزكاة والربا"[3] .

٢٧-تفسير الشوكاني (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) .

قال الشوكاني: [ت: ١٢٥٠] "وحذفت الواو من ﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ [الإسراء: ١١] في رسم المصحف لعدم التلفظ بها لوقوع اللام الساكنة بعدها كقوله: ﴿ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾الفاتحة العلق: ١٨] ﴿ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ ﴾الفاتحة الشورى: ٢٤] ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[النساء: ١٤٦] ونحو ذلك"[4] .

---

(١) تفسير الإيجي ٥١٢/٤.

(٢) تفسير أبي السعود ٣١/٨.

(٣) تفسير الشربيني ٣٤/٣.

(٤) تفسير الشوكاني ٢٥١/٣.

٢٨-تفسير القاسمي (محاسن التأويل) .

قال القاسمي: [ت: ١٣٣٢] "واعلم أن قوله ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ [التوبة: ٤٧] مرسوم في الإمام بألفين؛ لأن الفتحة كانت تكتب ألفاً قبل الخط العربي. والخط العربي اخترع قريباً من نزول القرآن، وقد بقي من تلك الألف أثر في الطباع، فكتبوا صورة الهمزة ألفاً وفتحها ألفاً أخرى ونحوه ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١] "[(١)] .

٢٩-تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير) .

قال ابن عاشور: [ت: ١٣٩٣] "وكلمة إما هي (إن) الشرطية و (ما) المؤكدة للتعليق الشرطي. وكتبت في المصحف بدون نون وبميم مشددة محاكاةً لحالة النطق"[(٢)] .

٣٠-تفسيرالشنقيطي (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) .

قال الشنقيطي: [ت: ١٣٩٣] "واعلم أنه على قراءة الكسائي قد حذف في الخط ألفان، الأولى: الألف المتصلة بياء النداء، والثانية: ألف الوصل في قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾ [النمل: ٢٥] ، ووجه بعض أهل العلم إسقاطهما في الخط، بأنهما لما سقطتا في اللفظ، سقطتا في الكتابة، قالوا: ومثل ذلك في القرآن كثيرٌ"[(٣)] .

ومن خلال ما تقدم من أقوال المفسرين تظهر عنايتهم بتوجيه رسم المصحف، والتعليل لرسم بعض كلماته، ويمكن ملاحظة ما يلي:

---

(١) تفسير القاسمي ٥/٤٢٩.

(٢) تفسير ابن عاشور ١١/١٨٥.

(٣) تفسير الشنقيطي ٦/٤٠١-٤٠٢.

١-أن توجيه رسم المصحف عند المفسرين بدأ مبكراً، فالتفاسير في القرن الرابع الهجري قد تضمنت نصوصاً في توجيه الرسم، وربما تكون هذه التفاسير قد سبقتها أيضاً تفاسير أخرى لم يتيسر الاطلاع عليها.

٢-أن هذه التفاسير من قرونٍ مختلفةٍ ابتداءً من القرن الرابع الهجري حتى القرن الرابع عشر وليست منحصرة في قرنٍ معيّن مما يدل على عناية المفسرين بتوجيه رسم الصحف.

٣-أن أقوال المفسرين المتقدمة أتت على أبواب الرسم من الحذف والزيادة والبدل والفصل والوصل.

المبحث الثاني: منهج المفسرين في توجيه رسم المصحف

إن الدارس لمنهج المفسرين في توجيه رسم المصحف يجد مذهبين رئيسين في توجيه الرسم، ولكل مذهب اتجاهه وسماته وخصائصه التي يتميّز بها، وفيما يلي بيان لهذين المذهبين والقائلين بهما:

المذهب الأول:

يقوم هذا المذهب في توجيه الرسم على علل وأصول لغوية تتعلق بالنطق وتقاليد الكتابة، مثل: بناء الرسم على اللفظ والوصل، والاختصار، والاكتفاء بالحركة عن الحرف، وكراهة اجتماع صورتين متفقتين في الرسم، واعتبار الحرف الزائد صورة للحركة، واعتبار الحرف الزائد للفرق، ومراعاة الأصل والتفخيم، ومراعاة الفرق، ومراعاة الأصل والإمالة، ومراعاة الفواصل، ومراعاة الوصل، ومراعاة الوقف، ومراعاة الأفصح، ومراعاة الأصل في الفصل، وبناء الوصل على اللفظ، ومراعاة كثرة الاستعمال.

وهذا مذهب جمهور المفسرين من المتقدمين والمتأخرين ممن عنوا بتوجيه رسم المصحف وتقدمت الإشارة إليهم في المبحث السابق.

أبرز سمات هذا المذهب وخصائصه:

١- الأصول والعلل التي يعتمد عليها أصحاب هذا المذهب لا تخرج في مجملها عن الأصول والعلل التي ذكرها علماء الرسم في مؤلفاتهم، ويتضح ذلك من خلال الموازنة بين كتب التفسير وكتب الرسم كما سيأتي في الفصل الثاني.

٢- من أبرز المصادر التي يعتمد عليها أصحاب هذا المذهب النقل عن علماء اللغة المتقدمين؛ مثل: أبي عمرو البصري [ت: ١٥٤][(١)]، وسيبويه [ت:

(١) تفسير الكشف والبيان ٢٦/٤٧٠-٤٧١، تفسير معالم التنزيل ٨/١٣٤ .

١٨٠][(١)]، والكسائي [ت: ١٨٩][(٢)]، والفراء [ت: ٢٠٧][(٣)]، وأبي حاتم السجستاني [ت: ٢٥٥][(٤)]، والمبرد [ت: ٢٨٥][(٥)]، والزجاج [ت: ٣١١][(٦)]، وأبي علي الفارسي [ت: ٣٧٧][(٧)] وغيرهم.

وهؤلاء العلماء هم من أساطين اللغة وبعضهم من علماء القرن الثاني الهجري مما يشير إلى أهمية توجيه رسم المصحف، والعناية المبكرة بهذا العلم، وأنه ليس ضرباً من التكلف أو الترف العلمي الذي لا تدعو الحاجة إليه، بل هو علم أصيل ضارب في عمق التاريخ.

٣- توجيه المفسرين للرسم على هذا المذهب لا علاقة له بمعنى الآية وسياقها، كما لم يظهر في توجيههم أيُّ أثرٍ لفكرة الربط بين توجيه الرسم ومعنى الآية وسياقها التي ظهرت عند أصحاب المذهب الثاني.

وستكون دراسة أصول المفسرين في توجيه رسم المصحف في الفصل الثاني

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل ٦٨٥/١، تفسير الجامع لأحكام القرآن ٤٠٥/١٣-٤٠٦.

(٢) تفسير الكشف والبيان ٣٦٢/٢٣، تفسير البسيط ٥١٣/١٩-٥١٤، وتفسير معالم التنزيل١٩٢/٧.

وقد تحرفت في تفسير الكشف والبيان "الطبعة المحققة" من (الكسائي) إلى (السدي) ولم يشر المحقق إلى وجود فروق في النسخ.

(٣) تفسير البسيط ١٧٠/١٥، ٥١٣/١٩-٥١٤، تفسير التحرير والتنوير ٨٠/٣، تفسير أضواء البيان ٣٦٧/٩.

(٤) تفسير المحرر الوجيز ٣١٦/٨.

(٥) تفسير الجامع لأحكام القرآن ٣٩٠/٤، تفسير التحرير والتنوير ٨٠/٣.

(٦) تفسير البسيط ٤٧١/١٠، ١٧٠/١٥، ٥١٣/١٩-٥١٤، تفسير المحرر الوجيز ٣٢٧/٤، تفسير زاد المسير ٧١/١، ٢٨٦/٧، تفسير التحرير والتنوير ٢١٧/١٠.

(٧) تفسير البسيط ١٧٠/١٥، تفسير المحرر الوجيز ٥٠٣/٦، تفسير التحرير والتنوير ١٣٣/١٧.

بناءً على هذا المذهب.

المذهب الثاني:

يقوم هذا المذهب في توجيه الرسم على نظريةٍ تعتمد على فكرة الربط بين توجيه الرسم ومعنى الآية وسياقها، وهذا المذهب لم ينشأ عند المفسرين إلا متأخراً، ولعل برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي [ت: ٨٨٥] في كتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" يُعَدُّ مِن أوائل مَن نشر هذا المذهب وأسهم في انتشاره عند المفسرين.

أمثلة على توجيه رسم المصحف على هذا المذهب:

مثال (١) :

قال البقاعي: [ت: ٨٨٥] (﴿ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤] وحذفت واوه في الخط في جميع المصاحف مع أنه استئناف غير داخل في الجواب؛ لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقاً إيماء إلى أنه سبحانه يمحق رفعه وعلوه وغلبته التي دلت عليها الواو مطابقة بين خطه ولفظه، ومعناه تأكيداً للبشارة يمحوه محواً لا يدع له عيناً ولا أثراً لمن ثبت لصولته: وصبر كما أمر لحولته، اعتماداً على صادق وعد الله إيماناً بالغيب وثقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام، وفي الحذف أيضاً تشبيه له بفعل الأمر إيماء إلى أن إيقاع هذا المحو أمر لا بد من كونه على أتم الوجوه وأحكمها وأعلاها وأتقنها كما يكون المأمور به من الملك المطاع، وأما الحق فإنه ثابت شديد مضاعف)[(١)].

مثال (٢) :

قال البقاعي: [ت: ٨٨٥] (ولعل الإشارة بإسقاط يا ﴿تُغۡنِ﴾ [القمر: ٥] بإجماع

(١) نظم الدرر ٣٠٣/١٧.

المصاحف من غير موجب في اللفظ إلى أنه كما سقطت غاية أحرف الكلمة سقطت نمرة الإنذار وهو القبول) .[1]

مثال (٣) :

قال البقاعي: [ت: ٨٨٥] (وحذف واو ﴿يَدْعُ﴾ [القمر: ٦] للرسم بإجماع المصاحف من غير موجب لأن المقام لبيان اقترابها، فكأنه إشارة إلى كونها بأدنى دعاء، وأيضاً ففي حذفه تشبيه للخبر بالأمر إشارة إلى أن هذا الدعاء لا بد على أن يكون على أعظم وجه وأتقنه وأهوله وأمكنه كما يكون كل مأمور من الأمر المطاع)[2] .

ولم يشر البقاعي [ت: ٨٨٥] إلى المصادر التي اعتمد عليها في توجيه الرسم على هذا المذهب، ولكن يبدو أنه قد تأثّر باثنين من علماء المغرب كان لهما السبق في التأسيس لهذا المذهب الذي يعتمد على فكرة الربط بين توجيه الرسم ومعنى الآية وسياقها، وهما:

الأول: أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي المراكشي [٦٣٨] .

وقد اعتمد البقاعي على بعض مؤلفات الحرالي، وهي تفسيريه "مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل" و"عروة الباب المقفل" بالإضافة إلى كتابه" التوشية والتوفية"[3] .

ولم أجد في هذه المؤلفات توجيهًا للرسم على هذا المذهب إلا أن الحرالي جعل للحروف معاني ودلالات وإشارات وإيماءات وإيحاءات وربطها بسياق

---

(١) نظم الدرر ٩٨/١٩.

(٢) نظم الدرر ٩٩/١٩.

(٣) الإمام برهان الدين البقاعي ومنهجه في التفسير ١٣٢-١٣٤.

الآية ومعناها[١] ، وقد أبان عن هذا المنهج في كتابيه" اللمحة في معرفة الحروف ومعانيها ورتبها في الكشف" وكتابه "تفهيم معاني الحروف"، وربط فيهما بين رسم الحروف ومعانيها[٢] .

وتوجيه الرسم على هذا المذهب يقوم على هذه النظرية وهي الربط بين رسم الحروف ومعانيها بمعنى الآية وسياقها، فيبدو أن البقاعي قد تأثر بهذا المنهج وطبقه في تفسيره.

الثاني: أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي [٧٢١] .

وكتاب المراكشي "عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل" يقوم في توجيه الرسم على هذا المذهب[٣] ، والبقاعي- وإن لم يُصرّح أو يُشِر في تفسيره بالنقل من هذا الكتاب- إلا أن الزركشي [ت: ٧٩٤] في كتابه "البرهان في علوم القرآن" نقل أكثر المادة العلمية لهذا الكتاب في النوع الخامس والعشرين (علم مرسوم الخط)[٤] وهو من مصادر البقاعي في تفسيره[٥] .

ومما يدل على أن البقاعي ساهم في نشر هذا المذهب وانتشاره عند المفسرين أن بعض كتب التفسير بعده تنسب إليه توجيه الرسم على هذا المذهب، ومنها على سبيل المثال:

١- تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني [ت: ٩٧٧][٦] .

---

(١) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير ٢٢٦، ٤٩٠، ٥٩٠.

(٢) أبو الحسن الحرالي المراكشي آثاره ومنهجه في التفسير ٢٠٥-٢٤٧.

(٣) انظر على سبيل المثال عنوان الدليل: ص ٨٩.

(٤) البرهان ١/٣٨٠-٤٣٠.

(٥) الإمام برهان الدين البقاعي ومنهجه في التفسير ص ١٣٩.

(٦) ١٤٣/٤، ٣٤٥/٤.

٢-حاشية عناية القاضي وكفاية الراضي لشهاب الدين الخفاجي [١٠٦٩][(١)].

٣-تفسير محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي [١٣٣٢][(٢)].

وهذا المذهب لا يعضده النقل ولا النظر، ولا يستند على أسسٍ علمية ولا حقائق تاريخية، لما يلي:

أولاً: أن هذا المذهب لم ينشأ عند المفسرين إلا متأخراً، وهو مخالف لما عليه جماهير المفسرين من المتقدمين والمتأخرين حيث لم يظهر في تفاسيرهم أيُّ أثرٍ لهذا المذهب كما سبقت الإشارة إليه في المذهب الأول.

ثانياً: أن هذا المذهب لا يستند على دليل عقلي ولا نقلي بل هو اجتهاد ممن ذهب إلى القول به.

ثالثاً: أن هذا المذهب لا يعتمد على كلام أحدٍ من مفسري السلف أو المتقدمين من علماء اللغة.

وبناءً على ما تقدم فإن هذا المذهب لا يمكن أن يُبنى عليه مسائل في التفسير وأصوله، ولا في الإعجاز، ولا في غيره من مسائل علوم القرآن.

---

(١) ١٠٧/٦.

(٢) ٤١/٧.

الفصل الثاني: أصول التوجيه عند المفسرين، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: توجيه الحذف

الحذف: عبارة عن إسقاط أحد حروف خمسة من المصحف وهي: حروف المد الثلاثة (الألف، والياء، والواو) ، واللام، والنون)[1] .

أصول علل الحذف:

١- بناء الرسم على اللفظ والوصل (مراعاة التقاء الساكنين) :

أمثلة:

مثال (١) :

قال الثعلبي: [ت: ٤٢٧] "﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦] وهو الجنة وإنما حذفت الياء من: يؤت في الخط كما حذف في اللفظ؛ لأن الياء سقطت من اللفظ لسكونها وسكون اللام في [الله][2] ، وكذلك قوله ﴿ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ ﴾[ق: ٤١] حذفت الياء في الخط لهذه العلة، وكذلك ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق: ١٨] ، ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] فالواوات ههنا حذفت لالتقاء الساكنين"[3] .

---

(١) سمير الطالبين ٣١-٣٢، ومعجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به ١٦٨-١٦٩.

(٢) في الطبعة "المحققة" تحرّفت إلى [اللغة] والصواب ما أثبته كما في معاني القرآن للزجاج ١٢٥/٢.

(٣) الكشف والبيان ٥٩/١١.

مثال (٢) :

قال مكي: [ت: ٤٣٧] " قوله: ﴿لَهَادٍ﴾ [الحج: ٥٤] حذفت الياء في الوصل لسكونها وسكون اللام بعدها وحذفت من الخط؛ لأن الكاتب كتبها على لفظ الوصل، ولو كتبها على الوقف لكتبها بالياء كما كتب ﴿بِهَادِي ٱلْعُمْيِ﴾ [النمل: ٨١] في النمل بالياء على الوقف، وكتب ﴿بِهَادِ ٱلْعُمْيِ﴾ [الروم: ٥٣] في الروم بغير ياء على الوصل، ولا يحسن الوقف عليه، لأنك إن وقفت بالياء خالفت الخط، وإن وقفت بغير ياء، حذفت لام الفعل لغير علة"(١) .

مثال (٣) :

قال الواحدي: [ت: ٤٦٨] "وكتب ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾(٢) [الأنعام: ٥٧] في المصاحف بغير ياء؛ لأنها سقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين كما كتبوا ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨] و ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ٥] "(٣) .

وقد وجه المفسرون الحذف بناءً على اللفظ والوصل في عدد من الكلمات القرآنية، وهي:

أولاً: حذف الألف:

﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(٤) [النور: ٣١] .

---

(١) تفسير الهداية ٤٩١٩/٧.

(٢) على قراءة (يقض) بإسكان القاف وكسر الضاد المعجمة وهي قراءة صحيحة قرأ بها أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف، وقرأ الباقون بالصاد مشددة مضمومة.
التيسير: ٨٥ النشر: ٢٥٨/٢.

(٣) تفسير البسيط ١٨٥/٨.

(٤) تفسير التحصيل ٥٥٣/٤، تفسير التحرير والتنوير ٢١٤/١٨.

﴿ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ﴾[1] [الشعراء: ١٧٦] [ص: ١٣]

﴿ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ﴾[2] [النمل: ٢٥]

﴿ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴾[3] [الزخرف: ٤٩]

﴿ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾[4] [الرحمن: ٣١]

ثانياً: حذف الياء:

﴿ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ﴾[5] [النساء: ١٤٦]

﴿ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّ ﴾[6][7] [الأنعام: ٥٧]

﴿ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[8] [الحج: ٥٤]

---

(١) تفسير الكشاف ١٢٥/٣، تفسير المحرر الوجيز ٥٠٣/٦.

(٢) تفسير البحر المحيط ٤١٧/١٦، تفسير اللباب ١٤٢/١٥، تفسير أضواء البيان ٤٠١/٦-٤٠٢.

(٣) تفسير التحصيل ٥٥٣/٤.

(٤) تفسير التحصيل ٥٥٣/٤، تفسير التحرير والتنوير ٢٥٨/٢٧.

(٥) تفسير الكشف والبيان ٥٩/١١، تفسير الراغب ٢٠٨/٤، تفسير معالم التنزيل ٣٠٣/٢، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١٩٧/٧، تفسير مدارك التنزيل ٤٠٩/١، تفسير البحر المحيط ٤٣٩/٧، تفسير فتح القدير ٨٣٦/١.

(٦) على قراءة (يقض) بإسكان القاف وكسر الضاد المعجمة وهي قراءة صحيحة قرأ بها أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف، وقرأ الباقون بالصاد مشددة مضمومة.
التيسير: ٨٥ النشر: ٢٥٨/٢.

(٧) تفسير البسيط ١٨٥/٨، تفسير الكشاف ١٨/٢، تفسير مفاتيح الغيب ٩/١٣، تفسير مدارك التنزيل ٥٠٩/١، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٨٩/٣، تفسير المنار ٣٧٩/٧، تفسير التحرير والتنوير ٢٦٨/٧.

(٨) تفسير الهداية ٤٩١٩/٧، تفسير التحرير والتنوير ٣٠٧/١٧.

﴿ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[1] [الصافات: ١٦٣]

﴿ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ ﴾[2] [ق: ٤١]

﴿ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ﴾[3] [القمر: ٥]

﴿ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ ﴾[4] [الرحمن: ٢٤]

ثالثاً: حذف الواو:

﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾[5] [الإسراء: ١١]

﴿ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ ﴾[6] [الشورى: ٢٤]

﴿ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[7] [التحريم: ٤]

---

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن ١١٣/١٨، تفسير التحرير والتنوير ١٩٠/٢٣.

(٢) تفسير الكشف والبيان ٥٩/١١، تفسير البسيط ٢٧٠/١٣، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١٩٧/٧.

(٣) تفسير البسيط ١٨٥/٨، ٢٧٠/١٣.

(٤) تفسير التحرير والتنوير ٢٥١/٢٧.

(٥) تفسير التحصيل ٩٩/٤، تفسير البسيط ٢٧٠/١٣، تفسير الراغب ٢٠٨/٤، تفسير معالم التنزيل ٨١/٥، تفسير مدارك التنزيل ٢٤٨/٢، تفسير فتح القدير ٢٩٢/٣، التحرير والتنوير ٤٣/١٥.

(٦) تفسير القرآن العزيز ١٦٨/٤، تفسير معالم التنزيل ١٩٢/٧، تفسير زاد المسير ٢٨٦/٧، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢٣٨/٣، تفسير البحر المحيط ٣٠/١٩، تفسير إرشاد العقل السليم ٣١/٨، تفسير فتح القدير ٢٩٢/٣.

(٧) تفسير الجامع لأحكام القرآن ٨٦/٢١، تفسير مدارك التنزيل ٥٠٥/٣، تفسير اللباب ٢٠١/١٩، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣٢٠/٦.

﴿ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ ﴾[1] [القمر: ٦]

﴿ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[2] [العلق: ١٨]

وتوجيه الحذف بناءً على الوصل اللفظي مما علل به علماء الرسم في مصنفاتهم؛ ومنهم: المهدوي [ت: ٤٤٠][3]، والجهني [ت: ٤٤٢][4]، والداني [ت: ٤٤٤][5]، وأبو داود [ت: ٤٩٦][6]، والمارغني [ت: ١٣٤٩][7].

٢- الاختصار:

أمثلة:

مثال (١) :

قال الثعلبي: [ت: ٤٢٧] "واختلف القرّاء في قوله ﴿وَأَكُن﴾ [المنافقون: ١٠]، فقرأ أبو عمرو وابن محيص: (وأكون) بالواو ونصب النون[8] على جواب التمنّي أو

---

(١) تفسير الكشف والبيان ٥٩/١١، تفسير المحرر الوجيز١٣٩/٨، تفسير الجامع لأحكام القرآن ١٩٧/٧.

(٢) تفسير الكشف والبيان ٥٩/١١ تفسير البسيط ١٨٥/٨، تفسير الراغب ٢٠٨/٤، تفسير معالم التنزيل ١٩٢/٧، تفسير المحرر الوجيز ٥٠٣/٦، تفسير الجامع لأحكام القرآن١٩٧/٧، تفسير فتح القدير ٢٩٢/٣، تفسير محاسن التأويل ٥١٤/٩، التحرير والتنوير ٤٥٣/٣٠.

(٣) هجاء مصاحف الأمصار ص ٨٦.

(٤) البديع ص ١٢٠.

(٥) المقنع ٣٣/٢.

(٦) مختصر التبيين ٢٤١/٢، ٩٠٤/٤، ٩٩٠/٤.

(٧) دليل الحيران ص ٢٩٦.

(٨) وهي قراءة صحيحة قرأ بها أبو عمرو البصري.
التيسير: ١٧١، النشر: ٣٨٨/٢.

الاستفهام بالفاء، قال أبو عمرو: إنما حذفت الواو من المصحف اختصاراً كما حذفوها في (كلّمن) وأصلها الواو"[1].

مثال (٢) :

قال الواحدي: [ت: ٤٦٨] "وكتب في المصحف ﴿ فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ ﴾ [البقرة: ٧٢] بغير ألف قبل الراء كما كتبوا (الرحمن) بغير ألف الاختصار؛ لأنهم قد يحذفون لطول الكلام كما يحذفون لكثرة الاستعمال"[2].

مثال (٣) :

قال ابن عطية: [ت: ٥٤٢] "وكتبت ﴿وَيَمۡحُ﴾ [الشورى: ٢٤] في المصحف بحاء مرسلة كما كتبوا: ﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ [الإسراء: ١١] إلى غير ذلك مما ذهبوا فيه إلى الحذف والاختصار"[3][4].

وتوجيه الحذف للاختصار مما علل به علماء الرسم في مصنفاتهم؛ ومنهم: الداني [ت: ٤٤٤][5]، وأبو داود [ت: ٤٩٦][6].

---

(١) تفسير الكشف والبيان ٢٦/٤٧٠-٤٧١.

(٢) تفسير البسيط ٣/٦٣.

(٣) تفسير المحرر الوجيز ٧/٥١٤.

(٤) للاستزادة من الأمثلة ينظر: تفسير معالم التنزيل ٨/١٣٤، وتفسير المحرر الوجيز ٨/٦٥٦، تفسير مفاتيح الغيب ٥/٢٩٠، وتفسير الجواهر الحسان ٥/١٥٨.

(٥) المقنع ١/٣٥٤، ٣٩٨، ٢/١٠٥.

(٦) مختصر التبيين ٢/٣٣، ٣/٥٣١-٥٣٢.

٣-الاكتفاء بالحركة عن الحرف:

أمثلة:

مثال (١)

قال ابن أبي زمنين: [ت: ٣٩٩] "قال محمد: القراءة في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢] بكسر النون، وأصله: (تشهدونني) فحذفت النون الأولى للنصب، وحذفت الياء؛ لأنها آخر آية، والكسرة تدل عليها"(١).

مثال (٢)

قال الثعلبي: [ت: ٤٢٧] "وأما قوله ﴿مَا كُنَّا نَبۡغِ﴾ [الكهف: ٦٤] حذفت؛ لأن الكسرة دلت على الياء فحذفت لثقل الياء"(٢).

مثال (٣) :

قال الزمخشري: [ت: ٥٣٨] "وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة. كقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] ".(٣)

مثال (٤) :

قال البيضاوي: [ت: ٦٨٥] "﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ [الفجر: ٤] إذا يمضي كقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣﴾ [المدثر: ٣٣] والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة، أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف

---

(١) تفسير القرآن العزيز ٣/٣٠٠.

(٢) تفسير الكشف والبيان ١١/٥٩.

(٣) تفسير الكشاف ٣/٢٥٤.

الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفاً"[1] .

مثال (٥) :

قال القاسمي: [ت: ١٣٣٢] "و ﴿ تُخْزُونِ ﴾ [هود: ٧٨] مجزوم بحذف النون، والياء محذوفة اكتفاء بالكسرة"[2] .

مثال (٦) :

قال الشنقيطي: [ت: ١٣٩٣] "وقرأ هذا الحرف ورش وحده عن نافعٍ: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ [الحج: ٤٤] بياء المتكلم بعد الراء وصلاً فقط، وقرأ الباقون بحذفها اكتفاء بالكسرة عن الياء"[3] وتوجيه الحذف للاكتفاء بالحركة عن الحرف مما علل به علماء الرسم في مصنفاتهم؛ ومنهم: المهدوي [ت: ٤٤٠][4] ، والداني [ت: ٤٤٤][5] ، وأبو داود [ت: ٤٩٦][6] .

---

(١) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/٥٣٠.

(٢) تفسير محاسن التأويل ٦/١٢٠.

(٣) تفسير أضواء البيان ٥/٧٠٨.

(٤) هجاء مصاحف الأمصار ٨٥، ٨٤.

(٥) المقنع ٢/٥، ٣٧.

(٦) مختصر التبيين ٢/١٢٥، ٣/٥٠٤ .

٤-كراهة اجتماع صورتين متفقتين في الرسم:

أمثلة:

مثال (١) :

قال الواحدي: [ت: ٤٦٨] "﴿ فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ١١٠] كتبت في المصحف بنون واحدة كراهة لاجتماع المثلين، كما كتبوا: الدنيا والعليا ومحيا ونحو ذلك، بالألف؛ كراهة لاجتماع المثلين"(١)

مثال (٢) :

وقال الواحدي: [ت: ٤٦٨] أيضاً "﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. وقال أبو علي: إنما حذفت النون من الخط كراهية لاجتماع صورتين متفقتين، وقد كرهوا ذلك في الخط في غير هذا الموضع"(٢) .

مثال (٣) :

قال البيضاوي: [ت: ٦٨٥] "فإن الداعي إلى الحذف اجتماع المثلين"(٣) .

وذهب بعض المفسرين إلى توجيهٍ آخر في حذف النون غير كراهة اجتماع صورتين متفقتين في الرسم في قوله تعالى ﴿ فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ١١٠] وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] وهو أن النون الثانية تخفى مع الجيم وهي ساكنة، فلا تظهر على اللسان فلما خفيت حذفت من الخط لخفاء النطق

---

(١) تفسير البسيط ٢٧٢/١٢.

(٢) تفسير البسيط ١٧٠/١٥.

(٣) تفسير أنوار التنزيل ٤٣١/٢.

بها في اللفظ[١]، وهذا التوجيه أشار إليه الداني [ت: ٤٤٤] في المحكم[٢]، والمارغني [ت: ١٣٤٩] في دليل الحيران[٣] .

وتوجيه الحذف لكراهة اجتماع صورتين متفقتين في الرسم مما علل به علماء الرسم في مصنفاتهم؛ ومنهم: الداني [ت: ٤٤٤][٤]، وأبو داود [ت: ٤٩٦][٥] .

(١) تفسير الطبري ٣٩٩/١٣-٤٠٠، ٣٨٦/١٦ -٣٨٧، تفسير الكشف والبيان ٢٤٦/١٨، تفسير البسيط ١٧٠/١٥، تفسير السمعاني ٤٠٥/٣، تفسير التحرير والتنوير ١٣٣/١٧.

(٢) ص ٣٤٩-٣٥٠.

(٣) ص٢٢٧.

(٤) المقنع ٤٥٢/١، ٥٠/٢، ١٩٧/٢.

(٥) مختصر التبيين ٦٧/٢، ٨٦، ١٥٠، ٩٢٦/٤، ٩٥٤، ٩٨٥.

المبحث الثاني: توجيه الزيادة

الزيادة: عبارة عن ما يزاد في الرسم من حروف المد الثلاثة الألف والياء والواو[1] .

أصول علل الزيادة:

١-اعتبار الحرف الزائد صورة للحركة:

ومن أمثلته:

توجيه المفسرين لزيادة الألف في قوله تعالى ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ﴾ [التوبة: ٤٧] وقوله تعالى ﴿ أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ [النمل: ٢١] .

قال مكي: [ت: ٤٣٧] : "وكتبت: ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ [التوبة: ٤٧] بألف زائدة، وكذلك: ﴿ أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ [النمل: ٢١] .

وكذلك: ﴿ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٦٨] .

والعلة في ذلك: أنّ الفتحة كانت تكتب قبل العربي الفاً، فكتبت هذه الحروف على ذلك الأصل، جعلوا للفتحة صورة فزادوا الألف التي بعد اللام، والألف الثانية هي صورة الهمزة".[2]

وقال الكرماني: [ت: ٥٠٥] "كتب في المصحف بزيادة ألف، وكذلك ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١] و ﴿لَأَتَوْهَا﴾ [الأحزاب: ١٤] في الأحزاب، وذلك لأن صورة الفتحة في الخطوط قبل الخط العربي كانت ألفاً، وصورة الضمة كانت واواً، وصورة الكسرة كانت ياء، فعلى هذا كتب ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ [التوبة: ٤٧] و ﴿أَوْ

(١) سمير الطالبين ص ٧٢، ومعجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به ص ٢٢٩.

(٢) تفسير الهداية ٤/٣٠١٧-٣٠١٨*.

لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١] فجعلوا مكان الفتحة ألفاً، وكذلك أولئك، وأولات، جعلوا مكان الضمة واواً، وعلى هذا ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الفاتحة النحل: ٩٠] جعلوا مكان الكسرة ياء لقرب عهدهم بالخط الأول".[١]

وقال الزمخشري: [ت: ٥٣٨] "فإن قلت: كيف خطّ في المصحف: ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ [التوبة: ٤٧] ، بزيادة ألف؟ قلت: كانت الفتحة تكتب ألفاً قبل الخط العربي، والخط العربي اخترع قريباً من نزول القرآن، وقد بقي من ذلك الألف أثر في الطباع، فكتبوا صورة الهمزة ألفاً، وفتحتها ألفاً أخرى، ونحو: ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١] ".[٢]

وقد ذكر هذا التوجيه جماعة من المفسرين[٣] ، وهو أحد الأوجه التي علل بها الداني [ت: ٤٤٤] الزيادة في كتابه المحكم[٤] ، والتنسي [ت: ٨٩٩] في كتابه الطراز[٥] .

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل ٤٥٥/١.

(٢) تفسير الكشاف ١٥٥/٢.

(٣) تفسير البسيط ٤٧١/١٠، تفسير المحرر الوجيز ٣٢٧/٤، تفسير مفاتيح الغيب ٦٤/١٦، تفسير مدارك التنزيل ٦٨٤/١، تفسير اللباب ١٠٩/١٠، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤٧٨/٣، تفسير محاسن التأويل ٤٢٩/٥، التحرير والتنوير ٢١٧/١٠.

(٤) ص ٣١٥، ٣٢٨، ٣٤٠، ٣٤١.

(٥) ص ٣٣٩.

٢-اعتبار الحرف الزائد للفرق:

أمثلة:

مثال (١) :

قال الواحدي: [ت: ٤٦٨] "وكتبت الواو في ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ [البقرة: ٥] لئلا يشتبه في الكتابة بـ (إليك) "[١].

مثال (٢) :

قال ابن عادل: [ت: ٧٧٥] "وكتب في المصحف بواو بعد الهمزة؛ قالوا: ليفرقوا بين (أولي كذا) في النصب والجر، وبين (إلى) التي هي حرف جر، ثم حمل باقي الباب عليه، وهذا كما تقدم في الفرق بين (أولئك) اسم إشارة، و (إليك) جاراً ومجروراً وقد تقدم"[٢].

مثال (٣) :

وقال ابن عادل: [ت: ٧٧٥] أيضاً: "وكتبوا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [البقرة: ٥] بزيادة واو قبل اللام.

قيل: للفرق بينها وبين (إليك) "[٣].

وتوجيه الزيادة للفرق هو أحد الأوجه التي علل بها علماء الرسم منهم: الداني [ت: ٤٤٤][٤]، وأبو داود [ت: ٤٩٦][٥]، والتنسي [ت: ٨٩٩][٦]، واللبيب [ت: القرن الثامن][٧].

---

(١) تفسير البسيط ٨٢/٢.

(٢) تفسير اللباب ٢٣٠/٣.

(٣) تفسير اللباب ٣٠٣/١.

(٤) المقنع ١٢٤/٢، والمحكم ص ٣١٢-٣١٣، ٣١٥.

(٥) أصول الضبط ص ٢٣٠.

(٦) الطراز ص ٣٤٣.

(٧) الدرة الصقيلة ص ٤٣٠.

المبحث الثالث: توجيه البدل

البدل: عبارة عن جعل حرف مكان آخر، وذلك بإبدال الواو أو الياء من الألف، وبإبدال الصاد من السين، وبإبدال التاء من الهاء، وبإبدال الألف من النون[1].

أصول علل البدل:

أولاً: إبدال الألف واواً:

١-مراعاة الأصل والتفخيم:

أمثلة:

مثال (١) :

قال مكي: [ت: ٤٣٧] "وكتبت الصلاة في المصاحف بالواو لتدل على أصلها، لأن أصل الألف الواو، وأصلها صلوة. فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها، قلبت في اللفظ ألفاً؛ دليله قولهم في الجمع: صَلَواتٌ. وقد ذكرنا أن الجمع يرد الأشياء إلى أصولها؛ ولذلك قلنا: إن أصل ماء: مَوْهٌ وإن الألف بدل من الواو، والهمزة بدل من الهاء. ودلَّ على ذلك قولهم في الجمع: أمْوَاءٌ، فرد إلى أصله.

وقيل: إنما كتبت بالواو؛ لأن بعض العرب يفخم اللام والألف حتى تظهر الألف كأن لفظها يشوبه شيء من الواو، والقول الأول والآخر، به يعلل ما كتبوه من الزكوة والحيوة وشبهه بالواو، فاعلمه".[2]

---

(١) سمير الطالبين ٨٥، ومعجم مصطلحات علم القراءات القرآنية وما يتعلق به ٣١.

(٢) تفسير الهداية ١/١٣٣-١٣٤.

مثال (٢) :

قال الزمخشري: [ت: ٥٣٨] "﴿ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلاة والزكاة وزيدت الألف بعدها تشبيهاً بواو الجمع"[١]

مثال (٣) :

قال ابن عاشور: [ت: ١٣٩٣] "والذي عندي أن الصحابة كتبوه بالواو ليشيروا إلى أصله كما كتبوا الألفات المنقلبة عن الياء في أواسط الكلمات بياءات عليها ألفات، وكأنهم أرادوا في ابتداء الأمر أن يجعلوا الرسم مشيرًا إلى أصول الكلمات ثم استعجلوا فلم يطرد في رسمهم، ولذلك كتبوا الزكاة بالواو، وكتبوا الصلاة بالواو تنبيهًا على أن أصلها هو الركوع من تحريك الصلوين لا من الاصطلاء. "[٢]

وقال أيضاً: "وهم كتبوا الزكاة والربا والحياة بالواو إشارةً إلى الأصل"[٣]

وتوجيه إبدال الألف واواً مراعاة للأصل والتفخيم من ما علل به علماء الرسم منهم: المهدوي [ت: ٤٤٠][٤] ، والداني [ت: ٤٤٤][٥] ، والجعبري [ت: ٧٣٢][٦][٧] .

---

(١) تفسير الكشاف ١/١٦٤.

(٢) تفسير التحرير والتنوير ٣/٨٠.

(٣) المصدر اسابق ١/٢٣٤.

(٤) هجاء المصاحف ص٥٥.

(٥) المقنع ٢/١٢٦.

(٦) جميلة أرباب المراصد ٦٢٠.

(٧) ورجح الجعبري التعليل بالأصل على التعليل بالتفخيم.

٢-بناء الرسم على صورة كتابية منقولة من لغة أخرى:

أمثلة:

مثال (١) :

قال الثعلبي: [ت: ٤٢٧] "قالوا: وقياس كتابته بالياء لكسرة أوّله، وقد كتبوه في القرآن بالواو. قال الفراء: إنّما كتبوه كذلك؛ لأنّ أهل الحجاز تعلّموا الكتابة من أهل الحيرة، ولغتهم: الربو، فعلّموهم صورة الحرف على لغتهم فأخذوه كذلك عنهم"(١) .

مثال (٢) :

قال أبو حيان: [ت: ٧٤٥] "وقرأ العدوي: ﴿ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] بالواو قيل: وهي لغة الْحيرة، ولذلك كتبها أهْل الْحجاز بالْواو؛ لأنّهمْ تعلّموا الْخطّ منْ أهْل الْحيرة"(٢) .

مثال (٣) :

قال ابن عادل: [ت: ٧٧٥] "وكتب في القرآن بخطِّ الصحابة بواوٍ بعدها ألفٌ.

وقيل: إنما بالواو؛ لأنَّ أهل الحجاز تعلَّموا الخطَّ من أهل الحيرة، وأهل الحيرة يقولون: (الرِّبَوا) بالواو، فكتبوها كذلك، ونقلها أهل الحجاز كذلك؛ خطّاً لا لفظاً"(٣)

---

(١) تفسير الكشف والبيان ٣٩٣/٧.

(٢) تفسير البحر المحيط ٥٤/٥.

(٣) تفسير اللباب ٤٤٦/٤.

وتوجيه إبدال الألف واواً بناءً على صورة كتابية منقولة من لغة أخرى نص عليه الأركاتي [ت: ١٢٣٨] في نثر المرجان[١] .

٣-مراعاة الفرق:

أمثلة:

مثال (١) :

قال القرطبي: [ت: ٦٧١] "قال محمد بن يزيد: كتب ﴿ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] في المصحف بالواو فرقاً بينه وبين الزنا، وكان الربا أولى منه بالواو؛ لأنه من ربا يربو"[٢] .

مثال (٢) :

قال ابن عاشور: [ت: ١٣٩٣] "وقال المبرد: كتب كذلك للفرق بين الربا والزنا، وهو أبعد؛ لأن سياق الكلام لا يترك اشتباهاً بينهما من جهة المعنى إلا في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ [الإسراء: ٣٢] "[٣] .

وتوجيه إبدال الألف واواً مراعاة للفرق نص عليه الأركاتي في نثر المرجان [ت: ١٢٣٨][٤] .

ثانياً: إبدال الألف ياءً:

١-مراعاة الأصل والإمالة:

---

(١) ١/٣٦٨.

(٢) تفسير القرطبي ٤/٣٩٠.

(٣) تفسير التحرير والتنوير ٣/٨٠.

(٤) ١/٣٦٨.

مثال (١) :

قال الواحدي: [ت: ٤٦٨] "قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ [آل عمران: ٣] . وكُتِبَت بالياء على أصل الكلمة"[١] .

مثال (٢) :

قال ابن عاشور: [ت: ١٣٩٣] "على أن أصل الألف أن تكتب بصورتها الأصلية، وأما كتابتها في صورة الياء حيث تكتب كذلك فهو إشارة إلى أصلها أو جواز إمالتها"[٢] .

وتوجيه إبدال الألف ياء مراعاة للأصل والإمالة من ما علل به علماء الرسم منهم: الداني[٣] ، وأبو داود[٤] .

٢-مراعاة الفواصل:

قال ابن عاشور: [ت: ١٣٩٣] "كتب في المصحف ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ [الضحى: ١] بألف في صورة الياء مع أن أصل ألفه الواو؛ لأنهم راعوا المناسبة مع أكثر الكلمات المختومة بألف في هذه السورة فإن أكثرها منقلبة الألف عن الياء، ولأن الألف تجري فيها الإمالة في اللغات التي تميل الألف التي من شأنها أن لا تمال إذا وقعت مع ألف تمال للمناسبة كما قال ابن مالك في «شرح كافيته».

ويقال: سجا الليل سجواً بفتح فسكون، وسجواً بضمتين وتشديد الواو، إذا امتد وطال مدة ظلامه مثل سجو المرء بالغطاء، إذا غطى به جميع جسده

---

(١) تفسير البسيط ٢٠/٥.

(٢) تفسير التحرير والتنوير ٦٢/١٨.

(٣) المقنع ١٧٠/٢.

(٤) مختصر التبيين ١١٢/٢، ١١٩/٢، ٣٢٧/٢.

وهو واوي ورسم في المصحف بألف في صورة الياء للوجه المتقدم في كتابة الضحى"[1].

وتوجيه إبدال الألف ياءً مراعاة للفواصل علل به المهدوي [ت: ٤٤٠] في كتابه هجاء مصاحف الأمصار[2].

ثالثاً: إبدال هاء التأنيث تاءً:

مراعاة الوصل:

قال ابن عاشور: [ت: ١٣٩٣] " ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ۝٤٤﴾ [الدخان: ٤٣] وكتبت كلمة شجرة في المصاحف بتاء مفتوحة مراعاة لحالة الوصل"

وتوجيه إبدال هاء التأنيث تاءً مراعاة لحالة الوصل من ما علل به علماء الرسم، منهم: المهدوي [ت: ٤٤٠][3]، والداني [ت: ٤٤٤][4].

رابعاً: إبدال النون ألفاً:

مراعاة الوقف:

١- ﴿ وَلَيَكُونَا ﴾ [يوسف: ٣٢]

مثال (١) :

قال الزمخشري: [ت: ٥٣٨] "قرئ ﴿وَلَيَكُونَا﴾ [يوسف: ٣٢] بالتشديد والتخفيف. والتخفيف أولى؛ لأنّ النون كتبت في المصحف ألفاً على حكم

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ٣٠/٣٩٥.

(٢) ص ٥٥.

(٣) هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٠.

(٤) المقنع ص ٢/٢٣٠.

الوقف، وذلك لا يكون إلا في الخفيفة"[1] .

مثال (٢) :

قال معين الدين الإيجي: [ت: ٨٩٤] "﴿ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢] : من الأذلاء والنون الخفيفة يكتب في خط المصحف ألفًا على حكم الوقف"[2] .

مثال (٣) :

قال أبو السعود: [ت: ٩٨٢] "﴿وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢] بالمخففة ﴿مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ أي الأذلاء في السجن وقد قرئ الفعلان بالتثقيل ولكن المشهورةَ أولى؛ لأن النونَ كُتبت في المصحف ألفاً على حكم الوقف"[3][4] .

٢- ﴿ لَنَسۡفَعَۢا ﴾ [العلق: ١٥]

مثال (١) :

قال الزمخشري: [ت: ٥٣٨] "﴿لَنَسۡفَعَۢا﴾ [العلق: ١٥] وكتبتها في المصحف بالألف على حكم الوقف"[5] .

مثال (٢) :

قال البيضاوي: [ت: ٦٨٥] "﴿ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ [العلق: ١٥] . وكتابته في

---

(١) تفسير الكشاف ٢/٢٥٥.

(٢) تفسير جامع البيان ٢/٢٢٢.

(٣) تفسير إرشاد العقل السليم ٤/٢٧٣.

(٤) للمزيد من الأمثلة ينظر: تفسير فتح القدير للشوكاني ٣/٣٢.

(٥) تفسير الكشاف ٤/٢٢٤.

المصحف بالألف على حكم الوقف"[١] .

مثال (٣) :

قال النسفي: [ت: ٧١٠] "﴿ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ [العلق: ١٥] لنأخذن بناصيته ولنسجنه بها إلى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وكتبها في المصحف بالألف على حكم الوقف"[٢][٣] .

وتوجيه إبدال النون ألفاً مراعاةً للوقف علل به الداني في المقنع[٤] .

خامساً: إبدال السين صاداً:

١-مراعاة الاستعلاء والإطباق ليخف اللفظ:

قال المهدوي: [ت: ٤٤٠] "﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ [الفاتحة: ٦] السين الأصل، والصاد: بدل منها؛ لتتفق الصاد والطاء في الاستعلاء والإطباق، فيخف اللفظ"[٥]

وتوجيه البدل في (الصراط) مراعاة للاستعلاء والإطباق ليخف اللفظ

مما علل به علماء الرسم، منهم: السخاوي [ت: ٦٤٣][٦] ، واللبيب [ت: القرن الثامن][٧] .

---

(١) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥٥٢/٣.

(٢) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٦٦٤/٣.

(٣) للمزيد من الأمثلة: تفسير التسهيل لعلوم التنزيل ٧٢٦/٤، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥٣٣/٦، تفسير جامع البيان للإيجي ٥١٢/٤، تفسير إرشاد العقل السليم ١٨٠/٩، تفسير التحرير والتنوير ٤٥٠/٣٠.

(٤) ٧٣/٢.

(٥) تفسير التحصيل ١٣٣/١.

(٦) الوسيلة ص ٨٩.

(٧) الدرة الصقيلة ٢٢٧-٢٢٨.

٢-مراعاة الأفصح وهي لغة قريش:

مثال (١) :

قال الزمخشري: [ت: ٥٣٨] "وفصاحهنَّ إخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الإمام"[١] .

مثال (٢) :

قال أبو حيان: [ت: ٧٤٥] "وإبدال سينه صاداً هي الفصحى وهي لغة قريش"[٢] .

مثال (٣) :

قال ابن عاشور: [ت: ١٣٩٣] "فإن قيل: كيف كتبت في المصحف بالصاد وقرأها بعض القراء بالسين؟ قلت: إن الصحابة كتبوها بالصاد تنبيهًا على الأفصح فيها؛ لأنهم يكتبون بلغة قريش"[٣] .

وتوجيه البدل في (الصراط) مراعاة للأفصح وهي لغة قريش نصَّ عليه الأركاتي [ت: ١٢٣٨] في نثر المرجان[٤] .

---

(١) تفسير الكشاف ١/١١.

(٢) تفسير البحر المحيط ١/٧٧.

(٣) تفسير التحرير والتنوير ١/١٩٠.

(٤) ١/٩٨.

المبحث الرابع: توجيه الفصل والوصل

الفصل: عبارة عن قطع الكلمة عما بعدها رسماً، وهو الأصل، والوصل مقابل له، ويعبر عنهما بالمقطوع والموصول[١] .

أصول علل الفصل والوصل:

١-مراعاة الأصل في الفصل:

مثال (١) :

قال مكي: [ت: ٤٣٧] "وأصل (ما) في قوله: ﴿ وَمِمَّا ﴾ [البقرة: ٣] أن تكتب منفصلة؛ لأنها بمعنى الذي. وقد وقعت (ما) متصلة بما قبلها من الجار في الخط، وهي بمعنى الذي، وأصلها الانفصال"[٢] .

مثال (٢)

وقال مكي: [ت: ٤٣٧] أيضاً: "وقد كتبت (بِئْسَما) و (نِعِمّا) مَوْصُولةَ وأصلها أن تفصل (ما) مما قبلها في الخط"[٣] .

مثال (٣)

قال ابن عاشور: [ت: ١٣٩٣] "وأصل حروف الهجاء كلها الانفصال، وكذلك هي في الخطوط القديمة للعرب وغيرهم"[٤] .

٢- بناء الوصل على اللفظ مما فيه إدغام:

---

(١) سمير الطالبين ص ٩٠.

(٢) تفسير الهداية ١/١٣٥.

(٣) المصدر السابق ١/١٣٦.

(٤) تفسير التحرير والتنوير ١٨/٣٢٩.

مثال (١)

قال مكي: [ت: ٤٣٧] "وقد وقعت (أمّن) في السواد موصولة، وكان حقها أن تكون مفصولة، ولكن كتبت على لفظ الإدغام"[١] .

مثال (٢) :

قال ابن الجوزي: [ت: ٥٩٧] "والأصل في اللفظ (إن ما) مفصولة، ولكنها مدغمة، وكتبت على الإدغام"[٢] .

مثال (٣) :

قال ابن عاشور: [ت: ١٣٩٣] "وإما مركبة من (إن) الشرطية و (ما) الزائدة المهيئة لنون التوكيد، وحقها أن تكتب بنون بعد الهمزة وبعدها (ما) ، ولكنهم راعوا حالة النطق بها مدغمةً فرسموها كذلك في المصاحف وتبعها رسم الناس غالبًا"[٣] .

٣- مراعاة كثرة الاستعمال ولاختصار في الوصل مما ليس فيه إدغام:

مثال (١) :

قال مكي: [ت: ٤٣٧] "وكذلك وصلت (حينئِذٍ) و (يؤمَئِذٍ) ، وأصل (إذا) الانفصال مما قبلها، لكن وصلت لكثرة الاستعمال والاختصار والإيجاز"[٤] .

---

(١) تفسير الهداية ٥٤٥٦/٨.

(٢) تفسير زاد المسير ٧١/١.

(٣) تفسير التحرير والتنوير ٦٨/١٥.

(٤) تفسير الهداية ١٣٦/١.

مثال (٢) :

وقال مكي: [ت: ٤٣٧] "كتبت (ويكأن) متصلة لكثرة الاستعمال، كما كتبوا يا ابن أم متصلة"[١] .

مثال (٣) :

قال القرطبي: [ت: ٦٧١] "وينبغي أن تكون الكاف حرف خطاب لا اسماً؛ لأن وي ليست مما يضاف. وإنما كتبت متصلة؛ لأنها لما كثر استعمالها جعلت مع ما بعدها كشيء واحد"[٢] .

وتوجيه الفصل بناءً على الأصل وكذلك توجيه الوصل بناءً على اللفظ أو مراعاةً لكثرة الاستعمال والاختصار مما علل به علماء الرسم، منهم:

المهدوي [ت: ٤٤٠][٣] ، والجهني [ت: ٤٤٢][٤] ، والداني [ت: ٤٤٤][٥] .

---

(١) تفسير الهداية ٥٥٨٣/٨.

(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن ٣٢٧/١٦.

(٣) هجاء المصاحف ٤٩.

(٤) البديع ٨٦.

(٥) المقنع ٢٠١/٢.

الخاتمة

بعون الله وتوفيقه تم في هذا البحث بيان مفهوم توجيه رسم المصحف، وبيان عناية المفسرين به، ومنهجهم ثم أصولهم في توجيه رسم المصحف.

وقد انتهى هذا البحث إلى عددٍ من النتائج، من أهمها:

١- بدأت عناية المفسرين بتوجيه رسم المصحف منذ وقت مبكر.

٢- أتت أقوال المفسرين في توجيه رسم المصحف على أبواب الرسم من الحذف والزيادة والبدل والفصل والوصل.

٣- توجيه رسم المصحف من علوم الرسم الأصيلة التي اعتنى بها العلماء المتقدمون.

٤- يعتمد جمهور المفسرين في توجيه الرسم على علل وأصول لغوية تتعلق بالنطق وتقاليد الكتابة.

٥- من أهم المصادر التي يعتمد عليها جمهور المفسرين في توجيه رسم المصحف النقل عن أئمة اللغة المتقدمين.

٦- توجيه رسم المصحف على مذهب جمهور المفسرين لا علاقة له بمعنى الآية وسياقها.

٧- الأصول والعلل التي يعتمد عليها جمهور المفسرين في توجيه رسم المصحف لا تخرج في مجملها عن الأصول والعلل التي يعتمد عليها علماء الرسم.

٨- المذهب الذي يعتمد على فكرة الربط بين توجيه الرسم ومعنى الآية وسياقها لم ينشأ عند المفسرين إلا متأخراً، وهو مخالف لمذهب جمهور المفسرين من المتقدمين والمتأخرين.

٩- يُعَدُّ الإمام برهان الدين البقاعي [ت: ٨٨٥] من أوائل المفسرين الذين ساهموا في نشر وانتشار المذهب الذي يعتمد على فكرة الربط بين توجيه الرسم ومعنى الآية وسياقها عند المفسرين وذلك من خلال كتابه" نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

والحمد لله رب العالمين وصلى على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

١-أبو الحسن الحرالي المراكشي آثاره ومنهجه في التفسير، د. محمادي الخياطي، مركز الدراسات القرآنية الرابطة المحمدية للعلماء، ط الأولى ١٤٣٢هـ.

٢-إرشاد القراء الكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين، رضوان بن محمد المخللاتي، تحقيق: أبو الخير عمر المراطي، مكتبة الإمام البخاري، مصر، ط الأولى ١٤٢٨هـ.

٣-أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار، سليمان بن نجاح، تحقيق د. أحمد شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، ١٤٢٧هـ.

٤-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.

٥-الإمام برهان الدين البقاعي ومنهجه في التفسير، د. أكرم الموصلي، دار الفتح، عَمّان، ط الأولى، ١٤٣٥هـ.

٦-إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

٧-أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد حلّاق، د محمود الأطرش، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان، بيروت، ط الأولى ١٤٢١هـ.

٨-البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: ماهر حبوش وزملاؤه، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط الأولى ١٤٣٦هـ.

٩-البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان رضي الله عنه، محمد بن يوسف الجهني، تحقيق د. غانم الحمد، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط الأولى ١٤٣٨هـ.

١٠-البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١١-تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، دار الفكر.

١٢-التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، أحمد بن عمار المهدوي [ت: ٤٤٠] ، تحقيق: دار الكمال المتحدة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط الأولى ١٤٣٥هـ.

١٣-تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، تحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط الأولى ١٤١٨هـ.

١٤-التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي، تحقيق علي الصالحي، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط الأولى ١٤٣٩هـ.
١٥-تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الرابعة١٤١٤هـ.
١٦-التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق رسائل جامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ١٤٣٠هـ.
١٧-تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر.
١٨-تفسير الرغب الأصفهاني، الحسين بن محمد أبو القاسم الأصفهاني، تحقيق: د. محمد بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا١٤٢٠هـ، ود. عادل الشدي، دار الوطن الرياض، ط الأولى ١٤٢٤هـ، ود. هند سردار، كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى، ط الأولى ١٤٢٢هـ.
١٩-تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ضبط وتصحيح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٨هـ.
٢٠-تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
٢١-تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تحقيق: حسين بن عكاشة و محمد الكنز، الفاروق الحديثة، ط الأولى ١٤٢٣هـ.
٢٢-تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، ط الأولى١٤١٨هـ.
٢٣-التفسير الكبير (تفسير الرازي) ، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٢٠.
٢٤-التيسير في القراءات السبع، أبو عمر عثمان بن سعيد الداني، تصحيح أوتويرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٦هـ.
٢٥-جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله التركي، مركز البحوث والدراسات بدار هجر، ط الأولى١٤٢٢هـ.
٢٦-جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الإيجي) ، محمد بن عبد الرحمن الإيجي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى١٤٢٤هـ.
٢٧-الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٢٧هـ.

٢٨-جميلة أرباب المراصد في شرح عقلية أتراب القصائد، برهان الدين إبراهيم عمر الجعبري، تحقيق: د. محمد إلياس أنور، كرسي الشيخ يوسف عبد اللطيف جميل للقراءات، جامعة طيبة، ط الأولى ١٤٣٨هـ.
٢٩-الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) ، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، تحقيق: محمد معوض وعادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى ١٤١٨هـ.
٣٠-حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، دار صادر، بيروت.
٣١-الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة، أبو بكر عبد الغني اللبيب، د. عبد العلي زعبول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط الأولى ١٤٣٢هـ.
٣٢-دليل الحيران على مورد الظمآن في فني الرسم والضبط، إبراهيم المارغني التونسي، تحقيق: د. عبد السلام البكاري، دار الأمان، الرباط، ط الثانية ١٤٣٧هـ.
٣٣-رسم المصحف بين التعليل اللغوي والتوجيه الدلالي، د. غانم الحمد، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، العدد الأول، ١٤٣٧هـ.
٣٤-زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط الرابعة ١٤٠٧هـ.
٣٥-السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (تفسير الخطيب الشربيني) ، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، مطبعة بولاق (الميرية) ، القاهرة، ١٢٨٥هـ.
٣٦-سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، علي الضباع، قراءة وتنقيح محمد علي الحسيني، الطبع والنشر عبدالحميد أحمد حنفي، ط الأولى.
٣٧-شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٨-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط الرابعة ١٩٩٠م.
٣٩-الطراز في شرح ضبط الخراز، محمد بن عبد الله التّنسي، تحقيق: د. أحمد شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط الأولى ١٤٢٠هـ.
٤٠-عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي، تحقيق: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٩٩٠م.
٤١-غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: د. شمران العجلي،

مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ.
٤٢-غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تفسير النيسابوري) ، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، تحقيق: زريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ.
٤٣-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة، ط الثانية، ١٤١٨هـ.
٤٤-القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤٠٧هـ.
٤٥-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جارالله محمود بن عمر الزمخشري، مكتبة المعارف، الرياض، دار المعرفة، بيروت.
٤٦-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٧-الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: مجموعة من الباحثين بجامعة أم القرى، دار التفسير، جدة، ط الأولى ١٤٣٦هـ.
٤٨-اللباب في علوم الكتاب (تفسير ابن عادل) ، سراج الدين عمر بن علي بن عادل، تحقيق: عادل معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ.
٤٩-لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وزملاؤه، دار المعارف.
٥٠-المحرر الوجيز (تفسير ابن عطية) ، عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: الرحالة الفاروق وزملاؤه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط الثانية ١٤٢٨هـ.
٥١-المحكم في علم نقط المصاحف، أبو عمر عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: د. غانم الحمد، دار الغوثاني، دمشق-بيروت، ط الأولى ١٤٣٨هـ.
٥٢-مختصر التبيين لهجاء التنزيل، أبو داود سليمان بن نجاح، تحقيق: د. أحمد شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١هـ.
٥٣-مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) ، عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط الأولى ١٤١٩هـ.
٥٤-المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية، نصر الوفائي الهوريني، تحقيق: د. طه عبدالمقصود، ط مكتبة السنة، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٦هـ.
٥٥-معالم التنزيل (تفسير البغوي) ، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر وزملاؤه، دار طيبة، الرياض، ط الثانية ١٤١٤هـ

٥٦-معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨.
٥٧-معجم مصطلحات القراءات القرآنية وما يتعلق به، د. عبد العلي المسئول، دار السلام، القاهرة-الإسكندرية، ط الأولى ١٤٢٨هـ.
٥٨-معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.
٥٩-معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني، د. عبد الهادي حميتو، مطبعة الوفاء، آسفي، ط الأولى ١٤٢١هـ.
٦٠-المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل المصار، أبو عمر عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: د. بشير الحميري، مكتبة نظام يعقوبي الخاصة، البحرين، ط الأولى ١٤٣٧هـ.
٦١-مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن، د. أحمد فرحات، دار عمار، عَمّان، ط الأولى ١٤١٨هـ.
٦٢-الميسر في علم رسم المصحف وضبطه، د. غانم الحمد، مركز الدراسات والمعلومات بمعهد الإمام الشاطبي، ط الأولى ١٤٣٣هـ.
٦٣-نثر المرجان في رسم نظم القرآن، محمد غوث الأركاتي، مطبعة عثمان، حيدر أباد، الدكن.
٦٤-النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، دار الكتاب العربي، تصحيح ومراجعة: علي الضباع.
٦٥-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط الأولى ١٣٨٩هـ.
٦٦-هجاء مصاحف المصار، أحمد بن عمار المهدوي، تحقيق: د. حاتم الضامن، دار ابن الجوزي، السعودية، ط الأولى ١٤٣٠هـ.
٦٧-الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، مجموعة رسائل جامعية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط الأولى ١٤٢٩هـ.
٦٨-الوسيلة إلى كشف العقيلة، علم الدين علي بن محمد السخاوي، تحقيق: د. مولاي محمد الإدريسي، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، ط الأولى ١٤٢٣هـ.

***

موقف ابن رشد الحفيد (ت ٥٩٥ هـ) من المعاد

د. أحلام بنت صالح بن عبد الله الضبيعي
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

موقف ابن رشد الحفيد (ت ٥٩٥ هـ) من المعاد

د. أحلام بنت صالح بن عبد الله الضبيعي

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٩/ ٥/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ١١/ ٧/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

يعتقد جماهير المسلمين من أهل السنة وغيرهم أن الله ﷻ على كل شيء قدير، وأنه يعيد الأرواح يوم القيامة إلى الأجساد التي كانت فيها في الدنيا. وقد خالف الفلاسفة في هذا المعتقد، ومنهم ابن رشد الحفيد المتوفى عام (٥٩٥هـ) الذي يعتقد أن الأرواح تعود إلى أجساد أخرى غير الأجساد التي كانت فيها في الدنيا. والمعاد عنده للروح لا للجسد وأن الله سيخلق أجسادًا أخرى يوم القيامة تحلّ فيها هذه الأرواح، وحجته في ذلك أن الإعادة أمر مستحيل، وله تفصيلات في ذلك تجدها أيها القارئ الكريم في ثنايا البحث. مع بيان الفرق بينه وبين ابن سينا في معتقده في المعاد، وإيراد بعض ردود شيخ الإسلام ابن تيمة على الفلاسفة عامة في قولهم بقدم العالم، وقول ابن رشد هذا مخالف لما ورد في الكتاب والسنة من إثبات قدرة الله التي لا يحدها شيء، وأن الإعادة أهون عليه سبحانه، فرب العالمين لا يؤوده شيء في الأرض ولا في السماء فهو على كل شيء قدير.

الكلمات المفتاحية: ابن رشد، المعاد، قدم العالم، وحدة النفس، معاد الأبدان.

Ibn Rushd (Averroes) the Grandson's approach on the Hereafter

Dr. Ahlam Saleh A Aldhubaiy
Department Doctrine & Contemporary Ideologies Department Assistant-Faculty Principles of Religion
Imam Mahammad Ibn Saud Islamic university

Abstract:

Most Muslims, Sunnis and others; believe that Allah is capable of everything. Also, they believe that on Judgment Day, souls will return to bodies. Philosophers have disagreed with that, including Ibn Rushed the Grandson. He believed that souls would belong to other bodies; because Life after Death is the soul's return only, as he believes. He also argues that returning is impossible; His belief is contrary to what is stated in the Qur'an and Sunnah. They all prove that the power of Allah is not limited by anything and that returning is easy for Him. He feels no fatigue in the earth nor haven, and He is The Capable of everything.

key words: Ibn Rushd (Averroes), Hereafter, Eternal Creature, Unity of the Intellect, Bodily Resurrection.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن من أعظم أصول الدين أركان الإيمان الستة، والإيمان بها كما جاء في كتاب الله العزيز، وسنة رسوله -ﷺ-، وما أجمع عليه الصحابة الكرام -رضي الله عنهم-، والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، من غير تحريف ولا تأويل باطل لكلام الله ورسوله ﷺ، ولا إقحام للعقول القاصرة في أمور الغيب التي حجبها الله عن عباده وأمرهم بالإيمان المجمل والمفصل بها كما أخبرهم.

وهذه الأركان الستة هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وسأتناول في هذا البحث أمراً من أمور الإيمان باليوم الآخر، وهو المعاد الأخروي.

وقد تعددت أقوال الفرق وأتباعهم في المعاد، وكان من هؤلاء الأتباع ابن رشد الحفيد الفيلسوف، فقد كان له اعتقاد في المعاد مخالف للاعتقاد الصحيح الذي جاء في الكتاب والسنة، فجعلت عنوان هذا البحث (موقف ابن رشد الحفيد من المعاد).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١) إن الإيمان باليوم الآخر وما فيه هو إيمان بالله وبباقي أركان الإيمان، فيجب ألا يفرق المرء المسلم بين هذه الأركان.

٢) يجب على المسلم أيضاً أن يؤمن بتفاصيل كل ركن من الأركان الستة، ومنها اليوم الآخر بما فيه من بعث وحساب وجزاء بجنة أو نار وغير ذلك كما أخبرنا بها الشارع الحكيم.

٣) ترك إعمال وخوض العقل في الأمور الغيبية التي حجبها الله سبحانه عن عباده وأخبرهم بها، ومن ذلك كيفية المعاد الروحاني والجسماني معاً.

٤) وجود بعض الشخصيات من الفلاسفة المنتسبين للإسلام أنكرت المعاد الجسماني وقالت بالمعاد الروحاني فقط، ومنهم أبو الوليد ابن رشد الحفيد (٥٩٥ هـ) والذي سأعرض موقفه بالتفصيل في هذه الدراسة.

أهداف البحث:

١) بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في المعاد.

٢) بيان نبذة تعريفية بأبي الوليد ابن رشد الحفيد.

٣) بيان عقيدة أبي الوليد ابن رشد الحفيد في المعاد، والرد عليه.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في المكتبات في الشبكة العنكبوتية لم أقف على عنوان مطابق لعنوان هذا البحث، ولكن وجدت بعض الكتب والبحوث التي تناولت فلسفة ابن رشد الحفيد عامة، أو تناولت آراء الفلاسفة في الإسلام ومن بينهم ابن رشد، أو تناولت المعاد عند الفلاسفة في الإسلام عامة ومن بينهم ابن رشد، ومن هذه الكتب والبحوث:

١- (**المعاد عند الفلاسفة المسلمين من الكندي إلى ابن رشد**) للدكتور: إياد كريم الصلاحي، من مطبوعات دار صفحات للدراسات والنشر، سورية- دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، الكتاب عبارة عن مقارنة تحليلية نقدية لمواقف الفلاسفة في الإسلام في المعاد، وأنهم ليسوا على منهج واحد في ذلك.

٢- (**تهافت ابن رشد في كتابه تهافت التهافت: مظاهره، آثاره، أسبابه**) للأستاذ الدكتور: خالد كبير علال، طبعته دار كنوز الحكمة، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، الكتاب فيه قراءة نقدية تكشف أخطاء ومغالطات وتناقضات ابن رشد في كتابه تهافت التهافت.

٣- (**رفع الرشد عن ابن رشد**) للدكتور: عبد الباسط الناشي، طبعة الدار التونسية للكتاب، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، كتاب ينتقد فيه مؤلفه ابن رشد الحفيد في دفاعه عن آراء الفلاسفة اليونان وعلى رأسهم أستاذه الأول أرسطو، وينتقد ردوده في كتابه (تهافت التهافت) على الغزالي في كتابه (تهافت الفلاسفة).

٤- (**العقل والنقل عند ابن رشد**) لمؤلفه الشيخ: محمد أمان بن عليّ جامي عليّ، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الحادية عشرة، العدد الأول، غرة رمضان ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، وقد تحدث فيه الشيخ عن علاقة العقل بالنقل عند ابن رشد في أمور العقيدة، وتعرض في أثناء ذلك لمسألة المعاد ورأي ابن رشد فيها والرد عليه بإيجاز.

٥- (**البعث عند الفلاسفة وموقف الإسلام منه**) رسالة دكتوراه في قسم العقيدة – كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للدكتور: عبد الكريم الحميدي، أشار فيها لموقف ابن رشد من المعاد.

٦- (**الفلاسفة وتعدد أطروحات المعاد**) لمحمد يحيى، بحث موجود في الشبكة العنكبوتية من تسع صفحات بصيغة الوورد، وبدون طبعة.

٧- (**موقف ابن رشد من مسألة البعث**) لهشام بالرايس.[١]

٨- (**البعث عند الفلاسفة الإسلاميين وموقف الإسلام منهم**) **للدكتورة:** أسماء حسن أبو عوف، مجلة كلية الآداب – حلوان، العدد ٤٣.

٩- (**عقيدة البعث عند الفلاسفة**) مقال في مدونة كشف حقيقة زيف التصوف، ولم أتمكن من معرفة اسم صاحب المقال أو صاحب المدونة.[٢]

---

(١) وهو مقال موجود على موقع الفكر وهو جامعة تهتم بالقضايا الحضارية والمسائل الفلسفية وطرح الدراسات الفكرية والعقدية

https://alfikhir.blogspot.com/2015/04/blog-post_12.html?showComment=1585902596654#c2263618755735742354

(2) http://kahfetsaofe.blogspot.com/2015/08/blog-post_34.html

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وتشتمل على خطبة الحاجة، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد: عقيدة المسلمين في المعاد.

المبحث الأول: نبذة موجزة عن ابن رشد الحفيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بابن رشد.

المطلب الثاني: محنة ابن رشد.

المبحث الثاني: عقيدة ابن رشد الحفيد في المعاد، والرد عليه، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: وحدة النفس (وحدة النوع).

المطلب الثاني: أزلية الأنواع وحدوث الأفراد الأرضية.

المطلب الثالث: التشكيك بعقيدة حشر الأجساد.

المطلب الرابع: الأرواح تعود إلى أجساد أخرى.

المطلب الخامس: الفرق بين قول ابن سينا في المعاد وقول ابن رشد.

المطلب السادس: من أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في رده على مذهب الفلاسفة عامة في المعاد.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، ويليها قائمة مصادر البحث ومراجعه.

منهج البحث:

سلكت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي التحليلي، وستكون إجراءات البحث كالتالي:

١) عزو الآيات إلى مواضعها من السور مع ذكر رقم الآية واسم السورة في المتن.

٢) قمت بتخريج الأحاديث من مصادرها، فبدأت بصحيح البخاري، فإن وجدت فيه الحديث وإلا انتقلت إلى صحيح مسلم، فإن لم أجده في الصحيحين انتقلت إلى باقي الكتب الستة على الترتيب: سنن أبي داود، سنن الترمذي (الجامع الكبير)، سنن النسائي (المجتبى)، أما إذا كان في السنن الكبرى له بينت ذلك، ثم سنن ابن ماجه، فإن لم أجده في هذه الأربعة انتقلت إلى مسند الإمام أحمد، وقد اعتمدت على النسخة المحققة لنقل الحكم على الأحاديث، ثم باقي كتب السنة، مع الحرص على بيان درجة الحديث من الصحة أو الضعف.

٣) عند الإحالة في تخريج الحديث، فإني أذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة إذا كان في الكتب الستة، أم غيرها فإني أذكر رقم الجزء والصفحة فقط.

٤) الإحالة إلى المصادر والمراجع في الحاشية أسفل الصفحة، وذلك بذكر اسم الكتاب مختصراً، واسم المؤلف مختصراً، ورقم الجزء إن وجد/ ورقم الصفحة، أما باقي معلومات الكتاب فستذكر كاملة في فهرس المصادر والمراجع آخر البحث.

٥) التعريف بالأعلام غير المشهورين –مع أن الشهرة أمر نسبي– أما المشهورين فقد اكتفيت بذكر سنة وفاتهم في المتن.

٦) ضبط ما يشكل وشرح الكلمات.

التمهيد: عقيدة المسلمين في المعاد:

المعاد لغة:

يأتي المعاد بألفاظ مترادفة، فيطلق تارة بالحشر، وتارة بالبعث.

والمعاد لغة: من عَوَدَ، وهو المبعث، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[القصص:٨٥]، وأكثر التفسير في هذه الآية أي: لباعثك، وعلى هذا كلام الناس: اذكر المعاد أي اذكر مبعثك في الآخرة قاله الزجاج.(١)

والمعاد: أي الموعد، أي موعدك في الجنة.(٢)

والمعاد: المصير والمرجع.(٣)

أما المعاد شرعاً: فهو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها.(٤)

الأدلة على إثبات المعاد:

المعاد الأخروي بالجسد والروح ثابت بالأدلة الكثيرة الواردة في الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، ومن هذه الأدلة:

أولًا: الكتاب:

١) ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة:٥٥-٥٦].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ٨٢/٣.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٨٢/٣.

(٣) الصحاح، الجوهري، ٥١٤/٢، وينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري، ٨٢٣/٧.

(٤) لوامع الأنوار البهية، السفاريني، ١٥٧/٢.

قال الطبري-رحمه الله- (٣١٠ هـ): "يعني بقوله: (ثم بعثناكم) ثم أحييناكم".(١)

٢) ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٧٣].

قال الطبري -رحمه الله-: "وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ مخاطبة من الله عباده المؤمنين، واحتجاج منه على المشركين المكذبين بالبعث، وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدنيا، فقال لهم تعالى ذكره: أيها المكذبون بالبعث بعد الممات، اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته، فإني كما أحييته في الدنيا فكذلك أحيي الموتى بعد مماتهم، فأبعثهم يوم البعث".(٢)

٣) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾[الأعراف:٥٧].

قال البغوي-رحمه الله- (٥١٦ هـ): "استدل بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى".(٣)

٤) ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[يس:٧٨-٧٩].

---

(١) تفسير الطبري=جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٦٩١/١.

(٢) المصدر السابق، ١٢٨/٢.

(٣) تفسير البغوي=معالم التنزيل في تفسير القرآن، ٢٣٩/٣.

قال السعدي-رحمه الله- (١٣٧٦ هـ): "فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شافٍ كافٍ، فقال: قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وهذا بمجرد تصوره، يعلم به علمًا يقينًا لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون على القدرة إذا تصوره المتصور، قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ هذا أيضا دليل ثانٍ من صفات الله تعالى، وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم".(١)

ثانيًا: من السنة:

١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: ((**قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني، كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفئا أحد**)).(٢)

(١) تفسير السعدي=تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٦٩٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة قل هو الله أحد، باب حدثنا أبو اليمان ...، رقم الحديث ٤٩٧٤، ٨٩٢.

٢) عن أبي رزين العقيلي -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسولَ الله كيف يحيي الله الموتى؟، قال ﷺ: ((**أوما مررتَ بوادي قومك قحلا**[١]**، ثم مررت به خضراء، ثم مررت به قحلا، ثم مررت به خضراء؟**)) ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾[البقرة:٧٣].[٢]

٣) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله-ﷺ- بعظم حائل[٣] ففته فقال: يا محمد أيبعث الله هذا بعد ما أرم[٤]؟ قال ﷺ: ((**نعم، يبعث الله هذا، يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم**)) قال: فنزلت الآيات ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾[يس:٧٧] إلى آخر السورة.[٥]

ثالثًا: إجماع المسلمين:

أجمع أهل الإسلام على إثبات المعاد الجسماني في مواطن كثيرة من كتبهم رحمهم الله تعالى، منهم:

---

(١) أي يبس من شدة القحط. ينظر: غريب الحديث، الخطابي، ٤٣٧/١، والنهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ١٨/٤.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، ٢٠٨/١٩، وحسنه الألباني، ينظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ٢٨٤/١.

(٣) أي متغير قد غيره البلى، وكل متغير حائل، فإذا أتت عليه السنة فهو محيل. الغريبين في القرآن والحديث، الهروي، ٥١٢/٢.

(٤) أي بلي وفَنِيَ. ينظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ٤٠/١.

(٥) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ٤٦٦/٢. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

الإمام أبو عبد الله المروزي-رحمه الله-[1] عند تفسيره لحديث جبريل: "وأما قوله: ((**واليوم الآخر**)) فأن تؤمن بالبعث بعد الموت، والحساب والميزان، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وبكل ما وصف الله به يوم القيامة".[2]

قال ابن حزم-رحمه الله- (٤٥٦ هـ): "وأما من زعم أن الأرواح تنتقل إلى أجساد أخر فهو قول أصحاب التناسخ، وهو كفر عند جميع أهل الإسلام".[3]

وقال في موضع آخر: "واتفقوا أن البعث حق، وأن الناس كلهم يبعثون في وقت تنقطع فيه سكناهم في الدنيا يحاسبون عما عملوا من خير وشر وأن الله تعالى يعذب من يشاء ويغفر لم يشاء".[4]

وقال أيضا: "وأن البعث حق والحساب حق، والجنة حق، والنار حق، داران مخلوقتان بعد، مخلدتان هما ومن فيهما، يجمع الله تعالى يوم القيامة بين الأرواح والأجساد، كل هذا إجماع من جميع أهل الإسلام، من خرج عنه خرج عن الإسلام".[5]

---

(١) هو محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، أبو عبد الله، ولد في بغداد سنة ٢٠٢هـ، ومنشؤه بنيسابور، ومسكنه سمرقند، كان إمام عصره بلا مدافعة في الحديث، وكتب الكثير، وبرع في علوم الإسلام، وكان إمامًا مجتهدًا علامة، من أعلم أهل زمانه باختلاف الصحابة والتابعين، توفي سنة ٢٩٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٤/٣٣-٤٠.

(٢) تعظيم قدر الصلاة، المروزي، ١/٣٩٣-٣٩٤.

(٣) المحلى بالآثار، ابن حزم، ١/٤٥.

(٤) مراتب الإجماع، ابن حزم، ١٧٦.

(٥) الدرة فيما يجب اعتقاده، ابن حزم، ٣١١.

وقال: "فمن أنكر هذا، وأنكر قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[الأعراف:١١]، وقال: إن الأرواح أعراض فانية، أو قال: إنها تنتقل إلى أجسام أخر، فهو منسلخ من إجماع أهل الإسلام، لخلافه القرآن، والسنن الثابتة عنه ﷺ والإجماع ... وأما القول بنقل الأرواح إلى أجسام أخر، فهو قول أهل التناسخ، وهو كفر بلا خلاف، وكذلك من أنكر إحياء العظام والأجساد يوم القيامة، أو أنكر البعث فخارج عن دين الإسلام بلا خلاف من أحد من الأمة".(١)

وقال أيضا: "اتفق جميع أهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث في القيامة، وعلى تكفير من أنكر ذلك".(٢)

وقال ابن عبد البر-رحمه الله- (٤٦٣ هـ): "وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث، فلا إيمان له ولا شهادة، وفي ذلك ما ينبغي ويكفي، مع ما في القرآن من تأكيد الإقرار بالبعث بعد الموت، فلا وجه للإنكار في ذلك".(٣)

وقال القاضي عياض -رحمه الله- (٥٤٤ هـ): "وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية ... وكذلك من أنكر الجنة أو النار أو البعث أو الحساب أو القيامة فهو كافر بإجماع للنص عليه وإجماع الأمة على صحة نقله متواترا".(٤)

---

(١) المصدر السابق، ٣١٥.

(٢) الفصل، ابن حزم، ٦٦/٤.

(٣) التمهيد، ابن عبد البر، ١١٦/٩.

(٤) الشفا، القاضي عياض، ٢٨٣/٢-٢٩٠.

ويقول ابن القيم-رحمه الله- (٧٥١ هـ): "وتأمل كيف دلت السورة[١] صريحاً على أن الله سبحانه يعيد هذا الجسد بعينه الذي أطاع وعصى فينعمه ويعذبه، كما ينعم الروح التي آمنت بعينها ويعذب التي كفرت بعينها، لا أنه سبحانه يخلق روحًا أخرى غير هذه فينعمها ويعذبها كما قاله من لم يعرف المعاد الذي أخبرت به الرسل، حيث زعم أن الله سبحانه يخلق بدنًا غير هذا البدن من كل وجه، عليه يقع النعيم والعذاب، والروح عنده عرض من أعراض البدن فيخلق روحًا غير هذه الروح وبدنًا غير هذا البدن، وهذا غير ما اتفقت عليه الرسل ودلَّ عليه القرآن والسنة وسائر كتب الله تعالى، وهذا في الحقيقة إنكار للمعاد وموافقة لقول من أنكره من المكذبين".[٢]

ويواصل رحمه الله فيقول: "فجاءت براهين المعاد في القرآن مبنية على ثلاثة أصول:

أحدها: تقرير كمال علم الرب سبحانه كما قال في جواب من قال: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩﴾[يس:٧٨-٧٩]، وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[الحجر:٨٥-٨٦]، وقال: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ﴾[ق:٤].

والثاني: تقرير كمال قدرته، كقوله: ﴿أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ﴾[يس:٨١]، وقوله: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾[القيامة:٤]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[الحج:٦]، ويجمع

(١) يقصد سورة ق.

(٢) الفوائد، ابن القيم، ٦.

سبحانه بين الأمرين كما في قوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾[يس:٨١].

الثالث: كمال حكمته كقوله ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[الأنبياء:١٦] وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ﴾[ص:٢٧]، وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[القيامة:٣٦] وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾[المؤمنون: ١١٥-١١٦] وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١] ولهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع، وأن كمال الرب تعالى وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجبه، وأنه منزه عما يقوله منكروه كما ينزه كماله عن سائر العيوب والنقائص".(١)

وقال في موضع آخر: "فإن ملكه الحق يستلزم: أمره، ونهيه، وثوابه، وعقابه، وكذلك يستلزم إرسال رسله، وإنزال كتبه، وبعث العباد ليوم يجزى فيه المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فمن أنكر ذلك فقد أنكر حقيقة ملكه ولم يثبت له الملك الحق، ولذلك كان منكر البعث كافرًا بربه، وإن زعم أنه يقر بصانع العالم، فلم يومن بالملك الحق الموصوف بصفات الجلال، المستحق لنعوت الكمال".(٢)

وقال ابن كثير-رحمه الله- (٧٧٤ هـ): "وقوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الذاريات:٢٣] يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به

(١) المصدر السابق، ٦-٧.

(٢) التبيان في أيمان القرآن، ابن القيم، ٢٤٨/١.

من أمر القيامة والبعث والجزاء، كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون".[١]

وقال أيضا في موضع آخر: "أي إن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجّاع إلى الله، على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد؛ لأن من قدر على خلق هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام".[٢]

وبهذه الأدلة والنقول يتبين أن أهل السنة والجماعة يثبتون المعاد الجسماني والروحاني معاً، وأن المرء يبعث هو هو كما دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة، وليس جسدًا آخر غير جسده أو روحًا أخرى غير روحه كما يدعي المخالفون.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٢٠/٧.

(٢) المصدر السابق، ٤٩٦/٦.

المبحث الأول: نبذة موجزة عن ابن رشد الحفيد[1]

المطلب الأول: التعريف بابن رشد:

اسمه ومولده:

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد، قرطبي، يكنى أبا الوليد، الحفيد.، وقاضي الجماعة بها، ومولده سنة ٥٢٠هـ، قبل وفاة جده القاضي أبي الوليد بأشهر.[2]

شيوخه:[3]

١) روى عن أبيه أبي القاسم استظهر عليه الموطأ حفظًا.[4]

---

(١) مصادر ترجمة ابن رشد الحفيد حسب وفاة المؤلف: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ١٧٩و٢٢٤-٢٢٥، والتكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ٢/٧٣-٧٥، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ٥٣٠-٥٣٣، المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي الأندلسي، ١/١٠٤-١٠٥، والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله الأنصاري المراكشي، ٤/٢٢-٣٣، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢١/٣٠٧-٣١٠، وتاريخ الإسلام، الذهبي، ٤٢/١٩٦-١٩٩، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، ٢/٢٥٧-٢٥٩، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، ٦/٥٢٢-٥٢٣.

(٢) ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ٢/٧٣و٧٥، والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله الأنصاري المراكشي، ٤/٢٢.

(٣) ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ٢/٧٤.

(٤) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد قاضي قرطبة، يكنى أبا القاسم، ولد سنة ٤٨٧هـ، أخذ عن أبيه ابن رشد الجد كثيراً ولازمه طويلاً، وكان خيرًا، فاضلًا، عاقلًا، ظهر بنفسه وبأبوته محببًا إلى الناس، طالبًا للسلامة منهم، بارًّا بهم. وتوفي رحمه الله يوم الجمعة الرابع عشر من رمضان من سنة ٥٦٣هـ. ينظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ابن بشكوال، ٨٥.

٢) أخذ يسيرًا عن أبي القاسم بن بشكوال.[١]

٣) وأبي مروان بن مسرة.[٢]

٤) وأبي بكر بن سمحون.[٣]

---

(١) هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال بن يوسف بن داحة الأنصاري، الأندلسي، القرطبي، صاحب تاريخ الأندلس، الإمام، العالم، الحافظ، الناقد، المجود، محدث الأندلس، ولد: سنة ٤٩٤هـ، وتوفي في قرطبة سنة ٥٧٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢١/١٣٩-١٤٢.

(٢) هو عبد الملك بن مسرة بن فرج بن خلف بن عزيز اليحصبي، من أهل قرطبة، وأصله من شنتمرية من شرق الأندلس ومن مفاخرها وأعلامها، يكنى: أبا مروان، اختص بالقاضي أبي الوليد بن رشد وتفقه معه، وكان ممن جمع الله له الحديث والفقه مع الأدب البارع، والخط الحسن، والفضل والدين والورع والتواضع والهدى الصالح. وكان على منهاج السلف المتقدم، أخذ الناس عنه. وكان أهلًا لذلك العلو ذكره، ورفعة قدره. وتوفي رحمه الله ودفن يوم الخميس بعد العصر لثمان بقين من رمضان من سنة ٥٥٢هـ. ينظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ابن بشكوال، ٣٤٨.

(٣) هو أبو بكر بن سليمان بن سمحون الأنصاري، من أهل قرطبة، اسمه كنيته، وكان شيخه أبو الطراوة الذي صحبه طويلًا يغلو في الثناء عليه، وكان يقول: ما يجوز علي الصراط أعلم بالنحو منه، توفي بقرطبة من علة خدر طاولته سنة ٥٦٣هـ، وقال ابن مضاء: توفي سنة ٥٦٤هـ. ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ١/١٧٩-١٨٠.

٥) وأبي جعفر بن عبد العزيز[١] وأجاز له هو وأبو عبد الله المازري.[٢]

٦) وأخذ علم الطب عن أبي مروان بن جريول البلنسي.[٣]

علومه:

كانت الدراية أغلب عليه من الرواية، درس الفقه والأصول وعلم الكلام، وغير ذلك، عُنِيَ بالعلم من صغره إلى كبره، حتى حكي عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله، وأنه سوّد فيما صنف، وقيد، وألَّف، وهذَّب، واختصر نحواً من عشرة آلاف ورقة، ومال إلى

---

(١) هو الوزير أحمد بن عبد العزيز بن ميمون المخزومي، شقري، أبو جعفر، وقيل: هو أحمد بن أبي الحسن بن ميمون المخزومي، وقيل: أحمد بن عليّ بن أحمد بن ميمون المخزومي، وكان من أهل النباهة والنزاهة والحفظ للآداب والتواريخ، وتوفي سنة ٥٥٠هـ. ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ٥٨/١، والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله الأنصاري المراكشي، ٢٥٨/١.

(٢) هو أبو عبد الله محمَّد بن علي بن عمر التميمي المازري: المعروف بالإمام خاتمة العلماء المحققين والأئمة الأعلام المجتهدين الحافظ النظار، كان واسع الباع في العلم والاطلاع مع ذهن ثاقب ورسوخ تام بلغ درجة الاجتهاد وبلغ من العمر نيفاً وثمانين سنة ولم يفتِ بغير مشهور مذهب مالك وكان -رحمه الله- كثير الحكايات عن الصالحين في مجالسه ويقول هي جند من جنود الله تعالى، له تآليف تدل على فضله وتبحره في العلوم منها شرح التلقين ليس للمالكية مثله، توفي في ربيع الأول سنة ٥٣٦ ه بالمهدية. ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ابن مخلوف، ١٨٦/١-١٨٧.

(٣) هو عبد الملك بن محمد بن جريول، من أهل بلنسية، وسكن قرطبة، يعرف بابن كنبراط، وقيل ابن القبُّراط، وقيل القنبراط، ويكنى أبا مروان، كان من أهل المعرفة بالطب والتقدم في صناعته. ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ٧٩/٣، والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله الأنصاري المراكشي، ٣٥/٣، دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، ٧١٢/٤.

علوم الأوائل فكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره، وكان يُفْزَع إلى فتواه في الطب، كما يُفْزَع إلى فتواه في الفقه، مع الحظ الوافر من الإعراب والآداب، وحُكِيَ عنه أنه كان يحفظ شعري حبيب والمتنبي ويكثر التمثل بهما في مجلسه ويورد ذلك أحسن إيراد.(١)

تصانيفه(٢):

له عدة تصانيف في الفقه وأصوله، والطب، والفلسفة، وغير ذلك:

أولًا: الفقه وأصوله:

- كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه، أعطى فيه أسباب الخلاف، وعلل ووجه فأفاد وأمتع به، ولا يعلم في فنه أنفع منه ولا أحسن مساقًا. (مطبوع)
- الضروري في أصول الفقه أو مختصر المستصفى في الأصول. (مطبوع)
- كتاب البيان والتحصيل، جمع فيه اختلاف أهل العلم مع الصحابة والتابعين وتابعيهم ونصر مذاهبهم وبين مواضع الاحتمالات التي هي مثار الاختلاف. (مطبوع)
- كتاب المقدمات في الفقه. (مطبوع)

(١) ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ٢/٧٤.

(٢) ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ٢/٧٤، وعيون الأنباء، لابن أبي أصيبعة، ٥٣٢-٥٣٣.

ثانيًا: الطب:

- كتاب الكليات في الطب وهي عبارة عن مراجعات ومباحث بين أبي بكر ابن الطفيل[١] وبين ابن رشد في رسمه للدواء. (مطبوع)
- شرح الأرجوزة المنسوبة إلى ابن سينا في الطب. (مخطوط)
- تلخيص كتاب الاسطقسات[٢] لجالينوس[٣]. (مخطوط لمؤلف مجهول)

---

(١) هو محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي، أبو بكر، فيلسوف. ولد في وادي آش، وتعلم الطب في غرناطة، وخدم حاكمها، ثم أصبح طبيبًا للسلطان أبي يعقوب يوسف سنة ٥٥٨ هـ، واستمر إلى أن توفي بمراكش سنة، وحضر السلطان جنازته، وهو صاحب القصة الفلسفية (حي بن يقظان) قال المراكشي في المعجب: رأيت له تصانيف في أنواع الفلسفة من الطبيعيات والإلهيات وغير ذلك، ورأيت بخطه رسالة له في (النفس) وكان أمير المؤمنين أبو يعقوب شديد الشغف به والحب له، يقيم عنده ابن طفيل أيامًا، ليلًا ونهارًا، لا يظهر، توفي سنة ٥٨١هـ. ينظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، ١٧٦-١٧٩، والأعلام، الزركلي، ٢٤٩/٦.

(٢) الأسطقس وجمعه أسطقسات: وهو لفظ يوناني، بمعنى الأصل، وتسمى العناصر الأربعة التي هي الماء والأرض والهواء والنار أسطقسات؛ لأنه أصول المركبات التي هي الحيوانات والنباتات والمعادن. ينظر: التعريفات، الجرجاني، ٢٤.

(٣) ظهر جالينوس بعد ٦٦٥سنة من وفاة بقراط، وانتهت إليه الرياسة في عصره، وهو الثامن من الرؤساء الذين أولهم أسقلبيادس مخترع الطب، وكان معلم جالينوس أرمينس الرومي، وأخذ عن إغلوقن وله إليه مقالات وبينهما مناظرات، وكان جالينوس وجيهًا عند الملوك، كثير الوفادة عليهم، كثير التنقل في البلدان طالبًا لمصالح الناس، وأكثر أسفاره إلى مدينة رومية، فإن ملكها كان في أيامه مجذومًا، فكان يستحضره كثيرًا، وكان جالينوس كثيرًا ما يلتقي مع الإسكندر الأفروديسي وكان الإسكندر يلقبه برأس البغل لعظم رأسه، قيل: إنه مات في أيام ملوك الطوائف، وبين المسيح وبينه ٥٧ سنة، المسيح عليه السلام أقدم منه. ينظر: الفهرست، ابن النديم، ٣٥٠.

- تلخيص كتاب المزاج لجالينوس. (مخطوط)
- تلخيص كتاب القوى الطبيعية لجالينوس. (مخطوط)
- تلخيص كتاب العلل والأعراض لجالينوس. (مخطوط)
- تلخيص كتاب الحميات لجالينوس. (مخطوط)
- تلخيص أول كتاب الأدوية المفردة لجالينوس. (مخطوط)
- مسألة في نوائب الحمى. (مخطوط)
- مقالة في حميات العفن. (مخطوط)
- مقالة في الترياق. (مخطوط)

ثالثًا: المنطق:

- جوامع كتب أرسطوطاليس[1] في الطبيعيات والإلهيات، ملحق به تلخيص كتب أرسطوطاليس وقد لخصها تلخيصا تامًّا مستوفيًا. (مخطوط)
- تلخيص كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطوطاليس. (مطبوع)
- تلخيص كتاب الأخلاق لأرسطوطاليس. (مخطوط)
- تلخيص كتاب البرهان لأرسطوطاليس. (مطبوع)
- تلخيص كتاب السماع الطبيعي لأرسطوطاليس.

---

(١) أرسطوطاليس بن نيقوماخوس: هو المعلم الأول كما يسميه أتباعه، لأنه واضع علم المنطق، وكان يرى وحدة الوجود، وهو من الصابئة، وتلميذ لأفلاطون صاحب نظرية المثل، وكان وزيرًا للإسكندر بن فليبس المقدوني وكلهم على الشرك، وإليه تُنسب الفلسفة المشائية؛ لأنه كان يعلِّم أتباعه وهو يمشي وهم يمشون معه، فلُقِّبت فلسفته بالمشائية، وأتباعه بالمشائين، وكان أستاذه أفلاطون يلقن الحكمة ماشيًا تعظيمًا لها، وتابعه على ذلك أرسطو. ينظر: الملل والنحل، ١٧٨/٢، ومجموع فتاوى ابن تيمية، ٨٣/٢، ١٧١ و ١١٥/٤، ١٦١.

- شرح كتاب السماء والعالم والكون والفساد لأرسطوطاليس. (مطبوع)
- شرح كتاب النفس لأرسطوطاليس. (مطبوع)
- كتاب تهافت التهافت يرد في على كتاب التهافت للغزالي. (مطبوع)
- كتاب منهاج الأدلة في علم الأصول. (مطبوع)
- كتاب صغير سماه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال. (مطبوع)
- المسائل المهمة على كتاب البرهان لأرسطوطاليس. (مطبوع)
- شرح كتاب القياس لأرسطوطاليس. (مطبوع)
- مقالة في القياس. (مطبوع)
- كتاب الحيوان. (مخطوط)
- تلخيص الإلهيات لنيقولاوس[١].[٢]
- مقالة في العقل.
- كتاب في الفحص هل يمكن العقل الذي فينا وهو المسمى بالهيولاني أن يعقل الصور المفارقة بآخره أو لا يمكن ذلك؟ وهو المطلوب الذي كان أرسطوطاليس يعد بالفحص عنه في كتاب النفس.

---

(١) هو مفسر كتب أرسطاطاليس، وله كتاب في جمل فلسفة أرسطاطاليس في النفس مقالة كتاب النبات، وخرج منه مقالات مثل كتاب الرد على جاعل الفعل والمفعولات شيئًا واحدًا، وكتاب اختصار فلسفة أرسطاطاليس. ينظر: الفهرست، ابن النديم، ٣١٣.

(٢) يظهر والله أعلم أن هذا الكتاب وما بعده من كتب جميعها مفقودة؛ لأن ابن أبي أصيبعة ذكرها ص٥٣٣، وحسب اطلاعي لم أجد له ذكرًا في مؤلفاته المطبوعة أو المخطوطة.

- مقالة في أن ما يعتقده المشاؤون وما يعتقده المتكلمون من أهل ملتنا في كيفية وجود العالم متقارب في المعنى.
- مقالة في التعريف بجهة نظر أبي نصر الفارابي في كتبه الموضوعة في صناعة المنطق التي بأيدي الناس وبجهة نظر أرسطوطاليس فيها ومقدار ما في كتاب من أجزاء الصناعة الموجودة في كتب أرسطوطاليس ومقدار ما زاد لاختلاف النظر يعني نظريهما.
- مقالة في اتصال العقل المفارق بالإنسان.
- مقالة في اتصال العقل بالإنسان.
- كتاب في الفحص عن مسائل وقعت في العلم الإلهي في كتاب الشفاء لابن سينا.
- مسألة في الزمان.
- مقالة في فسخ شبهة من اعترض على الحكيم[1] وبرهانه في وجود المادة الأولى، وتبيين أن برهان أرسطوطاليس هو الحق المبين.
- مقالة في الرد على أبي عليّ بن سينا في تقسيمه الموجودات إلى ممكن على الإطلاق وممكن بذاته واجب بغيره وإلى واجب بذاته.
- مسائل في الحكمة.
- مقالة في حركة الفلك.
- كتاب فيما خالف أبو نصر الفارابي لأرسطوطاليس في كتاب البرهان من ترتيبه وقوانين البراهين والحدود.

---

(١) يقصد أرسطو.

ويلحظ من كثرة كتب ابن رشد الحفيد في المنطق أنه كان ضليعًا في الفلسفة وعلومها.

أبرز صفاته:

كان موصوفًا بالعلم والفضل والتواضع، وكان محمود السيرة عند توليه قضاء قرطبة، وكانت له عند الملوك وجاهة.(١)

تلاميذه:

وقد حدث وسمع منه:

١) أبو محمد بن حوط الله.(٢)

٢) أبو الحسن سهل بن محمد.(٣)

---

(١) ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ٢/٧٤.

(٢) هو عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن خلف بن حوط الله الأنصاري الحارثي، من أهل أندة عمل بلنسية، وبها ولد ونشأ، يكنى أبا محمد، وكان إمامًا في صناعة الحديث، مقيدًا، ضابطاً، بصيراً بها، معروفًا بالإتقان لها، حسن الخط، حافظًا لأسماء الرجال، واقفًا على المعدلين والمجرحين، يجمع إلى الاحتفال في الرواية حسن الاستقلال بالدراية، وألف كتابًا في تسمية شيوخ البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي، نزع فيه منزع ابن نصر الكلاباذي، ولم يكمله، وامتحن بالتجول فذهبت أصوله وضاعت كتبه في بعض أسفاره، توفي في غرناطة سنة ٦١٢هـ. ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ٢/٢٨٧-٢٨٩.

(٣) هو سهل بن محمد بن سهل بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدي، من أهل غرناطة، يكنى أبا الحسن، كان من جلة العلماء الأدباء والأئمة البلغاء الخطباء مع التفنن في العلوم والتصرف فيها، رئيسًا في بلده، معظمًا، جوادًا، محببًا، ونالته في الفتنة محنة بآخرة من عمره جرتها المنافسة والحسادة فغرب عن وطنه وأُسكن مرسية مدة طويلة إلى أن هلك عدوه في أواخر جمادى الأولى سنة ٦٣٥هـ، فسرح إلى بلده في أواخر رمضان من السنة، وأقام به مبرورًا موفورًا، توفي سنة ٦٤٠هـ. ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ٤/١٢٥-١٢٦.

٣) أبو الربيع بن سالم.[١]

٤) أبو بكر بن جهور.[٢]

٥) أبو القاسم بن الطيلسان[٣]، وغيرهم.[٤]

---

(١) هو سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن أحمد الحميري الكلاعي، من أهل بلنسية وأصله من بعض ثغورها الشرقية، يكنى أبا الربيع، تجول في بلاد الأندلس لطلب العلم، وأخذ عن كثيرين من الأجلاء، عني أتم العناية بالتقييد والرواية، وكان إمامًا في صناعة الحديث، بصيراً به، حافظًا، حافلًا، عارفًا بالجرح والتعديل، ذاكرًا للموالد والوفيات، يتقدم أهل زمانه في ذلك وفي حفظ أسماء الرجال، وبخاصة من تأخر زمانه أو عاصره، وكتب الكثير، وكان حسن الخط لا نظير له، نهاية في الإتقان والضبط، مع الاستبحار في الآداب والاشتهار بالبلاغة والفصاحة، فردًا في إنشاء الرسائل، مجيدًا في نظم القريض، خطيبًا فصيحًا مفوهًا، مدركًا حسن السرد والمساق لما يحكيه ويحدث به، ويود سامعه لو وصل حديثه ولم يقطعه، مع الشارة الأنيقة والزي الحسن والهيئة الجميلة، وكان المتكلم عن الملوك في مجالسهم، والمبين عنهم لما يريدونه على المنبر في المحافل، وولي الخطبة بالمسجد الجامع ببلنسية في أوقات، وكان رئيسًا في الحديث والكتابة، قتل في معركة أنيشة مقبلًا غير مدبر سنة ٦٣٤هـ. ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ٤/١٠٠-١٠٣.

(٢) هو محمد بن محمد بن يوسف بن أحمد بن جهور الأزدي، من أهل مرسية، يكنى أبا بكر، وتوفي سنة ٦٢٩هـ. ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ٢/١٣١.

(٣) هو القاسم بن محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان الأنصاري الأوسي، من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الطيلسان، شيوخه ينيفون على مائتي رجل، وتصدر بقرطبة للإقراء والإسماع، وكان مع معرفته بالقراءات والعربية متقدما في صناعة الحديث معنيا بروايته وتقييده معروفاً بالضبط والإتقان، خرج من قرطبة بعد غلبة الروم عليها في آخر سنة ٦٣٣هـ، فنزل مالقة وقدم للصلاة والخطبة بجامع قصبتها إلى أن توفي بها في شهر ربيع الآخر سنة ٦٤٢هـ. ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ٤/٧٥-٧٦.

(٤) ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ٢/٧٤.

وفاته:

توفي في مراكش يوم الخميس التاسع من صفر سنة ٥٩٥هـ، وقبل وفاة المنصور الذي نكبه بشهر أو نحوه، ودفن بخارجها ثم سيق إلى قرطبة فدفن بها مع سلفه.(١)

***

(١) ينظر: المصدر السابق، ٢/٧٥.

المطلب الثاني: محنة ابن رشد:

كان ابن رشد الحفيد قد قضى مدة في أشبيلية قبل قرطبة وكان مكينًا عند سلطان الموحدين المنصور[١] وجيهًا في دولته، ثم أن المنصور فيما بعد نقم على أبي الوليد بن رشد وأمر بأن يقيم في اليَسَّانة –وهي بلد قريب من قرطبة وكانت أولا لليهود– وألا يخرج عنها.[٢]

وسبب ذلك أنه لما أخذ في شرح كتاب الحيوان لأرسطاطاليس صاحب كتاب المنطق، فهذبه وبسط أغراضه وزاد فيه ما رآه لائقًا به، فقال في هذا الكتاب عند ذكره الزرافة وكيف تتولد وبأي أرض تنشأ: "وقد رأيتها عند ملك البربر" جاريًا في ذلك على طريقة العلماء في الإخبار عن ملوك الأمم وأسماء الأقاليم، وكان عند سلطان الموحدين زرافة، ويقال: إنه مما اعتذر به ابن رشد أنه قال: إنما قلت ملك البرّين، وإنما تصحفت على القارئ فقال: ملك البربر.[٣]

---

(١) هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ابن عليّ الكومي الموحدي، أبو يوسف، المنصور بفضل الله، من ملوك الدولة المؤمونية في المغرب الأقصى، ولد سنة ٥٥٤هـ، بويع له بعد وفاة أبيه سنة ٥٨٠هـ، ووجه عنايته إلى الإصلاح، فاستقامت الأحوال في أيامه، وعظمت الفتوحات، عاد إلى مراكش سنة ٥٩٤هـ، والأرجح أنه توفي بها سنة ٥٩٥هـ. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣/٧-١٩، والأعلام، الزركلي، ٢٠٣/٨.

(٢) ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ٥٣١-٥٣٢، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله الأنصاري المراكشي، ٢٦/٤-٢٧.

(٣) ينظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، ٢٢٤، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ٥٣٢.

وأيضا مما كان في قلب المنصور من ابن رشد أنه كان متى حضر مجلس المنصور وتكلم معه أو بحث عنده في شيء من العلم يخاطب المنصور بأن يقول: تسمع يا أخي.(١)

ومن الأسباب أيضًا أن قومًا ممن يناوئه من أهل قرطبة ويدّعي معه الكفاءة في البيت وشرف السلف، سعوا به عند المنصور، ووجدوا إلى ذلك طريقًا، بأن أخذوا بعض تلك التلاخيص التي كان يكتبها، فوجدوا فيها بخطه حاكيًا عن بعض قدماء الفلاسفة بعد كلام تقدم: "فقد ظهر أن الزهرة أحد الآلهة...."، فأوقفوا أبا يوسف المنصور على هذه الكلمة، فاستدعاه بعد أن جمع له الرؤساء والأعيان من كل طبقة وهم بمدينة قرطبة، فلما حضر أبو الوليد قال له بعد أن نبذ إليه الأوراق: أخطك هذا؟ فأنكر! فقال المنصور: لعن الله كاتب هذا الخط، وأمر الحاضرين بلعنه، ثم أمر بإخراجه على حال سيئة، وإبعاده وإبعاد من يتكلم في شيء من هذه العلوم.(٢)

ويذكر أن من أسباب نكبته هذه اختصاصه بأبي يحيى أخي المنصور والي قرطبة.(٣)

وقيل من أسباب نكبته أيضًا أنه شاع في المشرق والأندلس على ألسنة المنجمة أن ريحًا عاتية تهب في يوم كذا وكذا في تلك المدة تهلك الناس، واستفاض ذلك حتى اشتد جزع الناس معه واتخذوا الغيران والأنفاق تحت

---

(١) ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ٥٣٢.

(٢) ينظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، ٢٢٥.

(٣) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله الأنصاري المراكشي، ٢٧/٤.

الأرض توقيًا لهذه الريح، ولما انتشر الحديث بها وطبق البلاد استدعى والي قرطبة إذ ذاك طَلَبتها، وفاوضهم في ذلك، وفيهم ابن رشد، وهو القاضي بقرطبة يومئذ، فلما انصرفوا من عند الوالي تكلم ابن رشد في شأن هذه الريح من جهة الطبيعة وتأثيرات الكواكب، فقال الشيخ أبو محمد عبد الكبير[1]: "إن صح أمر هذه الريح فهي ثانية الريح التي أهلك الله تعالى بها قوم عاد، إذ لم تعلم ريح بعدها يعم إهلاكها". فانبرى ابن رشد ولم يتمالك أن قال: "والله وجود قوم عاد ما كان حقًّا، فكيف سبب هلاكهم!" فسُقِط في أيدي الحاضرين وأكبروا هذه الزلة التي لا تصدر إلا عن صريح الكفر والتكذيب، لما جاءت به آيات القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.[2]

قال الذهبي -رحمه الله- (٧٤٨ هـ): "ذكر شيخ الشيوخ تاج الدين[3]: لما دخلت إلى البلاد سألت عنه، فقيل إنه مهجور في داره من جهة الخليفة يعقوب، ولا يدخل أحد عليه، ولا يخرج هو إلى أحد. فقيل: لم؟ قالوا: رفعت

---

(١) هو عبد الكبير بن محمد بن عيسى بن محمد بن بقي الغافقي، من أهل مرسية، سكن إشبيلية، يكنى أبا محمد، كان فقيهًا، حافظًا، حسن الهدي والسمت، مشاركًا في علم الحديث، بصيرًا بالشروط، قائمًا على مذهب مالك، متقدمًا في الفتيا، مع التفنن في غير ذلك من الطب وسواه، ولي خطة القضاء برندة والنيابة في الأحكام عن أبي الوليد بن رشد بقرطبة، وتوفي بإشبيلية سنة ٦١٦هـ. ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ١٤٤/٣.

(٢) المصدر السابق، ٣٠/٤.

(٣) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن حَمُّوية، أبو محمد، تاج الدين بن شيخ الشيوخ، كان فاضلًا، نزهًا، عفيفًا، شريف النفس، عالي الهمة، قليل الطمع، لا يلتفت إلى أحد من خلق الله تعالى لأجل الدنيا لا إلى أهله ولا إلى غيرهم، وصنف التاريخ وغيره، توفي سنة ٦٤٢هـ. ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي، ٣٨٣/٢٢-٣٨٤.

عنه أقوال ردية، ونسب إليه كثرة الاشتغال بالعلوم المهجورة من علوم الأوائل".[١]

ثم كتبت الكتب عن المنصور إلى البلاد بالتقدم إلى الناس في ترك علوم الفلسفة جملة واحدة، وبإحراق كتبها كلها، إلا ما كان من الطب والحساب، وما يتوصل به من علم النجوم إلى معرفة أوقات الليل والنهار، وأخذ سمت القبلة، فانتشرت هذه الكتب في سائر البلاد وعُمل بمقتضاها.

ثم لما رجع المنصور إلى مراكش، نزع عن ذلك كله، وجنح إلى تعلم الفلسفة، وأرسل يستدعي أبا الوليد من الأندلس إلى مراكش للإحسان إليه، والعفو عنه. فحضر أبو الوليد إلى مراكش، فمرض بها مرضه الذي مات منه.[٢]

وقيل إن جماعة من الأعيان بإشبيلية شهدوا لابن رشد أنه على غير ما نسب إليه فرضي المنصور عنه وذلك في سنة ٥٩٥هـ.[٣]

***

(١) تاريخ الإسلام، الذهبي، ١٩٨/٤٢.

(٢) ينظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، ٢٢٥، والتكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ٧٤/٢.

(٣) ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ٥٣٢.

المبحث الثاني: عقيدة ابن رشد الحفيد في المعاد والرد عليه.

قرر أبو حامد الغزالي[١] معتقد الفلاسفة عامة في مسألة المعاد فقال: "مسألة في إبطال إنكارهم لبعث الأجساد ورد الأرواح إلى الأبدان ووجود النار الجسمانية ووجود الجنة والحور العين وسائر ما وُعد به الناس، وقولهم إن كل ذلك أمثلة ضربت لعوام الخلق لتفهيم ثواب وعقاب روحانيين هما أعلى رتبة من الجسمانية وهو مخالف لاعتقاد المسلمين كافة".[٢]

هذه هي عقيدة أرسطو وأتباعه من الفلاسفة المشائين في البعث والمعاد، كما ذكرها الغزالي وذكرها غيره من العلماء.[٣]

---

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، دخل في علوم الأوائل، وغلب عليه استعمال عباراتهم في كتبه، وكانت له تقلبات عقدية، وغلب عليه التصوف، توفي سنة ٥٠٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٩/٣٢٢-٣٤٦.

(٢) تهافت الفلاسفة، الغزالي، ٢٨٢.

(٣) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ٢/١٩٣، وذكر شيخ الإسلام في كتبه في مواضع عديدة رأي الفلاسفة عامة في المعاد موافقًا لما ذكره الغزالي، ينظر: بيان تلبيس الجهمية، ١/٣٢٨، مجموع الفتاوى، ٦/٥، ١٢/٣٣٧، ١٣/٢٣٨، ٢٧٩، الإكليل في المتشابه والتأويل، ١٧، الفتاوى الكبرى، ٦/٩٠، بغية المرتاد، ٢٧٩، شرح العقيدة الأصفهانية، ٣٧، قاعدة في المحبة، ٢١٤، وغيره.

ومع ذلك فإن ابن رشد الحفيد يدافع عن الفلاسفة فينفي ذلك فيقول رادًّا على الغزالي: "ولما فرغ من هذه المسألة[1] أخذ يزعم أن الفلاسفة ينكرون حشر الأجساد وهذا شيء ما وجد لواحد ممن تقدم فيه قول".[2]

قال ابن الجوزي-رحمه الله- (٥٩٧ هـ): "وقد لبس إبليس على أقوام من أهل ملتنا فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم، فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة، كما ينقل من حكمة سقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وجالينوس، وهؤلاء كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنهم أموراً خفية إلا أنهم لما تكلموا في الإلهيات خلطوا، ولذلك اختلفوا فيها، ولم يختلفوا في الحسيات والهندسيات".[3]

وقال في موضع آخر: "بل فيهم من يصوم رمضان ويصلي، ثم يأخذ في الاعتراض على الخالق وعلى النبوات، ويتكلم في إنكار بعث الأجساد، ولا يكاد يرى منهم أحد إلا ضربه الفقر فَأَضَرَّ بِهِ".[4]

ومن المعلوم أن ابن رشد الحفيد ينكر المعاد الجسماني ويقول بالمعاد الروحاني، بل جعل المعاد وأحواله من المسائل المختلف فيها، وأن كلا الفريقين

---

(١) يقصد المسألة ١٩، حيث إن الغزالي رد على الفلاسفة في كتابه تهافت الفلاسفة في ٢٠ مسألة، كان آخرها مسألة البعث والمعاد.

(٢) تهافت التهافت، ابن رشد، ٥٥٤.

(٣) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ٤٦.

(٤) المصدر السابق، ٤٧.

معذور في تأويله للمعاد وأحواله[1]، مع أن هذه المسألة قد قطع الشرع بها في النصوص الواردة في الكتاب والسنة وليس فيها مجال للاختلاف.

وكان يبني معتقده في ذلك على عدة عناصر، متبعًا في ذلك فلسفة أرسطو وتلاميذه، بناء على شروحاته وتفسيراته لكتب أرسطو، ونيقلاوس، وجالينوس، وقد جعلت هذه العناصر في أربعة مطالب وهي كما يلي:

المطلب الأول: وحدة النفس (وحدة النوع):

يعتقد ابن رشد الحفيد بوحدة النفس ويعبر عنها في مواضع من كتبه بوحدة النوع، أي أن النفوس التي في أجسام البشر إنما هي نفس واحدة وليس نفوس متعددة، وهذا القول هو أساس عقيدته في المعاد، فيقول في وحدة النفس: "أما زيد فهو غير عمرو بالعدد، وهو وعمرو واحد بالصورة، وهي النفس (أيضا: واحد بالنوع)، فلو كانت نفس زيد مثلًا غير نفس عمرو بالعدد، مثل ما هو زيد غير عمرو بالعدد، لكانت نفس زيد ونفس عمرو اثنين بالعدد، واحدًا بالصورة، فكان يكون للنفس نفس، فإذن مضطرٌّ أن تكون نفس زيد ونفس عمرو واحدًا بالصورة، والواحد بالصورة إنما يلحقه الكثرة العددية، أعني القسمة من قِبَلِ المواد، فإن كانت النفس ليست تهلك إذا هلك البدن، أو كان فيها شيء بهذه الصفة، فواجب إذا فارقت الأبدان أن تكون واحدة بالعدد، وهذا العلم لا سبيل إلى إفشائه في هذا الموضع".[2]

(١) ينظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ابن رشد، ٤٩-٥١.

(٢) تهافت التهافت، ابن رشد، ١٣٣.

فابن رشد في قوله هذا يرى وحدة النفس أي وحدة النوع، بمعنى أن النفوس في جميع البشر إنما هي نفس واحدة مقسمة وموزعة بينهم، ثم بعد الموت تعود هذه النفوس إلى نفس واحدة وهي النفس الكلية التي يقول بها تبعًا للفلاسفة، ويختم كلامه بجملة تدل دلالة واضحة أنه يعلم أن ما يقوله مخالف للشرع والعقل وأنه مستنكر فيقول: "وهذا العلم لا سبيل إلى إفشائه في هذا الموضع".

وقد أنكر ابن رشد الحفيد إمكان خلود الحادث، أي: النفس، وقال عنها: إنها أزلية أي لا بداية لها وما كان كذلك فهو لا نهاية له، فقال: "وإما أن يكون شيء له ابتداء وليس له انقضاء، فلا يصح إلا لو انقلب الممكن أزليًا".(١)

ويُرد على ابن رشد في ذلك بأن كون النفس دائمة لا تهلك، فهي بإدامة الله ﷻ لها وليس ذلك شيء من ذاتها، يقول القاضي ابن أبي العز -رحمه الله-: "فالحي بحياة باقية لا يشبه الحي بحياة زائلة، ولهذا كانت الحياة الدنيا متاعًا ولهوًا ولعبًا وأن الدار الآخرة لهي الحيوان، فالحياة الدنيا كالمنام، والحياة الآخرة كاليقظة، ولا يقال: فهذه الحياة الآخرة كاملة، وهي للمخلوق لأنا نقول: الحي الذي الحياة من صفات ذاته اللازمة لها، هو الذي وهب المخلوق تلك الحياة الدائمة، فهي دائمة بإدامة الله لها، لا أن الدوام وصف لازم لها لذاتها، بخلاف حياة الرب تعالى، كذلك سائر صفاته، فصفات الخالق كما يليق به، وصفات المخلوق كما يليق به".(٢)

---

(١) تهافت التهافت، ابن رشد، ١٩٩.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ٩٠/١.

وقال تعالى في دوام النعيم الأخروي: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾[البينة:٨]، وقال سبحانه في دوام العذاب الأخروي: ﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾[الجن:٢٣]، فالله سبحانه خلق الجنة والنار وما فيهما من نعيم وعذاب وجعلهما دائمتين بإدامته لهما سبحانه، وليس شيء من ذاتهما.

وقد شبه ابن رشد النفس الكلية بالضوء، فقال: "والنفس أشبه شيء بالضوء، وكما أن الضوء ينقسم بانقسام الأجسام المضيئة، ثم يتحد عند اتحاد الأجسام، كذلك الأمر في النفس مع الأبدان".(١)

ولو كانت النفوس كلها تعود لنفس واحدة بعد الموت كما يزعم ابن رشد الحفيد لما قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[البقرة:٢٨١]، ولما قال: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[آل عمران:٢٥]، ولما قال: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[إبراهيم:٥١]، ولما قال: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾[المدثر:٣٨]، ولما قال: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[النحل:١١١]، وغير ذلك من الآيات.

فكيف يغفل ابن رشد عن كل هذه الآيات وأمثالها، ويصدق بكلام الفلاسفة الذين اعتمدوا على عقولهم ولم يكن لهم نور يهتدون به من كتاب أو سنة؟!!!.

---

(١) تهافت التهافت، ابن رشد، ١٣٤.

المطلب الثاني: أزلية الأنواع وحدوث الأفراد الأرضية:

من المعلوم أن ابن رشد يرى ما يراه الفلاسفة من أزلية[١] العالم وأبديته، وذلك لتأييده للغزالي عندما قال: "فإن العالم عندهم -أي الفلاسفة- كما أنه أزلي لا بداية لوجوده فهو أبدي لا نهاية لآخره، ولا يتصور فساده وفناؤه بل لم يزل كذلك ولا يزال أيضاً كذلك"[٢] فقال ابن رشد بعدها: "قلت: أما قوله إن ما يلزم عن دليلهم الأول من أزلية العالم فيما مضى يلزم عنه فيما يستقبل فصحيح".[٣]

ويقول ابن رشد أيضا: "وقد بقي علينا من مطالب هذه المقالة-الأولى-أن نبين أن العالم بأسره أزلي، وأنه مع ذلك ليس فيه قوة على الفساد، فأما إنه أزلي فذلك يظهر من قرب عما تقدم، وذلك أنه قد تبين أزلية الحركة الموجودة لهذا الجرم المستدير، وأنها واحدة بالعدد والحركة الواحدة إنما توجد لموضوع واحد باضطرار، فبالواجب إذن ما يكون هذا الجرم أزليًّا، وأيضا فقد تبين في أول هذا الكتاب من نفس طبيعة هذا الجرم أنه غير مكوّن ولا فاسد، إذ كان لا ضد له، وإذا كان هذا هكذا، وكان من ضرورة وجود هذا الجرم المستدير وجود سائر الأسطقسات، إذ كان لا بد من شيء ساكن عليه يدور على ما تبين، لزم ضرورة أن يكون العالم بأسره أزليًّا، لكن هذه الأجسام المتحركة حركة استقامة إنما يوجد لها البقاء في كليتها لا في أجزائها فهي حافظة لصورها النوعية وفاسدة

---

(١) يعرف ابن رشد الأزلي بأنه ما ليس له مبدأ أول فهو أزلي ضرورة. ينظر: تفسير ما بعد الطبيعة، ابن رشد، ٣/٣٠.

(٢) تهافت الفلاسفة، الغزالي، ١٢٤.

(٣) تهافت التهافت، ابن رشد، ١٩٨.

بأجزائها، إذ لم يكن فيها غير ذلك من جهة ما هي أضداد، وإنما اتفق لها البقاء بالنوع وحفظ صورها عن حركة الجرم السماوي".[١]

وعليه فإنه يعتقد بأزلية الأنواع وحدوث الأفراد، حيث يصرح فيقول: "وأن بحركات الأجرام السماوية، يمينًا وشمالًا، امتزجت الأجسام (=العناصر الأربعة)[٢]، وكان منها جميع الكائنات المتضادة، وأن هذه الأجسام الأربعة لا تزال، من أجل هذه الحركات، في كون دائم وفساد دائم، أعني في أجزائها، وأنه لو تعطلت حركة من هذه الحركات لفسد هذا النظام والترتيب".[٣]

ويقول أيضا: "فهم يقولون[٤]: إن كون الحركات المختلفة بالجنس هاهنا، دائمة لا تُخِلُّ، هو أن هاهنا حركة واحدة بالعدد أزلية، وأن السبب في أن هاهنا أجسامًا كائنة فاسدة بالأجزاء، أزلية بالكل".[٥]

ويضرب على ذلك مثالًا في أحد كتبه فيقول: "وكذلك الأمر في البحر مع ما ينصب فيه من الأنهار، وتُصعِد منه الشمس، ومن أنه أُسطقس[٦] يظهر

---

(١) ورسالة السماء والعالم والكون والفساد، ابن رشد، ٤٧-٤٨.

(٢) يرى ابن رشد أن العالم مكون من خمسة أجسام أو عناصر، واحد لا ثقيل ولا خفيف وهو الجسم السماوي الكروي المتحرك حركة مستديرة، والأربعة الباقية هي: التراب (الأرض)، والنار، والهواء، والماء، والتراب (الأرض) ثقيل بإطلاق، ولهذا كانت الأرض مركز جسم العالم وهي ثابتة. ينظر: تهافت التهافت، ابن رشد، ١٤٤-١٤٥.

(٣) تهافت التهافت، ابن رشد، ١٤٥.

(٤) يقصد الفلاسفة.

(٥) تهافت التهافت، ابن رشد، ٣٢٢.

(٦) يقول الجرجاني: "الأسطقس هو الأصل بلغة اليونان، وكذا العنصر بلغة العرب، إلا أن إطلاق أسطقسات عليها باعتبار أن المركبات تتألف منها، وإطلاق العناصر عليها باعتبار أنها تنحل إليها، فلوحظ في إطلاق لفظ الأسطقس معنى الكون، وفي إطلاق لفظ العنصر معنى الفساد". التعريفات، الجرجاني، ١١.

أيضا أنه أزلي بالنوع، كائن فاسد بالحر على ما تبين من أمر الأسطقسات" ووصفه أيضا بأنه "كان أبديًّا أزليًّا بالنوع".(١)

وهذا يعني أن البحر الذي هو الماء ليس له بداية ولا نهاية في نظر ابن رشد، وكذلك باقي الموجودات في الأرض من تراب وهواء ونار، وهو يعتبر اجتماع هذه الأربع هي أصل الكائنات في الأرض.

وهذا الاعتقاد مخالف لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[سورة الزمر:٦٢]، وما كان مخلوقًا فله بداية وله نهاية، وما كان مخلوقًا فلابد أن يفنى ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾[الرحمن:٢٦-٢٧].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله-: "والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل قوله تعالى: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾[طه:٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨﴾[نوح: ١٧-١٨]، وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٣١﴾[النجم:٣١]، ومن كذب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾[التغابن:٧]".(٢)

(١) الآثار العلوية، ابن رشد، ٢٩، ورسالة السماء والعالم والكون والفساد، ابن رشد، ٣٥.
(٢) ثلاثة الأصول وأدلتها، محمد بن عبد الوهاب، ٢٣.

المطلب الثالث: التشكيك بعقيدة حشر الأجساد:

قال ابن رشد: "وذلك أن أول من قال بحشر الأجساد هم أنبياء بني إسرائيل، الذين أتوا بعد موسى -عليه السلام-، وذلك بيّنٌ من الزبور، ومن كثير من الصحف المنسوبة لبني إسرائيل، وثبت ذلك أيضا في الإنجيل، وتواتر القول به عن عيسى -عليه السلام -، وهو قول الصابئة، وهذه الشريعة، قال أبو محمد بن حزم، إنها أقدم الشرائع".(١)

وهذا كذب على الله ورسله، فقد حذر الأنبياء من آدم -عليه السلام- إلى نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- أقوامهم من يوم القيامة وما فيه من حشر الأجساد والجنة والنار، منهم على سبيل المثال وليس الحصر، نبي الله نوح -عليه السلام-، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأعراف:٥٩]، ولا بد أنه عرفهم بهذا اليوم العظيم وما فيه من أحوال وأهوال، فكل نبي مكلف بذلك.

وقال سبحانه عن شعيب-عليه السلام-: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾[هود:٨٤].

وقال سبحانه عن هود -عليه السلام-: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ ۘ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾[الأحقاف:٢١].

---

(١) تهافت التهافت، ابن رشد، ٥٥٤.

ورب العالمين سبحانه لما تاب على آدم قال: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾[طه: ١٢٢-١٢٤]، فالاجتباء: هو الاصطفاء للنبوة، وأخبره الله سبحانه بعقوبة المعرضين عند ربهم يوم القيامة، إذن لديه علم عن يوم القيامة، وبما أنه نبي فلا بد أنه أخبر أبناءه بذلك.

وإبراهيم -عليه الصلاة والسلام- لما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾[البقرة:٢٦٠] كان على يقين تام كامل بأن الله يحيي الموتى، ولو كان شاكًّا بقدرة الله على ذلك(١)، لقال: رب هل تقدر على إحياء الموتى؟ أو نحو ذلك، وهذا يعني أن إبراهيم -عليه السلام- كان لديه علم بقيام الساعة وحشر الأجساد، ولكنه غير متصور لذلك، فأراد أن يرى ذلك عيانًا، وبما أنه نبي مرسل فقد بلغ وحذر قومه هذا اليوم.

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾[الأعراف:١٧٢]، قال أبيّ بن كعب: "وأشهد عليهم السماوات السبع فليس من أحد يولد إلى يوم القيامة إلا وقد أخذ عليه العهد في ذلك اليوم

(١) ينظر: شرح السنة، البغوي، ١١٦/١، وفتح الباري، ابن حجر، ٤١١/٦-٤١٣، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١١/٢٣.

والمقام"[1]، وروي في قصص هذه الآية: أن الأنبياء عليهم السلام كانوا بين تلك النسم أمثال السرج.[2]

قال ابن تيمية-رحمه الله-: " وقد ذكرنا في غير موضع: أن الرسل قبل محمد-صلى الله عليه وسلم- أنذروا بالقيامة الكبرى تكذيبًا لمن نفى ذلك من المتفلسفة".[3]

وفي موضع آخر يتهم ابن رشد الحفيد الأنبياء بأنهم متفاوتون في إخبار أقوامهم بالمعاد وأحواله، فيقول: "اتفقت الشرائع على تعريف هذه الحال[4] للناس وسموها السعادة الأخيرة والشقاء الأخير، ولما كانت هذه الحال ليس لها في الشاهد مثال، وكان مقدار ما يدرك بالوحي منها يختلف في حق نبي نبي لتفاوتهم في هذا المعنى، أعني في الوحي، اختلفت الشرائع في تمثيل الأحوال التي تكون لأنفس السعداء بعد الموت ولأنفس الأشقياء".[5]

وهذا قول على الله بلا علم ولا دليل، فابن رشد لم يأت بأدلة من الوحيين على ما يقول، بل كان يحتج بقول أساتذته من الفلاسفة اليونان أمثال أرسطو وأفلاطون وغيرهما، وبنى اعتقاده على أقوالهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء:٣٦]، ولا أدري من أين أتى ابن رشد بهذا الكلام.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تفسير ابن عطية، ٤٧٤/٢، وينظر: تفسير القرطبي، ٣١٦/٧.

(٢) تفسير ابن عطية، ٤٧٥/٢.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢٦٦/٤، وينظر: المصدر نفسه، ٣٠/٩-٣٣.

(٤) يقصد المعاد وأحواله.

(٥) الكشف عن مناهج الأدلة، ابن رشد، ٢٠١.

المطلب الرابع: الأرواح تعود إلى أجساد أخرى:

ينكر ابن رشد المعاد الجسماني، ويعتقد أن الأرواح تعاد إلى أجسام أخرى غير الأجسام التي كانت في الدنيا، حيث يقول: "وما قاله هذا الرجل[١] في معاندتهم[٢] هو جيد، ولابد في معاندتهم أن توضع النفس غير مائتة، كما دلت عليه الدلائل العقلية والشرعية، وأن يوضع أنّ التي تعود هي أمثال هذه الأجسام التي كانت في هذه الدار لا بعينها، لأن المعدوم لا يعود بالشخص، وإنما يعود الموجود لمثل ما عدم لا لعين ما عدم كما بيّن أبو حامد".[٣]

وهذا تصريح منه بأن الأرواح تعود إلى أجساد أخرى غير الأجساد التي كانت في الدنيا، لزعمه باستحالة الإعادة، ظناً منه أن قدرة الله لا تتعلق بذلك.

وقال في موضع آخر: "فأخبروا[٤] أن الله تعالى يعيد النفوس السعيدة إلى أجساد تنعم فيها الدهر كله بأشد المحسوسات نعيمًا، وهو مثلًا الجنة، وأنه تعالى يعيد النفوس الشقية إلى أجساد تتأذى فيها الدهر كله بأشد المحسوسات أذى، وهو مثلًا النار، وهذه هي حال شريعتنا هذه التي هي الإسلام في تمثيل هذه الحال".[٥]

---

(١) يقصد الغزالي في رده عليه في تهافت التهافت.

(٢) يقصد الزنادقة الذين شكوا في وجود المعاد الأخروي وتعرضوا لذلك وأفصحوا به وأبطلوا الشرائع والفضائل، ويرون أنه لا غاية للإنسان إلا التمتع باللذات. ينظر: تهافت التهافت، ابن رشد، ٥٥٧.

(٣) تهافت التهافت، ابن رشد، ٥٥٧-٥٥٨.

(٤) أي بعض الأنبياء في بعض الشرائع وليس كلها.

(٥) الكشف عن مناهج الأدلة، ابن رشد، ٢٠٢.

وقال أيضًا: "ولأجل هذا نجد أهل الإسلام في فهم التمثيل الذي جاء في ملتنا في أحوال المعاد ثلاث فرق:

فرقة رأت أن ذلك الوجود هو بعينه هذا الوجود الذي هاهنا من النعيم واللذة، أعني أنهم رأوا أنه واحد بالجنس، وأنه إنما يختلف الوجودان بالدوام والانقطاع، أعني أن ذلك دائم، وهذا منقطع.

وطائفة رأت أن الوجود متباين، وهذه انقسمت قسمين: فطائفة رأت أن الوجود الممثل بهذه المحسوسات هو روحاني، وإنه إنما مُثِّل به إرادة البيان، ولهؤلاء حجج كثيرة من الشريعة مشهورة، فلا معنى لتعديدها.

وطائفة رأت أنه جسماني لكن اعتقدت أن تلك الجسمانية الموجودة هنالك مخالفة لهذه الجسمانية، لكون هذه بالية وتلك باقية، ولهذه أيضا حجج من الشرع.

ويشبه ابن عباس أن يكون ممن يرى هذا الرأي، لأنه روي عنه أنه قال: "ليس في الدنيا من الآخرة إلا الأسماء" ويشبه أن يكون هذا الرأي هو أليق بالخواص".[1]

فنجد في هذا النص عن ابن رشد أنه يؤيد القول بأن الحشر للأرواح فقط دون الأجساد، وأن هذه الأرواح التي ستحشر ستعود لأجساد أخرى غير الأجساد التي كانت في الدنيا، ويرى أيضاً أن ابن عباس –رضي الله عنهما– يرى هذا الرأي، وحاشاه –رضي الله عنه– أن يرى مثل هذا الرأي وهو حبر الأمة وترجمان القرآن.

(١) المصدر السابق، ٢٠٣.

ولو أردنا أن نعرف حجة ابن رشد الحفيد على تأييده لهذا الرأي، فإنه يواصل ويقول: "وذلك أن إمكان هذا الرأي ينبني على أمور ليس فيها منازعة عند الجميع، أحدها: أن النفس باقية، والثاني: أنه ليس يلحق عند عودة النفس إلى أجسام أخر المحال الذي يلحق عند عودة تلك الأجسام بعينها، وذلك أنه يظهر أن مواد الأجسام التي هاهنا توجد متعاقبة ومنتقلة من جسم إلى جسم، وأعني أن المادة الواحدة بعينها توجد لأشخاص كثيرة في أوقات مختلفة، وأمثال هذه الأجسام لا يمكن أن توجد كلها بالفعل، لأن مادتها هي واحدة، مثال ذلك: أن إنساناً مات واستحال جسمه إلى التراب، واستحال ذلك التراب إلى نبات، فاغتذى إنسان آخر من ذلك النبات، فكان منه مني تولَّد منه إنسان آخر، وأما إذا فرضت أجسام أخر فلا تلحق هذه الحال".(١)

هذه حجة ابن رشد في تأييده للقول ببعث الأرواح إلى أجساد أخرى غير الأجساد التي كانت في الدنيا، بل إنه يرى أنه من المحال عودة الروح أو النفس إلى الجسد الذي كان في الدنيا وإمكان عودتها إلى جسد آخر، وهذا تفريق منه من غير دليل، ورب العالمين سبحانه قادر على كل شيء.

وابن رشد بقوله هذا شابه الكفار الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ٥٢﴾[الإسراء:٤٩-٥٢].

(١) المصدر السابق، ٢٠٣-٢٠٤.

فالله تعالى الذي خلق الإنسان من تراب قادر على إعادته وبعثه وهو أهون عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾[الحج:٥]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾[الروم:٢٧]، ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡيِيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٣٣﴾[الأحقاف:٣٣].

وقد ثبت في السنة المطهرة أن الله ﷻ يعيد الأجسام من عجب الذنب الذي يبقى بعد أن يبلى الجسد بقدرته سبحانه، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -ﷺ-: ((**ما بين النفختين أربعون**)) قال: أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: ((**ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**)).(١)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة عم، باب {يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا} زمرا، رقم الحديث ٤٩٣٥، ٨٨٠.

المطلب الخامس: الفرق بين قول ابن سينا في المعاد وقول ابن رشد:

يرى ابن سينا أن المعاد الأخروي إنما هو للأرواح فقط دون الأبدان حيث يقول: "فالنفس بعد الموت، إما شقية، وإما سعيدة، وذلك هو المعاد".(١)

ويقول: "فالسعادة الأخروية، عند تخلص النفس عن البدن وآثار الطبيعة وتجرده كامل اللذات، ناظرًا نظرًا عقليًّا إلى ذات من له الملك الأعظم، وإلى الروحانيين الذين يعبدونه، وإلى العالم الأعلى، وإلى وصوله كماله إليه واللذة الجليلة عند ذلك، والشقاوة الأخروية عند ضد ذلك، وكما أن تلك السعادة عظيمة جداً، فكذلك الشقاوة التي تقابلها أليمة جداً".(٢)

ومن هنا يتبين الفرق بين قول ابن رشد وقول ابن سينا في المعاد، فابن رشد الحفيد يرى أن المعاد للأرواح، ولكنّ الله ينشئ يوم القيامة أبدانًا أخرى غير الأبدان التي كانت فيها الأرواح في الدنيا، اعتقادًا منه أن إعادة الأبدان التي في الدنيا أمر صعب، تعالى الله عن ذلك.

أما ابن سينا فإنه لا يرى وجود الأبدان في المعاد ألبتة، ويرى أن الأرواح بعد مفارقتها للأبدان تتنعم أو تتعذب وهذا هو معادها، وعليه فهو لا يرى قيام الساعة ولا يؤمن باليوم الآخر.

فهما يتفقان على معاد الأرواح دون الأبدان، وقولهما ناتج عن معتقدهما بقدم العالم.

---

(١) الرسالة الأضحوية، ابن سينا، ١١١.

(٢) المصدر السابق، ١١٨-١١٩.

المطلب السادس: من أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في رده على مذهب الفلاسفة عامة في المعاد:

١- قوله رحمه الله: "والأرواح مخلوقة بلا شك وهي لا تعدم ولا تفنى؛ ولكن موتها مفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان".(١)

٢- وعندما سئل رحمه الله عن عذاب القبر هل هو على النفس والبدن أو على النفس؛ دون البدن؟ ... قال في معرض جوابه: "وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث، قول من يقول: إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح؛ وأن البدن لا ينعم ولا يعذب. وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان؛ وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين، ... بل قد ثبت في الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة، والفلاسفة الإلهيون يقولون بهذا لكن ينكرون معاد الأبدان ... لكن قول الفلاسفة أبعد عن أقوال أهل الإسلام وإن كان قد يوافقهم عليه من يعتقد أنه متمسك بدين الإسلام، بل من يظن أنه من أهل المعرفة والتصوف والتحقيق والكلام، ... ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى وهذا كله متفق عليه عند علماء الحديث والسنة".(٢)

٣- وقال أيضا: "وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة، فإنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويقولون هذه أمثال ضربت لنفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل: القرامطة الباطنية الذين قولهم

---

(١) مجموع الفتاوى، ٤/٢٧٩.

(٢) المصدر السابق، ٤/٢٨٣-٢٨٤.

مؤلف من قول المجوس والصابئة، ومثل: المتفلسفة الصابئة المنتسبين إلى الإسلام وطائفة ممن ضاهوهم من كاتب، أو متطبب، أو متكلم، أو متصوف، كأصحاب رسائل إخوان الصفا وغيرهم أو منافق، وهؤلاء كلهم كفار يجب قتلهم باتفاق أهل الإيمان؛ فإن محمدًا-ﷺ- قد بيَّن ذلك بيانًا شافيًا قاطعًا للعذر".(١)

٤- وقال: "وكذلك هؤلاء المتفلسفة أتباع أرسطو لم يسلكوا مسلك الفلاسفة الأساطين المتقدمين، فإن أولئك كانوا يقولون بحدوث هذا العالم، وكانوا يقولون: إن فوق هذا العالم عالماً آخر، يصفونه ببعض ما وصف النبي-ﷺ- به الجنة، وكانوا يثبتون معاد الأبدان، كما يوجد هذا في كلام سقراط وتاليس وغيرهما من أساطين الفلاسفة، وقد ذكروا أن أول من قال منهم بقدم العالم أرسطو".(٢)

٥- وقال: "والإنسان لما كان يعلم أنه خُلق بعد أن لم يكن، ذُكر بذلك ليستدل به على قدرة الخالق على تغيير العادة، ولهذا ذكر تعالى ذلك في خلق يحيى بن زكريا-عليه السلام- في النشأة الثانية، قال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾[مريم:٧-٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا

(١) المصدر السابق، ٣١٤/٤.

(٢) المصدر السابق، ٣٥١/١٧.

خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾[سورة مريم:٦٦-٦٧]، فذكر الإنسان بما يعلمه من أنه خلقه ولم يك شيئًا؛ ليستدل بذلك على قدرته على مثل ذلك، وعلى ما هو أهون منه".(١)

٦- وقال: "والأمر على ما ذكره السلف، فإن قصة أصحاب الكهف هي من آيات الله، فإن مكثهم نيامًا لا يموتون ثلاثمائة سنة، آية دالة على قدرة الله ومشيئته، وأنه يخلق ما يشاء، ليس كما يقوله أهل الإلحاد، وهي آية على معاد الأبدان كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾[سورة الكهف:٢١]، وكان الناس قد تنازعوا في زمانهم: هل تعاد الأرواح دون الأبدان؟".(٢)

٧- وقال: "وكذلك أيضاً من الخوارق الخارجة عن قوى النفوس إحياء الموتى من الآدميين والبهائم وقد ذكر الله ذلك في غير موضع من كتابه ... فيها أنواع من الاعتبار منها ... الثالث أن هذا من أعظم الدلالة على إمكان معاد الأبدان وإعادة الأرواح إليها فإنه لا أدل على إمكان الشيء من وقوعه أو وقوع نظيره فلما كان هذا واقعًا علم أنه ممكن".(٣)

٨- وقال: "وهؤلاء المتفلسفة المنكرون لمعاد الأبدان ولحدوث الأفلاك عامتهم يقولون: إن المعجزات والكرامات قوى نفسانية إما قوة الإدراك والعلم، وإما قوة الحركة والعمل، فالإدراك هو قوة النفس التي ينال بها العلم. فيجعلون

---

(١) منهاج السنة، ٣٧٣/١.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣٨٤/٥.

(٣) الصفدية، ١٨٤/١-١٨٦.

ما أخبرت به الرسل وأمرت به كله استفادوه بهذه القوة، من غير أن يكون هناك ملائكة هم أحياء ناطقون نزلوا عليهم بوحي، ومن غير أن يكون لله كلام تكلم به خارجًا عن أنفسهم، ومن غير أن يكون هناك رب خلق العالم بقدرته ومشيئته يقدر على تغيير العلويات وتبديل الأرض والسموات، وكل من فهم حقيقة قولهم، وحقيقة ما جاءت به الرسل، علم مناقضتهم لهم، كما قيل لبعض شيوخنا الفضلاء الذين كانوا يعرفون ذلك: ما بين الفلاسفة والأنبياء؟ فقال السيف الأحمر. بل حقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون لا بالله ولا كتبه ولا ملائكته ولا رسله ولا بالبعث بعد الموت فهم أسوأ حالًا من اليهود والنصارى".[1]

***

(١) المصدر السابق، ٢/٢٢٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بعد الانتهاء من البحث، وقد خلصت فيه للنتائج الآتية:

١) أن المعاد شرعًا هو أن الله تعالى يبعث الموتى من قبورهم بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها.

٢) عقيدة أهل السنة والجماعة في المعاد الأخروي هي أن الله تعالى القادر المبدئ المعيد سبحانه يعيد الأرواح إلى الأجساد التي كانت في الدنيا وأنه سبحانه يبعث من في القبور.

٣) أهل السنة والجماعة بنوا معتقدهم على ما ورد في الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح.

٤) كثرة الأدلة الواردة في الكتاب والسنة على المعاد الأخروي بأن الله ﷻ يبعث الأرواح والأجساد التي كانت في الدنيا معاً.

٥) التعريف بابن رشد الحفيد وأنه كان ضليعًا في الفقه، ولكنه اتبع مذاهب الفلاسفة اليونان فتعرض لمحنة في آخر حياته بسبب هذه الهفوة والزلة العظيمة.

٦) الفلاسفة عامة وعلى رأسهم أرسطو ينكرون المعاد وبعث الأجساد ورد الألواح إليها ووجود النار والجنة، ويقولون عنها: إنها أمثلة مضروبة لتفهيم العوام.

٧) تقوم عقيدة ابن رشد الحفيد في المعاد على عدة عناصر منها: القول بوحدة النفس، القول بأزلية الأنواع وحدوث الأفراد الأرضية، التشكيك بعقيدة حشر الأجساد، الأرواح تعود إلى أجساد أخرى غير التي كانت في الدنيا.

٨) يرى ابن رشد الحفيد أن النفس واحدة ومنقسمة وموزعة بين البشر، فإذا مات البشر عادت نفوسهم إلى نفس واحدة وسماها النفس الكلية، وهذا قول باطل، وقد ردَّ الله عليه وعلى أمثاله في القرآن الكريم بآيات عديدة ذكرتُ بعضًا منها.

٩) يرى ابن رشد أزلية العالم وأبديته بناء على نظريته في النفس الكلية، وأن الأفراد الأرضية محدثة مخلوقة، وأن النفوس التي داخلهم غير مخلوقة، وهو يرى أن الأزلي لا يصدر عنه إلا أزلي.

١٠) يزعم ابن رشد الحفيد أن أنبياء بني إسرائيل الذين أتوا بعد موسى هم أول من قال بحشر الأجساد، ويُرد عليه بأقوال الأنبياء الذين بُعثوا قبل موسى في القرآن لأقوامهم يحذرونهم ذلك اليوم.

١١) يزعم ابن رشد الحفيد أيضاً أن الأرواح بعد موت أبدانها تعود يوم القيامة إلى أبدان أخرى غير التي كانت في الدنيا، وحجته في ذلك عدم القدرة الإلهية على الإعادة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وكان الرد عليه بالآيات التي تثبت قدرة الله على كل شيء ومنها إحياء الموتى.

١٢) بيان الفرق بين قول ابن رشد في المعاد وبين قول ابن سينا فيه، وأنهما يتفقان في قدم العالم.

١٣) ذكر جملة من ردود شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- على الفلاسفة عامة في معتقداتهم في اليوم الآخر وفي العالم.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- الآثار العلوية، ابن رشد الحفيد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي المالكي، ت: سهير فضل الله أبو وافية وسعاد علي عبد الرازق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٤م.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
- الإكليل في المتشابه والتأويل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: محمد الشيمي شحاته، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية – مصر.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م.
- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م.
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣م.
- التبيان في أيمان القرآن، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ت: عبد الله بن سالم البطاطي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣م.

- تعظيم قدر الصلاة، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، ت: عبد الرحمن عبد الجبار الفيروائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- تفسير ابن عطية=المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ،١٤٢٢هـ.
- تفسير البغوي=معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.
- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م.
- تفسير القرطبي=الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ-١٩٦٤م.
- تفسير ما بعد الطبيعة، ابن رشد الحفيد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي المالكي، ت: موريس بويج، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٨م، مكتبة لسان العرب.
- التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، ت: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م.
- تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١م.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ت: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧ هـ.

- تهافت التهافت، ابن رشد الحفيد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي المالكي، ت: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة المربية، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- تهافت الفلاسفة، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة—مصر، الطبعة السادسة.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ–٢٠٠٠م.
- ثلاثة الأصول وأدلتها – وشروط الصلاة – والقواعد الأربع، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: علي بن حسن وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م.
- درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ–١٩٩١م.
- الدرة فيما يجب اعتقاده، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ت: عبد الحق التركماني، مركز البحوث الإسلامية في السويد، دار ابن حزم، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م.
- دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان المؤرخ المصري، مكتبة الخانجي، القاهرة، الجزء الأول والثاني والخامس الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م، والجزء الثالث والرابع الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ–١٩٩٠م.

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون برهان الدين اليعمري، ت: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، ت: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- الرد على المنطقيين، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار المعرفة، بيروت–لبنان.
- رسالة أضحوية في أمر المعاد، ابن سينا، ت: سليمان دنيا، دار الفكر العربي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م.
- السماء والعالم أو الكون والفساد، ابن رشد الحفيد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي المالكي، ت: رفيق العجم وجيرار جهامي، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ–١٩٨٥م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، ت: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ–٢٠٠٣م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي أبو الفلاح، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق—بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ–١٩٨٦م.
- شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ت: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق–بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ–١٩٨٣م.
- شرح العقيدة الأصفهانية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.

- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، ت: شعيب الأرناؤوط وعبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمني، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ-١٩٨٨م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، ت: حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، دار الفكر، دمشق-سورية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.
- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني، المكتب الإسلامي.
- الصفدية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، ت: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، ١٣٧٤ هـ-١٩٥٥م.
- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ت: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين أبو العباس ابن أبي أصيبعة، ت: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

- غريب الحديث، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، ت: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي وعبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.
- الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، ت: أحمد فريد المزيدي وفتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.
- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٧م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ابن رشد الحفيد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي المالكي، ت: محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم، إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت—لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.
- الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ-١٩٧٣م.
- قاعدة في المحبة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة-مصر.

- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد الحفيد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد الأندلسي المالكي، ت: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة التراث الفلسفي العربي، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ–١٩٨٢م.
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥م.
- المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الفكر، بيروت.
- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي، تحقيق وتعليق: بأول كل جزء تفصيل أسماء محققيه: محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية، دمشق—سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ–٢٠١٣م.
- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، ت: مصطفى عبد القادر عطا، مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم من العلماء الأجلاء، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي محيي الدين، ت: الدكتور صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ–٢٠٠٦م.

- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.
- المغرب في حلى المغرب، أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي، ت: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٥٥م.
- الملل والنحل، الإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الجزء السابع، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

***

الأحكام الفقهية المتعلقة بالمحجور عليه "المشتبه بإصابته" بوباء كورونا (في باب الصلاة والمعاشرة)

د. هيفاء بنت أحمد باخشوين
قسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب
جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

الأحكام الفقهية المتعلقة بالمحجور عليه "المشتبه بإصابته" بوباء كورونا (في باب الصلاة والمعاشرة)

د. هيفاء بنت أحمد باخشوين

قسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب
جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

تاريخ تقديم البحث: ٥/ ٥/ ١٤٤٣ هـ تاريخ قبول البحث: ١٦/ ٧/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

يتناول هذا البحث الأحكام الفقهية المتعلقة "بالمحجور عليه" المشتبه بإصابته"، بوباء كورونا المستجد (في باب الصلاة والمعاشرة) وهو من نوازل الأوبئة التي عمَّت بها البلوى في أرجاء المعمورة، ويحتاج المكلف فيها إلى معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة به.

ويهدف البحث إلى بيان التدابير الوقائية التي سلكتها الشريعة في فترة الوباء حفظاً للنفس البشرية، كما يهدف إلى بيان الأحكام الفقهية المتعلقة بالمحجور عليه المشتبه بإصابته بهذا الوباء، ودراستها دراسة فقهية مقارنة. وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، التمهيد في تعريف المصطلحات الواردة في البحث، والمبحث الأول: في الحجر الصحي أسبابه وأنواعه، وحكمه الشرعي وأهميته في حفظ الضروريات الخمس، والمبحث الثاني: في أحكام المحجور عليه المشتبه بإصابته في باب الصلاة والمعاشرة، وحكم تخلفه أو حضوره لصلاة الجمعة والجماعة، وحكم معاشرته لزوجته في فترة الحجر، والمبحث الثالث: جهود الدولة تجاه المحجور عليهم. وانتهى البحث بالتأكيد على أهمية الحجر الصحي للمشتبه بإصابتهم بهذا الفيروس، وبيان حرص التشريع الإسلامي على الأخذ بالتدابير الوقائية لمنع انتشار الوباء، وحفظاً للنفس البشرية من الهلاك.

الكلمات المفتاحية: وباء، كورونا المستجد، الحجر الصحي، المحجور عليه، العدوى، وقاية.

Jurisprudential Rulings Related to Quarantined persons (suspected of being Infected with COVID-19) (Prayer and Marital Intercourse)

Dr. Haifa Ahmed Bakhshwain
Department of islamic studies - Faculty of literature
IMAM ABDULRAHMAN BIN FAISAL university

Abstract:

This research deals with the jurisprudential rulings of the quarantined suspected person; the new Corona epidemic period, Covid-19, is one of the worst epidemics that have spread throughout the world. The person in charge needs to know the legal provisions related to the epidemic.

The research aims to explain the preventive Sharia measures for the epidemic to preserve the human soul.

It also aims to explain the jurisprudential rulings related to the quarantined suspected of being infected by the epidemic. It addresses the same in a comparative jurisprudential comparative study. The research includes an introduction, preface, three topics and a conclusion. The preface includes the definition of the terminology contained in the study and the first topic: quarantine, its reasons, legal ruling and its importance regarding self-preservation. The second topic: the patient provisions the patient in terms of failure to Al-Juma and congregation prayer. In addition to the ruling on the abandonment of a spouse to the other due to quarantine. The third topic: is the duties of the country towards the patient. The research ended by emphasizing the importance of quarantining those suspected of being infected with this virus and demonstrating that the Islamic legislation adheres to taking preventive measures to prevent epidemic infections and preserve the human soul.

key words: epidemic, corona, quarantine, quarantined, person, infection, prevention.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد...

فإن من المقرر شرعاً أن الشارع الحكيم شرع أحكامه لمصالح العباد في العاجل والآجل، ولم يشرع شيئاً من الأحكام عبثاً، ومن ذلك ما قررته الشريعة الغراء من أحكام تحفظ للإنسان حياته، وتصونها له من كل سوء يمسها، أو ضرر يفسدها، لا سيما مع انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة، ومنها فيروس كورونا المستجد كوفيد -١٩، والذي انتشر انتشاراً عظيماً في أرجاء المعمورة، مما حدا بالدول إلى اتخاذ كافة التدابير الاحترازية والوقائية للحدّ من هذا الانتشار.

وقد آثرت الكتابة في إحدى الوسائل الاحترازية التي سعت إليها حكومتنا الرشيدة وفقها الله، فكان بحثي بعنوان: (**الأحكام الفقهية المتعلقة بالمحجور عليه " المشتبه بإصابته" بوباء كورونا في باب الصلاة والمعاشرة**).

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الأمور الآتية:

١- بيان التدابير الاحترازية التي سلكتها الشريعة الإسلامية لحفظ النفس الإنسانية ووقايتها من الهلاك.

٢- بيان سبق التشريع الإسلامي غيره من التشريعات الوضعية في تقريره للأحكام الفقهية المتعلقة بالحجر الصحي.

٣- جمع الأحكام الفقهية المتعلقة بالمحجور عليه " المشتبه بإصابته" بوباء كورونا، في باب الصلاة والمعاشرة، ودراستها دراسة فقهية مقارنة.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في عدة أمور منها:

١- الحاجة إلى مثل هذه الموضوعات المتعلقة بالأوبئة، والتي تعم بها البلوى، وتزداد حاجة المكلفين لمعرفة الحكم الشرعي فيها.

٢- علاقة البحث بحفظ الضروريات الخمس.

٣- بيان دور الفقه الإسلامي في كل شؤون الحياة صحية واقتصادية وأمنية وغيرها.

الدراسات السابقة:

١- أحكام الحجر الصحي في الطب النبوي والعصر الحديث: دراسة علمية من منظور شرعي، لمعن بديع حسين، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد الخامس والسبعون، ١٤٣٩هـ.

٢- أحكام الحجر الصحي، دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي والنظام، قاسم بن محمد القاسم، رسالة ماجستير، من المعهد العالي للقضاء، ١٤٢١هـ.

٣- أحكام الحجر الصحي في الطب النبوي والعصر الحديث دراسة علمية من منظور شرعي، معن بديع راغب، مجلة البحوث والدراسات الشرعية بالقاهرة، مجلد ٨، العدد ٧٥، يونيو ٢٠١٨م.

٤- الإسلام ونظام الحجر الصحي، لصلاح حسين شهاب الدين، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٧٤، ١٤١٧هـ.

٥- الحجر الصحي في الحجاز ١٨٦٥ -١٩١٤ م، لجولدن صاري، ترجمه عن التركية: بركات، عبد الرزاق، البقاعي، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، العدد ٢، ٢٠٠٣م.

٦- الهدي النبوي في الطب الوقائي، باسم حسن وردة، مجلة هدي الإسلام، مجلد ٧٥، العدد ٨، ٢٠١٣م.

٧- الطب الوقائي في الفكر النبوي، لعلي زناد كلش، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد١، مجلد ٤٣، ٢٠١٨م.

٨- الوقاية الصحية في الإسلام، لمروان علي القدومي، مجلة القدس المفتوحة، المجلد ٢٦، ٢٠١٢م.

فهذه الأبحاث وغيرها منها ما تناول الحجر الصحي ضمن الإعجاز النبوي، ومنها ما تناوله ضمن الطب الوقائي، إلا أن هذا البحث ينفرد بالتركيز على الأحكام الفقهية المتعلقة بالمحجور عليه المشتبه بإصابته بفيروس كورونا المستجد، في باب الصلاة والمعاشرة.

حدود البحث:

تتبين حدود البحث من خلال عنوانه؛ حيث تُعنى هذه الدراسة بأهم الأحكام الفقهية المتعلقة بالمحجور عليه، المشتبه بإصابته بفيروس كورونا، وقد اقتصرت على حكم تخلفه عن صلاة الجمعة والجماعة أو حضوره لها، ومعاشرته لزوجته في فترة الحجر؛ وفق مدة معينة يحددها الأطباء.

منهج البحث وإجراءاته:

أما فيما يتعلق بمنهج البحث، فقد تم الاعتماد على المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وذلك باستقراء أقوال الفقهاء في المسائل المتعلقة بالبحث، وجمعها، وتحليلها.

أما عن إجراءات البحث فتتمثل في الآتي:

- جمع المادة العلمية وتوزيعها حسب مباحث ومطالب الخطة.
- ذكر صورة المسائل المراد بحثها قبل الحكم عليها.
- ذكر الأقوال الفقهية في المسائل، سواء أكانت محل اتفاق، أم محل خلاف، مقتصراً في بيان الخلاف على المذاهب الأربعة.
- عرض أدلة الأقوال، مع بيان وجه الدلالة قدر الإمكان، ثم الترجيح مع ذكر سببه.
- توثيق المادة العلمية من مراجعها المعتمدة.
- عزو الآيات القرآنية إلى أرقامها وسورها.
- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها المعتمدة، وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإني أكتفي بذلك، وإن كان في غيرهما خرجته من بقية الكتب التسعة، أو غيرها، وذكرت أقوال أهل العلم في الحكم عليه.
- وضع فهارس للمصادر والمراجع.

خطة البحث: ينتظم البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

-المقدمة: تشتمل على موضوع البحث، وأهدافه، وأهميته، ومنهجه، وخطته.

-التمهيد وفيه: -تعريف مفردات عنوان البحث لغة واصطلاحاً، والألفاظ ذات الصلة.

-المبحث الأول: الحجر الصحي، أسبابه، وأنواعه، وحكمه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحجر الصحي، أسبابه وأنواعه.

المطلب الثاني: الحكم الشرعي للمحجور عليه المشتبه بإصابته.

المطلب الثالث: الحجر الصحي وعلاقته بحفظ الضروريات الخمس.

-المبحث الثاني: الأحكام الفقهية المتعلقة بالمحجور عليه المشتبه بإصابته بوباء كورونا، في باب الصلاة والمعاشرة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم تخلف المحجور عليه المشتبه بإصابته عن صلاة الجمعة والجماعة، أو حضوره لها، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: حكم تخلف المحجور عليه المشتبه بإصابته عن صلاة الجمعة والجماعة.

المسألة الثانية: حكم حضور المحجور عليه المشتبه بإصابته لصلاة الجمعة والجماعة.

المطلب الثاني: حكم معاشرة المحجور عليه المشتبه بإصابته لزوجته في فترة الحجر .

-المبحث الثالث: جهود الدولة تجاه المحجور عليهم المشتبه بإصابتهم، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اتخاذ كافة التدابير الوقائية لمنع تفشي فيروس كورونا.

المطلب الثاني: نشر التوعية، وتثقيف المجتمع بخطر فيروس كورونا.

المطلب الثالث: إجراء الفحوصات وتتبع حالات القادمين من الخارج.

المطلب الرابع: فرض العقوبات على المخالفين للأنظمة والقرارات.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

أولاً: تعريف مفردات عنوان البحث، والألفاظ ذات الصلة:

المحجور عليه: هو الشخص الذي قُيد نشاطه، بسبب الاشتباه بإصابته، بطريقة تحول دون انتشار العدوى.

الحجر الصحي: الحجر لغة: الحاء والجيم والراء أصل واحد، وهو المنع والإحاطة على الشيء. بفتح الحاء وكسرها. يقال: حَجَرَ عَلَيْهِ يَحْجُرُ حَجْراً وحُجْراً وحِجْراً وحُجْراناً وحِجْراناً مَنَعَ مِنْهُ [(١)].

الحجر اصطلاحاً: المنع من التصرف [(٢)].

تعريف الحجر الصحي: تقييد نشاطات أشخاص يشتبه في إصابتهم، أو فصل هؤلاء الأشخاص عن غيرهم، بطريقة تؤدي إلى الحيلولة دون انتشار العدوى ويكون الحجر في (منشأة مخصصة أو في المنزل) مع توفر اشتراطات معينة [(٣)].

وعرّفه نظام المراقبة الصحية في منافذ الدخول، بأنه: " تقييد نشاطات أشخاص يشتبه في إصابتهم ، أو أمتعة أو حاويات أو وسائل نقل أو بضائع يشتبه في إصابتها، أو فصل هؤلاء الأشخاص عن غيرهم، أو فصل الأمتعة أو الحاويات أو وسائل النقل أو البضائع عن غيرها، بطريقة تؤدي إلى الحيلولة دون انتشار العدوى أو التلوث" [(٤)].

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (١٣٨/٢)، لسان العرب (١٦٧/٤) مادة ح ج ر.

(٢) ينظر: الذخيرة للقرافي (٨/ ٢٢٨)، المطلع على ألفاظ المقنع صـ٣٠٤.

(٣) ينظر: موقع المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها (وقاية). https://covid19.cdc.gov.sa/ar/home-ar

(٤) المادة الأولى في نظام المراقبة الصحية في منافذ الدخول، الصادر بمرسوم ملكي رقم م / ٤٧ .

الألفاظ ذات الصلة بمفردات العنوان:" العزل، الجائحة":

الحجر الصحي والعزل: أوضحت منظمة الصحة العالمية الفرق بينهما، حيث **يتمثل الحجر الصحي** في فرض قيود على أنشطة الأشخاص الذين لم يصابوا بالمرض ولكن يُحتمل أن يكونوا قد تعرّضوا لعدوى كوفيد-١٩، أو فصلهم عن الآخرين. ويمكن أن يكون الحجر الصحي في مرفق معين أو في المنزل، وفق مدة محددة يحددها الأطباء. **أما العزل:** فيعني فصل الأشخاص المرضى المصابين بأعراض كوفيد-١٩، أو الذين كانت نتائج اختباراتهم إيجابية. (١).

الفرق بين الحجر الصحي والعزل: الحجر الصحي يكون للمشتبه بحمله للفيروس، بينما العزل يكون لمن تأكدت إصابته بالعدوى.

"**المشتبه بإصابته**" : من الاشتباه: وهو التباس الأمر واختلاطه. وقريب منه الشك في ثبوت الأمر(٢). فالمشتبه بإصابته: هو الشخص الذي اختلط أمره، ولم تتعين إصابته من عدمها.

---

https://laws.boe.gov.sa/BoeLaws/Laws/LawDetails/1b787adb-3b1e-4b69-b04d-a9a700f28ca6/1

وينظر: الدليل الإرشادي للحجر الصحي- العزل الطبي الصادر عن موقع المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها (وقاية). https://covid19.cdc.gov.sa/ar/home-ar

(١) ينظر: موقع منظمة الصحة العالمية https://www.who.int/ar

(٢) ينظر: لسان العرب (١٣/٥٠٤)، القاموس الفقهي صـ١٨٩ مادة (ش ب هـ).

وينظر: الدليل الإرشادي للحجر الصحي- العزل الطبي الصادر عن موقع المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها (وقاية).

https://covid19.cdc.gov.sa/ar/home-ar

الوباء والجائحة: تعريف الوباء لغة: الوَبَأُ، يمدُّ ويقصر: الطاعون، أو كل مَرضٍ عامٍّ، وجمع المقصور أوْباءٌ وجمع الممدود أوْبِئَةٌ. وقد وَبِئَتِ الأرضُ تَوْبَأُ وَبَأً فهي مَوْبوءَةً، إذا كثُر مرضها [١].

تعريف الوباء اصطلاحاً: عرَّفه الأطباء القدماء بقولهم: "الوباء فساد يعرض لجوهر الهواء، لأسباب سماوية وأرضية" [٢]. وفرّق الأطباء حديثاً بين الوباء والجائحة، فعرفوا الوباء بأنه: المرض المعدي الذي يهاجم عدداً من الناس في منطقة جغرافية معينة. أما **الجائحة** فهي وصف الأمراض المعدية التي تنتشر في منطقة جغرافية واسعة، وتؤثر على عدد كبير من الناس [٣]. وقريب منه تعريف الموسوعة الطبية الحديثة للوباء بأنه: "كل مرض يصيب عدداً كبيراً من الناس في منطقة واحدة في مدة قصيرة من الزمن، فإن أصاب المرض عدداً عظيماً من الناس في منطقة جغرافية شاسعة سُمي وباءً عالميًّا " [٤].

وقد صنّفت منظمة الصحة العالمية تفشي فيروس كورونا بوصفه وباءً عالميًّا وهذا ما نقصد بالجائحة. واستخدام هذا المصطلح يعود لسببين رئيسين هما: سرعة تفشي العدوى، واتساع نطاقها [٥].

---

(١) ينظر: الصحاح (٧٩/١)، المحكم والمحيط الأعظم (٥٦٦/١٠) مادة (وبأ).

(٢) معجم مقاليد العلوم للحدود والرسوم صـ١٨٧، التوقيف على مهمات التعاريف صـ٣٣٤.

(٣) ينظر: الموسوعة العربية العالمية (١٠٨/٢٣).

(٤) الموسوعة الطبية الحديثة (١٨٩٤/١٣).

(٥) موقع منظمة الصحة العالمية https://www.who.int/ar

– كورونا (COVID-19) [١]: فيروس كورونا أحد الفيروسات الشائعة التي تسبب عدوى الجهاز التنفسي العلوي، والجيوب الأنفية، والتهابات الحلق. أما فيروس كورونا المستجد المسمى بـ **(COVID-19)** فهو من فصيلة فيروسات (كورونا) الجديد؛ حيث ظهرت أغلب حالات الإصابة به في مدينة ووهان الصينية نهاية ديسمبر ٢٠١٩م على صورة التهاب رئوي حاد [٢].

---

(١)ينظر: دليل الأسئلة الشائعة الصادر عن موقع وزارة الصحة السعودية https://www.moh.gov.sa/Pages/Default.aspx، https://www.who.int/ar

(٤) ينظر: الموقع الطبي https://altibbi.com/%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D8%AA%D8%B7%D8%A8%D9%8A%D8%A9/%D8%A7%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%B6%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%A7%D8%B2%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%8A/%D8%A7%D9D8%AA%D9%87%D8A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D8%A9

المطلب الأول: الحجر الصحي:

أسبابه وأنواعه:

تمهيد: كيف ينتقل فيروس كورونا:

أثبت الطب إمكانية انتقال مرض كورونا المستجد من الشخص المصاب إلى غيره، إلا أنه لم يحدد بالضبط السبب الرئيس في انتقاله، إذ يمكن انتقاله من شخص إلى شخص عن طريق القُطيرات الصغيرة التي تتناثر من الأنف أو الفم عندما يسعل الشخص المصاب بمرض كوفيد-١٩ أو يعطس. وتتساقط هذه القُطيرات على الأشياء والأسطح المحيطة بالشخص. ويمكن حينها أن يصاب الأشخاص الآخرون بهذا المرض، عند ملامستهم لهذه الأشياء أو الأسطح ثم لمس أحد حواسهم من العين أو الأنف أو الفم. كما يمكن أن يصاب الأشخاص بمرض كوفيد-١٩ إذا تنفسوا القُطيرات التي تخرج من الشخص المصاب بالمرض مع سعاله أو زفيره، مما يستدعي أخذ التدابير اللازمة لمنع تفشيه، أو انتقاله للأصحاء [١].

وعليه صُنف كورونا ضمن الأمراض المعدية، والعدوى فيه ثابتة إذا شاء الله، وهي تعني: دخول العوامل الممرضة إلى جسم الإنسان، ونموها وتكاثرها فيه، وتفاعل الجسم معها. والفيروسات هي أحد العوامل الممرضة التي تسبب انتقال مرض كورونا، ويصل هذا الفيروس إلى الإنسان الصحيح من مريض ظهرت

(١) ينظر: موقع منظمة الصحة العالمية، https://www.who.int/ar

عليه أعراض المرض، أو من حامل لجرثومة المرض، لم تظهر عليه أعراض المرض[١].

مما تقدم يتبين لنا أن الشخص الذي تحصل منه العدوى:

– إما شخص مصاب بهذا المرض، وظهرت عليه أعراضه، ومنها (الحمى، السعال، فقدان لحاستي الشم والتذوق أو لأحدهما، ضيق التنفس، والذي قد يتطور إلى التهاب رئوي..)[٢]. وفي مخالطته لغيره، مضرة لنفسه ولغيره، من نشر للمرض، وفيه أيضا ضرر لنفسه، حيث إن المصاب بالمرض عموماً يحتاج إلى الراحة والسكينة وهذا لا يتحقق لمن يخالط الناس، ويمارس أعماله[٣]. وقد أشار ابن القيم إلى هذا المعنى، عند بيانه للحكمة في النهي عن الخروج من أرض الطاعون، حيث قال: " يجب عند وقوع الطاعون السكون والدعة، وتسكين هيجان الأخلاط، ولا يمكن الخروج من أرض الوباء والسفر منها إلا بحركة شديدة، وهي مضرة جداً"[٤]. وهذا ما يُسمى بالعزل الصحي.

– وإما حامل لميكروب المرض، لم تظهر عليه آثاره، وهو على ضربين: إما أن يحصل تعايش بين المرض وجهازه المناعي، فلا تظهر عيه أعراض، لكنه معدٍ لغيره، أو يكون المرض في طور الحضانة (يقصد بها الفترة الزمنية من الإصابة

---

(١) ينظر: الموسوعة الطبية، الفقهية صـ٧٠١.

(٢) ينظر: تفصيل الكلام في أعراض المرض: موقع منظمة الصحة العالمية، https://www.who.int/ar موقع وزارة الصحة السعودية https://www.moh.gov.sa/Pages/Default.aspx

(٣) ينظر: العدوى بين الطب وحديث المصطفى ﷺ صـ١٠٧.

(٤) زاد المعاد في هدي خير المعاد (٤/٤٠).

بالمرض، إلى وقت ظهور الأعراض)، وهي فترة تطول أو تقصر، حسب المرض[١]. ووفق تقدير الأطباء[٢].

أسباب الحجر الصحي [٣]:

- مخالطة المصابين بمرض كورونا المستجد؛ إذ يمكن انتقال العدوى إليهم بسبب المخالطة.
- الحدّ من انتشار الفيروس ومنع تفشيه -بإذن الله-في المجتمع، إذ إن من لم تظهر عليهم بعد أعراض المرض، قد يكونوا مصابين به.
- للتأكد من سلامة المخالطين، وشفاء المصابين.
- لتحصينهم من هذا المرض، إذا لم تظهر أعراضه عليهم، أو البدء بعلاجهم إذا ثبتت إصابتهم به.

أنواع الحجر الصحي:

الأول: حجر إجباري، (من جهة الدولة):

يخصص لأولئك القادمين من مناطق موبوءة محددة، وتوفير أماكن مخصصة لهم، يتم حجرهم فيها وفق ما يقرره الأطباء من مدة، مع توفير كافة احتياجاتهم الضرورية، حتى يتم التأكد من سلامتهم من المرض.

الثاني: حجر اختياري، (من جهة المشتبه نفسه، مع متابعة الجهة الصحية):

---

(١) ينظر: العدوى بين الطب وحديث المصطفى ﷺ صـ ١٠٢.

(٢) ينظر: موقع منظمة الصحة العالمية، https://www.who.int/ar

(٣) ينظر: الأمراض المعدية ومستجداتها العالمية صـ ٣٥٠-٣٥١.

ويكون للمشتبه بإصابته بالمرض، وليس لديه أعراض تنفسية، فيتم وضعه تحت المراقبة الطبية غير المباشرة، أو تقيّد حركته بمنع انتقاله من منطقة لأخرى، أو منعه من مغادرة بلده، مع التواصل المستمر معهم؛ لمتابعة ظهور الأعراض عليهم، حتى انتهاء فترة حضانة المرض. ويكون حجره منزليًّا، متى توفرت في المكان الشروط والضوابط المطلوبة من قبل الهيئات الصحية. واتباع الإجراءات المطلوبة في أثناء الحجر الصحي، وأهمها:

- التأكد من اتباع العاملين والأشخاص تحت الحجر للإجراءات الوقائية؛ من غسل اليدين، ولبس الكمامة الطبية.
- استخدام الأواني ذات الاستخدام الواحد للأكل والشرب، والتي تتلف فور استخدامها مباشرة.
- تطهير جميع الأسطح المكشوفة والأدوات التي يتم لمسها بشكل يومي بالمطهرات المعتمدة من وزارة الصحة، ومن قبل أشخاص مدربين، مع الحرص على ارتداء القفازات، والكمامة التنفسية والرداء الطبي في أثناء التنظيف.
- عند الحاجة لغسل ملابس الأشخاص تحت الحجر يتم استخدام أدوات الحماية الشخصية (القفازات، والكمامة التنفسية، والرداء الطبي) واستخدام الماء الدافئ، والمنظفات، ثم القيام بتجفيفها باستخدام مجفف الملابس.
- التأكد من تهوية غرفة الحجر الصحي بشكل جيد.
- التخلص الآمن من النفايات الطبية.

- التواصل مع الجهة الصحية، في حال ارتفاع درجة الحرارة، أو ظهور أي أعراض تنفسية لمن هم تحت الحجر، ليتم التقييم الطبي وإكمال الإجراءات اللازمة [١].

(١) ينظر: دليل الحجر الصحي الصادر من المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها وقاية.
https://covid19.cdc.gov.sa/ar/professionals-health-workers-ar/home-quarantine-guidelines-ar
كما أطلقت وزارة الصحة السعودية تطبيقاً بعنوان: (صحتي) لتقديم الخدمات الصحية للأفراد.
https://covid19awareness.sa/apps-for-your-health

المطلب الثاني: الحكم الشرعي للمحجور عليه المشتبه بإصابته

تمهيد:

لما كان الحجر بأنواعه وسيلةً من وسائل دفع بلاء المرض وانتشاره؛ فإن الحجر الصحي في مسألتنا هذه يستهدف الأشخاص القادمين من مناطق موبوءة، أو من يشتبه بإصابتهم بالمرض نتيجة مخالطتهم لمصابين به، ويستمر هذا الحجر حتى نهاية حضانة المرض المشتبه به. فما حكم الحجر الصحي لهؤلاء ومن في حكمهم من ذوي الأمراض المعدية؟، وهل يعدّ ذلك من الوسائل الاحترازية المشروعة؟

تخريج المسألة، والخلاف فيها: يمكن أن تخرّج على ما ذكره الفقهاء في حكم مخالطة الأصحاء لمن به مرض معدٍ، كالبرص[١] والجذام [٢] ونحوهما، وسيكون تحرير البحث فيها بمشيئة الله، على النحو الآتي:

---

(١) البرص: داء معروف، وهو بياض يقع في الجسد. ينظر: الصحاح (٣/ ١٠٢٩)، لسان العرب (٧/ ٥) مادة ب ر ص. وطبيًّا يسمى أيضاً مُهَق، ويعرّف بأنه: اضطراب في الجلد، ينتج عنه انخفاض في صبغة الميلانين، وهي الصبغة المسؤولة عن إعطاء الشعر والجلد والعينين اللون الخاص بهما. ينظر: موسوعة الملك عبد الله بن عبد العزيز للمحتوى الصحي. https://kaahe.org/ar-sa/Pages/Disease/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8E%D9%87%D9%8E%D9%82-(%D8%A8%D8%B1%D8%B5).aspx

(٢) الجذام: أصله جذم وهو القطع، وهو داء تآكل الأعضاء وسقوطها عن تقرح، وإنما سمي به لتجذم الأصابع وتقطعها. ينظر: ابن فارس،" مقاييس اللغة (٤٣٩/١)، تاج العروس من جواهر القاموس (٣٨١/٣١) مادة (ج ذ م). وعرف الأطباء الجذام ويُسمّى بداء الأسد بأنه: مرض معدٍ ومزمن

- الصورة الأولى: مخالطة المشتبه به لغيره.
- الصورة الثانية: مخالطة الصحيح للمشتبه به.
- الصورة الثالثة: منع ولي الأمر المشتبه به من مخالطة الأصحاء. ويمكن أن تخرج هذه الصورة على ما ذكره الفقهاء في قاعدة " سلطة ولي الأمر منوط بالمصلحة".

أما عن الصورة الأولى والثانية: وهي مخالطة المشتبه به لغيره، ومخالطة الصحيح للمشتبه به، فإن أقوال الفقهاء في حكم مخالطة من به مرض معدٍ، على قولين:

القول الأول: يجب منع مخالطة ذوي الأمراض المعدية للأصحاء، وإليه ذهب الحنفية [١]، وبعض المالكية[٢]، والشافعية [٣]، والحنابلة [٤] .

ويتسبب به نوع من الكائنات الدقيقة تدعى جرثومة الجذام وهي من فئة البكتيريا العصوية. ينظر: موقع الجمعية السعودية لطب الأسرة والمجتمع. http://www.ssfcm.org/public/arabic/Content/index/secId/94//cntId/14240/page/1

(١) ينظر: غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر(٤/٥٩)، حاشية ابن عابدين رد المحتار على الدر المختار (٦/٣٦٤).

(٢) ينظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل(٢/١٨٤)، التاج والاكليل (٢/٥٥٦).

(٣) ينظر: النجم الوهاج في شرح المنهاج (٢/٣٤٣)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١/ ٤٧٦).

(٤) ينظر: كشاف القناع عن متن الإقناع (٦/ ١٢٦)، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (١/ ٦٩٩) .

القول الثاني: لا يجب منع ذوي الأمراض المعدية من مخالطة الأصحاء إلا في حالة الأذى الشديد، وإليه ذهب بعض المالكية[1].

الأدلة للصورة الأولى: (مخالطة المشتبه به لغيره):

استدل أصحاب القول الأول القائلون بوجوب منع مخالطة المرضى للأصحاء بأدلة من القرآن والسنة وفعل الصحابة والقواعد الشرعية.

أولاً: أدلتهم من القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ **الأحزاب: ٥٨.**

وجه الدلالة من الآية: حرمت الآية أذية المؤمنين والمؤمنات سواء بالقول أو الفعل[2]، ويدخل في ذلك المشتبه بإصابته بهذا المرض، ففي مخالطته لغيره ضرر، وأذية لغيره.

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية:

١- عن عمرو بن الشريد، عن أبيه ﷺ، قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي ﷺ: "إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ " [3].

---

(١) ينظر: الشرح الكبير للدردير وحاشية الدسوقي (١/ ٣٣٣)، حاشية الصاوي على الشرح الصغير(١/ ٤٤٥).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٤/ ٢٤٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه/كتاب السلام (١٧٥٢/٤) رقم ٢٢٣١.

وجه الدلالة من الحديث: دلّ الحديث على وجوب مباعدة المجذوم، وكل ذي عاهة، كما منع المجذوم في وفد بني ثقيف من دخول المدينة، ويمنع من المسجد والاختلاط بالناس[١]، ويدخل في ذلك من اشتبه بإصابته بهذا المرض.

٢- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لاَ يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ[٢] عَلَى مُصِحٍّ " [٣].

وجه الدلالة من الحديث: الممرض: ذو الماشية المريضة، والمصح: ذو الماشية الصحيحة. وفيه نهي للممرض أن يورد ماشيته المرضى على ماشية أخيه الصحيحة لئلا يتوهم المصح إن مرضت ماشيته الصحيحة أن مرضها حدث من أجل ورود المرضى عليها، فيكون داخلًا بتوهمه ذلك في تصحيح ما قد أبطله النبي عليه السلام من أمر العدوى. وكذلك الرجل يكون به المرض لا ينبغي له أن يرد على المصح، إلا أن لا يجد عنه غناء فيرد؛ دفعاً لحصول الضرر بفعل الله وقدره [٤]. وفي هذا دليل على أن الحجر قد يشمل الحيوانات أيضاً إذا أصيبت بالمرض المعدي.

ثالثاً: القواعد الشرعية:

---

(١) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٢٨).

(٢) الممرِض: الذي له إبل مرضى، فنهى أن يسقي إبله المرضى مع إبل المصح، وهو من صحت ماشيته من الأمراض. ينظر: النهاية (٤/ ٣١٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الطب / باب لا هامة (١٣٨/٧) رقم ٥٧٧٠، ومسلم في صحيحه/ كتاب السلام (٤/ ١٧٤٣) رقم ٢٢٢١.

(٤) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٥٠/٩)، الكواكب الدراري (٤٤/٢١).

جاءت القواعد الشرعية بمنع إلحاق الضرر بالغير، فلا ضرر ولا ضرار [١].

وفي العمل بالحجر الصحي لمن اشتبه بإصابته بفيروس كورونا امتثال لهذه القواعد الشرعية. ودليلها:

– عن عبادة بن الصامت ﷺ: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَضَى أَنْ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ[٢]"[٣].

وجه الدلالة: الحديث دلّ على تحريم الضرر بأنواعه [٤]، وهذا النهي عام لأنه نكرة في سياق النفي، ولا شكّ أن في العمل بالحجر الصحي، سدًّا لذريعة الإضرار بالآخرين.

الأدلة للصورة الثانية: (مخالطة الصحيح للمشتبه به):

---

(١) ينظر: الأشباه والنظائر/ للسبكي (١/ ٤١) ، الأشباه والنظائر/ للسيوطي صـ ٨٣.

(٢) الضرر: هو الإضرار بالآخرين، لمنفعة تعود على المضر، والضرار: هو الإضرار بالآخرين بدون منفعة تعود على فاعل الضرر. ينظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع (٣/ ٣٥). وفرق بعضهم بينهما، بأن الضرر: ما كان بدون قصد، والضرار: بقصد. ينظر: شرح الأربعين النووية/ للعثيمين صـ٣٥٣.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه/ باب من بنى في حقه ما يضر بجاره (٣/ ٤٣٠) رقم ٢٣٤٠. عن فضيل بن سليمان، عن موسى بن عقبة، عن إسحاق بن الوليد عن عبادة بن الصامت، وهذا إسناد ضعيف، لضعف الفضيل بن سليمان وجهالة حال إسحاق بن يحيى. ينظر: جامع العلوم والحكم (٢٠٨/٢)، لكن للحديث شواهد كثيرة يصح بها، منها: حديث أبي سعيد الخدري، عند الدار قطني (٥١/٤) رقم ٣٠٧٩، (٤٠٨/٥) رقم ٤٥٤١، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٥٨/٦) رقم ١١٨٧٧، (٢٢٥/١٠) رقم ٢٠٤٤٣. وقد صحح الحديث الحاكم في المستدرك، ينظر: المستدرك (٢/ ٦٦)، وقواه الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢٠٩/٢-٢١١).

(٤) ينظر: الأشباه والنظائر/ للسيوطي صـ ٨٣ ، الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان/ لابن نجيم صـ ٧٢.

أولاً: من القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ البقرة: ١٩٥.

وجه الدلالة من الآية: دلت الآية الكريمة على وجوب صون النفس وحمايتها من الوقوع في المهالك، وفي مخالطة المرضى للأصحاء دفع بالنفس إلى المهالك (١).

ثانياً: من السنة النبوية:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لَا عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ(٢)،وَلاَ هَامَةَ(٣)وَلاَ صَفَرَ(٤)، وَفِرَّ مِنَ المِجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ" (٥).

وجه الدلالة من الحديث: أمر النبي ﷺ المعافى بالفرار من المجذوم فراره من الأسد؛ لشدة ما قد يناله من أذى، والمشتبه بإصابته بكورونا أيضاً يدخل تحت هذا الأمر؛ لمنع الضرر، وحفظاً للأنفس من الهلاك. وفيه دلالة على منع كل ما يؤدي إلى العدوى بالأمراض السارية.

---

(١) ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢١/ ١٦)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ١٨٧).

(٢) الطِيرة بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن: هي التشاؤم بالشيء. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(٣/ ١٥٢).

(٣) هامّة: الهامة: الرأس، واسم طائر. وهو المراد في الحديث. وذلك أنهم كانوا يتشاءمون بها. وقيل: هي البومة. ينظر: النهاية (٥/ ٢٨٣).

(٤) صفر: كانت العرب تزعم أن في البطن حية يقال لها الصفر، تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، وأنها تعدي، فأبطل الإسلام ذلك. وقيل أراد به النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية، وهو تأخير المحرم إلى صفر، فأبطله. ينظر: النهاية (٣/٣٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الطب/ باب الجذام (٧/ ١٢٦) رقم ٥٧٠٧.

وهذا الحديث يبدو في ظاهره التعارض، فقوله عليه السلام فيه: (لا عدوى ولا طيرة....) ينفي العدوى، ثم قال عليه السلام: (وفر من المجذوم كما تفرّ من الأسد) فيه إثبات للعدوى!!! أيضاً قد يبدو تعارضه مع قوله: (لا يوردن ممرض على مصح) فيه إثبات للعدوى!!

وقد أفاض شرّاح الحديث في التوفيق بين هذه الأحاديث، فمنهم من رجّح بينها، ومنهم من جمع بينها، والجمع أولى لإمكانه، كما فعل الإمام ابن حجر- رحمه الله- في الفتح، حيث بيّن طرق الجمع بينها، ومما ذكره أن:

-نفي العدوى جملة وحمل الأمر بالفرار من المجذوم على رعاية خاطر المجذوم لأنه إذا رأى الصحيح البدن السليم من الآفة تعظم مصيبته وتزداد حسرته.

- حمل الخطاب بالنفي والإثبات على حالتين مختلفتين فحيث جاء لا عدوى كان المخاطب بذلك من قوي يقينه وصح توكله بحيث يستطيع أن يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى كما يستطيع أن يدفع التطير الذي يقع في نفس كل أحد لكن القوي اليقين لا يتأثر به وهذا مثل ما تدفع قوة الطبيعة العلة فتبطلها... وحيث جاء (فرّ من المجذوم) كان المخاطب بذلك من ضعف يقينه ولم يتمكن من تمام التوكل فلا يكون له قوة على دفع اعتقاد العدوى فأريد بذلك سد باب اعتقاد العدوى عنه بأن لا يباشر ما يكون سبباً لإثباتها.

- إثبات العدوى في الجذام ونحوه مخصوص من عموم نفي العدوى، فيكون معني قوله (لا عدوى) أي إلا من الجذام والبرص والجرب مثلًا، فكأنه قال: لا يعدي شيء شيئاً إلا ما تقدم أن فيه العدوى.

– أن الأمر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء بل هو لأمر طبيعي وهو انتقال الداء من جسد لجسد بواسطة الملامسة والمخالطة وشم الرائحة، ولذلك يقع في كثير من الأمراض في العادة انتقال الداء من المريض إلى الصحيح بكثرة المخالطة.

-أن المراد بنفي العدوى أن شيئاً لا يعدي بطبعه، نفياً لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضافة إلى الله، فأبطل النبي ﷺ اعتقادهم ذلك.

-العمل بنفي العدوى أصلًا ورأساً وحمل الأمر بالمجانبة على حسم المادة وسد الذريعة لئلا يحدث للمخالط شيء من ذلك فيظن أنه بسبب المخالطة فيثبت العدوى التي نفاها الشارع [1].

٢- عن أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الطَّاعُونُ[2] رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ

(١) ينظر: فتح الباري (١٠/١٦٠-١٦١)، القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٦٥، ٥٦٦).

(٢) الطاعون هو: "بثر – أي خرّاج- وورم مؤلم جداً يخرج مع لهب ويسود ما حوله أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان القلب والقيء" المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/١٠٥). وأطلق عليه بعضهم بأنه وباء؛ لأنه من أفراده، لكن ليس كل وباء طاعون. ينظر: فتح الباري (١٠/١٣٣)، وعرَّفه الأطباء بأنه: مرض معدٍ شديد الخطورة تسببه بكتيريا، وينتقل عن طريق البراغيث؛ حيث كان يعد من الأمراض الوبائية شديدة الانتشار، والذي أودى بحياة الملايين في السابق. موقع وزارة الصحة السعودية، تم الاسترجاع بتاريخ ١٤٤٠/٣/١٢هـ https://www.moh.gov.sa/HealthAwareness/EducationalContent/Diseases/Infectious/Pages/011.aspx

قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا، فِرَارًا مِنْهُ» (١).

وجه الدلالة من الحديث: في هذا الحديث بيان أن الله سلّط مرض الطاعون، على بني إسرائيل، وفيه منع الدخول للأرض التي انتشر فيها الطاعون؛ وقاية من الإصابة بالعدوى، ومنع الخروج منها إن وقع وهم فيها؛ محاصرة للوباء ومنع تفشيه وانتشاره في البلاد الأخرى، أما إن كان الخروج لعارض فلا بأس به. وهذا ما يُسمّى في عصرنا بالحجر الصحي، فمنع عليه السلام دخول الأصحاء إلى أرض الوباء، ومنع انتقال المصابين إلى الأرض السليمة؛ لتطويق المرض وحصره في نطاق محدود.

وفي هذا الحديث أيضاً الاحتراز من الأذى وأسبابه، وفيه التسليم لقضاء الله عند حلول الآفات (٢).

ثالثاً: فعل الصحابة رضوان الله عليهم:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ، أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي المهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب أحاديث الأنبياء/ باب حديث الغار (٤/ ١٧٥) رقم ٣٤٧٣، ومسلم في صحيحه /كتاب السلام (١٧٣٧/٤) رقم ٢٢١٨.

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧).

بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلاَ نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ المهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ - فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ (١).

وجه الدلالة: امتثال صحابة رسول الله ﷺ للخبر الذي وردهم عنه عليه السلام، حيث همّ عمر رضي الله عنه بمواصلة السير إلى أرض الوباء، بعد مشاورته للمهاجرين والأنصار، واختلافهم في الأمر، إلا أنه سرعان ما امتثل للخبر الوارد عن رسول الله ﷺ ، وأنكر عليه أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه العودة ، فقال له: "

(١) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الطب/ باب ما يذكر في الطاعون (١٣٠/٧) رقم ٥٧٢٩، ومسلم في صحيحه/ كتاب السلام (١٧٤٠/٤) رقم ٢٢١٩.

أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ.." (١).

وفي قرار عمر ﷺ في الرجوع عن أرض الوباء دليل على أخذه بالحذر والحزم، وطلب الأخذ بالأسباب التي فيها نجاة المرء من موارد الهلاك. وهو تطبيق عملي لما يسميه الأطباء اليوم بالحجر الصحي، بمنع الدخول لأرض الوباء، ومنع الخروج منها لمن هم فيها؛ تطويقاً للوباء ومنع انتشاره للبلاد الأخرى.

أدلة القول الثاني:

استدلّ أصحاب القول الثاني بأدلة من السنة المطهرة:

أدلتهم من السنة النبوية:

١- عن جابر ﷺ، أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أخذ بيد مجذوم فوضعها معه في القصعة، وقال: "كُلْ ثِقَةً بِاللَّهِ وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ" (٢).

---

(١) ينظر : المصادر السابقة.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه/كتاب الطب/ باب الجذام (٢/ ١١٧٢) رقم ٣٥٤٢، وأبو داود في سننه/كتاب الطب/ باب ما جاء في الطيرة (٦/ ٦٨) رقم ٣٩٢٥، والترمذي في سننه/كتاب الأطعمة/ باب ما جاء في الأكل مع المجذوم (٤/ ٢٦٦) رقم ١٨١٧. كلهم من طريق المفضل بن فضالة عن حبيب بن الشهيد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما-. قال ابن عدي في ترجمته في الكامل: " لم أر في حديثه أنكر من هذا الحديث الذي أمليتُه". الكامل في ضعفاء الرجال (٨/ ١٤٩) . وقال الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود: " إسناده ضعيف لضعف مفضل بن فضالة". ينظر: سنن أبي داود (٦/ ٦٩) وضعفه الألباني، ينظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود (٢/١) رقم ٣٩٢٥، صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ٣١٧) رقم ١٨١٧.

ونوقش من وجهين:

الأول: أن الحديث قد ضعفه علماء الحديث [١].

الثاني: وعلى فرض صحته، فيحمل على نفي ما كان سائداً في الجاهلية من أن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضافة إلى الله، فأبطل النبي –صلى الله عليه وسلم– اعتقادهم ذلك وأكل مع المجذوم، ليبين لهم أنّ الله هو الذي يمرض ويشفي، ونهاهم عن الدنو منه ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها، ففي نهيه إثبات الأسباب، وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل بالتأثير، بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئاً، وإن شاء أبقاها فأثرت. ويحتمل أن أكله صلى الله عليه وسلم مع المجذوم؛ لأنه كان به جذام يسير لا يعدي مثله في العادة [٢].

٢– عن أبي هريرة– رضي الله عنه–، قال: إن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: " لاَ عَدْوَى وَلاَ صَفَرَ وَلاَ هَامَةَ". فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا بَالُ إِبِلِي، تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ، فَيَأْتِي البَعِيرُ الأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيُجْرِبُهَا؟ فَقَالَ: "فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ؟" [٣].

---

(١) تقدّم كلام علماء الحديث في تضعيفه عند تخريجه.

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (٢٢٨/١٤)، فتح الباري (١٠ ١٦٠– ١٦١)، النجم الوهاج في شرح المنهاج (٧/ ٢٣٣)،

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب الطب/ باب لا صفر، وهو داء يأخذ البطن (٧/ ١٢٨) رقم ٥٧١٧، ومسلم في صحيحه/ كتاب السلام (١٧٤٢/٤) رقم ٢٢٢٠.

وجه الدلالة: دلّ الحديث على نفي العدوى، و إثبات تأثير الله تعالى، وإرادته في إحداث المرض[1].

ونوقش:

ليس في الحديث دلالة على جواز مخالطة المرضى، والنفي في الحديث محمول على ما كان سائداً في الجاهلية من أن الأمراض تعدي بطبعها؛ لأنه إذا وجدنا هذا الداء أولاً من غير عدوى في الأول، فبم يحكم في الثاني أنه من سبب الأول، ولم يكن للأول سبب إلا مشيئة الله وقدره [2].

سبب الاختلاف بين الفريقين:

ورود الأحاديث في العدوى، والتي يبدو في ظاهرها التعارض، فأحاديث تنفي العدوى، وأحاديث تأمر بالبعد عن ذوي الأمراض المعدية، وقد مرّ معنا كلام العلماء حول إمكانية الجمع بين الأحاديث، ودفع التعارض بينها.

الراجح من الأقوال:

بعد النظر في أدلة الفريقين، يترجّح لديّ القول الأول، القائل بوجوب بمنع مخالطة ذوي الأمراض المعدية، واعتبار أهمية الحجر الصحي لأمثال أولئك، ومن في حكمهم من المشتبه بهم؛ وذلك لقوة أدلتهم، وسلامتها من المناقشة، ولأن هذا القول يتفق مع مقاصد الشريعة في حفظ النفس، وكفّها عن الأذى.

---

(١) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢١٧).

(٢) ينظر: الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي (٩/ ٣٤٣)، إكمال المعلم بفوائد مسلم شرح صحيح مسلم (٧/ ١٤٤)، البيان في مذهب الإمام الشافعي (٩/ ٢٩٢)، النجم الوهاج (٧/ ٢٣٣).

الصورة الثالثة: منع ولي الأمر المشتبه به من مخالطة الأصحاء:

ويدخل هذا المنع تحت قاعدة: " تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة"[(١)]، إذ من مسؤوليات ولي الأمر حماية الناس، ورعاية مصالحهم، وحفظ النفس من أعظم مقاصد هذا الدين، ولهذا لهم أن يتخذوا ما يحقق المصلحة، ويدرأ المفسدة، وتكون أعمالهم وتصرفاتهم نافذة وملزمة في شؤون العامة والخاصة [(٢)]، ومن تلك الإجراءات وجوب الحجر على ذوي الأمراض المعدية، ومن في حكمهم من المشتبه بهم، ويتم الإنفاق عليهم من بيت المال[(٣)] إن احتاجوا، وفي الحجر عليهم ما يحقق هذا المقصد من حفظ النفس من الهلاك، ومحاصرة الوباء، ومنع انتشاره بإذن الله.

وفي ختام هذه المسألة، أودّ ذكر توصية الندوة الطبية الفقهية الثانية[(٤)]، بشأن الحجر الصحي لمن يشتبه بإصابته بهذا المرض، أو ظهور إحدى العلامات عليه: " أن عزل المريض المصاب بالفيروس واجب شرعاً كما هو معروف، وأما

---

(١) ينظر: المنثور في القواعد الفقهية (١/ ٣٠٩)، الأشباه والنظائر/ للسيوطي صـ ١٢١، الأشباه والنظائر/ لابن نجيم صـ ١٠٤.

(٢) ينظر: المدخل الفقهي العام (٢/١٠٥٠).

(٣) ينظر: البحر الرائق (٦/ ٣٨)، شرح التلقين (١٠٣٣/١)، البيان والتحصيل (٤١١/٩)، تحفة المحتاج (٢٧٦/٢)، مغني المحتاج (٥/ ٣٩٥)، الطرق الحكمية صـ٢٤٣، مطالب أولي النهى (٢٢٥/٦).

(٤) ينظر: توصيات الندوة الطبية الفقهية الثانية لهذا العام بعنوان: " فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩) وما يتعلق به من معالجات طبية وأحكام شرعية". نظمها مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي -عن بعد - ٢/شعبان /١٤٤١هـ https://www.spa.gov.sa/2047028.

بخصوص المشتبه بحمله للفيروس أو ظهرت عليه أعراض المرض في أثناء الحجر المنزلي فيجب عليه التقيد بما يسمى بالتباعد الاجتماعي عن أسرته والمخالطين له من عامة الناس، وكذلك لا يجوز لمن ظهرت عليه أعراض المرض أن يخفي ذلك عن السلطات الطبية المختصة وكذلك عن المخالطين له، كما ينبغي على من يعرف مصاباً غير آبه بالمرض أن يعلم الجهات الصحية عنه؛ لأن ذلك يؤدي إلى انتشار هذا المرض واستفحال خطره، وعليه تنفيذ كل ما يصدر عن السلطات الطبية المختصة، ولها أن تعزر من أصيب بهذا المرض وأخفاه، قال الله تعالى ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ سورة البقرة، ١٩٥، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ سورة النساء: ٢٩..."

المطلب الثالث: الحجر الصحي وعلاقته بحفظ الضروريات الخمس.

خلق الله الإنسان، وجعله في أحسن تقويم، وكرمه أكمل تكريم، وميزه على غيره من المخلوقات بالعلم والبيان والعقل والتفكير، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء: ٧٠ . ومنح هذا التكريم لكل بني الإنسان، بغض النظر عن لونه أو جنسه، أو دينه.

ومع انتشار الأوبئة على مرّ العصور، لا سيما في عصرنا الحاضر حيث انتشر فيروس كورونا، شرع لنا الإسلام ما يسمى بالحجر الصحي، وتكمن أهميته في الحفاظ على الضروريات الخمس[1] التي اتفقت سائر الملل على المحافظة عليها، وهي :

١- حفظ الدين.

٢- حفظ النفس

٣- حفظ العقل

٤- حفظ النسل

٥- حفظ المال

ولقد تكفل التشريع الإسلامي بحفظ هذه الكليات الخمس من جانبين أساسيين، أحدهما: حفظها من جانب الوجود، والثاني: حفظها من جانب العدم. أما حفظها من جانب الوجود، فيقصد به: توفير كل ما يقيم أركانها،

(١) ينظر: الموافقات (١/ ٣١).

ويثبت قواعدها. وأما حفظها من جانب العدم، فمعناه: درء الاختلال الواقع أو المتوقع فيها [١].

فالدين محفوظ بشرع الزواجر عن الردة والمقاتلة مع أهل الحرب، والنفس محفوظة بشرع القصاص، والعقل محفوظ بتحريم المسكر، والنسل محفوظ بشرع الزواجر عن الزنا، والمال محفوظ بشرع الضمانات والحدود [٢].

وكل ما جاء به الشرع من أحكام هي تدابير وقائية لحفظ هذه الكليات الخمس، والحجر الصحي أحد هذه التدابير الوقائية التي سبق بها الإسلام الأنظمة الطبية في تشريعه له تحت ما أسموه بالطب الوقائي [٣]، ووضعه المبادئ الأساسية له. وفي تطبيق الحجر الصحي، والالتزام به، حفظ لنفس المحجور عليه (المشتبه به)، وحفظ لأنفس الجميع، أفراداً وجماعات.

ولأهمية الاحتراز والتوقي، أمر الله عباده بأخذ الحيطة والحذر وذلك في موضعين من سورة النساء، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ النساء: ٧١. **وقَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ ﴾ النساء : ١٠٢.

---

(١) ينظر: المصدر السابق (٢/ ١٧-١٨).

(٢) ينظر: المحصول (٥/ ١٦٠)، الموافقات (٢/ ١٩)، البحر المحيط (٧/ ٢٦٦)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (٢/ ١٢٩).

(٣) الطب الوقائي: "هو علم المحافظة على الفرد والمجتمع في أحسن حالاته الصحية، ويقوم الطب الوقائي لتحقيق هذا الهدف على مجموعة من التعاليم والإرشادات والإجراءات لوقاية الإنسان من الأمراض السارية والوافدة قبل وقوعها، ومنع انتشار العدوى إذا وقعت، وللمحافظة على عمر الإنسان بتحسين ظروف معيشته، ومنع الحوادث، وأسباب التوتر العصبي. ينظر: الطب الوقائي في الإسلام صـ ١١.

وعنون ابن القيم- رحمه الله- في كتابه زاد المعاد بفصل " هديه ﷺ في التحرز من الأدواء المعدية بطبعها، وإرشاده الأصحاء إلى مجانبة أهلها"[١]، تحدث فيها عن أحاديث العدوى، وكيفية التوفيق بينها، وأنواع العدوى: عدوى الجذام، وعدوى الطاعون...الخ ما ذكرناه في المبحث السابق.

فكلا الجانبين - الحفظ من جهتي الوجود و العدم- قد بينهما الإسلام قبل عدة قرون، فشرع التحرز من المرض قبل وقوعه، وشرع التداوي من المرض بعد الوقوع. يقول الإمام الشاطبي: " فمن ذلك الإذن في دفع ألم الجوع والعطش، والحر والبرد، وفي التداوي عند وقوع الأمراض، وفي التوقي من كل مؤذ آدميًا كان أو غيره، والتحرز من المتوقعات حتى يقدم العدة لها، وهكذا سائر ما يقوم به عيشه في هذه الدار من درء المفاسد وجلب المصالح..." [٢].

(١) زاد المعاد (٤/ ١٣٤).

(٢) الموافقات (٢/ ٢٦١).

المبحث الثاني: الأحكام الفقهية المتعلقة بالمحجور عليه المشتبه بإصابته.

المسألة الأولى: حكم تخلف المحجور عليه المشتبه بإصابته عن صلاة الجمعة والجماعة:

صلاة الجماعة في المساجد شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام، ولعظم الصلاة فيها رتّب الله عليها أجوراً عظيمة، من ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: " صَلاَةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً " (١)، وفي رواية: " صَلاَةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الفَذِّ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً" (٢).

ولأهميتها يقول الفقهاء: الصلاة في الجماعة شعار الإسلام، ولو تركها أهل مصر قوتلوا، وأهل حارة جبروا عليها وأكرهوا (٣).

أما عن حكم أداء صلاة الجماعة في المسجد، فد اختلف أهل العلم على عدة أقوال، أشهرها ثلاثة:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب الآذان/ باب فضل صلاة الجماعة (١٣١/١) قم ٦٤٥، ومسلم في صحيحه/كتاب المساجد (٤٥٠/١) رقم ٦٥٠.

(٢) حديث أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري /كتاب الآذان/ باب فضل صلاة الجماعة (١٣١/١) رقم ٦٤٦، ومسلم في صحيحه/كتاب المساجد (٤٥٠/١) رقم ٦٤٩.

(٣) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١/ ١٥٥)، التاج والإكليل لمختصر خليل (٢/ ٣٩٦).

القول الأول: صلاة الجماعة سنة مؤكدة، وإليه ذهب الحنفية[١]، والمالكية[٢]، ووجه عند الشافعية [٣].

القول الثاني: صلاة الجماعة فرض كفاية، وإليه ذهب الشافعية ، في الأصح المنصوص[٤].

القول الثالث: صلاة الجماعة فرض عين على الأعيان، وهو الصحيح من مذهب الإمام أحمد- رحمه الله- [٥].

وأما صلاة الجمعة فهي فرض عين يكفر جاحدها؛ لثبوتها بالدليل القطعي[٦]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ الجمعة: ٩. وكان من هديه ﷺ تعظيم يوم الجمعة، وتشريفه، وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره [٧].

ومع انتشار هذا الوباء، والحاجة إلى الحجر الصحي لبعض الناس، فهل يُعذر هؤلاء -المشتبه بحملهم للفيروس- بتخلفهم عن هاتين الشعيرتين العظيمتين من شعائر الإسلام؟.

---

(١) ينظر: اللباب (٢٥٢/١)، الاختيار لتعليل المختار (٥٧/١)، البناية شرح الهداية (٣٢٤/٢).

(٢) ينظر: التاج والإكليل (٣٩٥/٢)، مواهب الجليل (٨١/٢)، شرح مختصر خليل للخرشي (١٧/٢).

(٣) ينظر: التنبيه في الفقه الشافعي صـ٣٧، البيان (٣٦١/٢/١)، المجموع (١٨٤/٤).

(٤) ينظر: المجموع (٤/ ١٨٤)، روضة الطالبين (١/ ٣٩٩)، مغني المحتاج (٤٦٥/١).

(٥) ينظر: المغني (١٣٠/٢)، الفروع (٤١٧/٢)، الإنصاف (٢١٠/٢).

(٦) ينظر: الإجماع صـ ٤٠، بدائع الصنائع (١/ ٢٥٦)، الذخيرة (٣٢٩/٢)، المغني (٢/ ٢١٨)، المجموع (٤٨٣/٤)،

(٧) ينظر: زاد المعاد (١/ ٣٦٣).

صورة المسألة: ثبت طبيًّا خطورة وباء كورونا المستجد، وإمكانية نقل العدوى من الشخص المصاب إلى غيره، عن طريق الملامسة، أو عن طريق الرذاذ الخارج من العطاس أو الكحة أو غيرها. فما حكم ما يترتب عليه الحجر الصحي لهؤلاء من تخلفهم عن صلاة الجمعة والجماعة؟.

اختلف أهل العلم في اعتبار العدوى مانعة من حضور الجمعة والجماعة، على ثلاثة أقوال:

القول الأول: يمنع من به مرض معدٍ من إتيان الصلاة، وحضور الجمعة والجماعة، وإليه ذهب الحنفية [١]، وبعض المالكية [٢]، وهو مذهب الشافعية [٣]، والحنابلة [٤].

القول الثاني: لا يمنع المريض بمرض معدٍ من إتيان المسجد، وحضور الجمعة والجماعة، وهو قول عند المالكية[٥]، وإليه ذهب الظاهرية [٦].

---

(١) ينظر: غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر (٤/٥٩)،حاشية ابن عابدين (١/ ٦٦١)،

(٢) ينظر: البيان والتحصيل (٩/ ٤١١)، مواهب الجليل (٢/١٨٤)، التاج والإكليل(٢/ ٥٥٦). من المالكية من صّرح بوجوب منعهم من حضور الجماعة. ينظر: البيان والتحصيل (١/ ٤١١)، شرح التلقين (١/١٠٣٣).

(٣) ينظر: النجم الوهاج (٢/٣٤٣)، مغني المحتاج (١/ ٤٧٦)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (٢/ ١٦٠).

(٤) ينظر: كشاف القناع (١/ ٤٩٨)، مطالب أولي النُهى (١/ ٦٩٩).

(٥) ينظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (١/ ٣٨٩)، منح الجليل شرح مختصر خليل (١/ ٤٥٠).

(٦) ينظر: المحلى بالآثار(٣/ ١١٨).

القول الثالث: أن من به مرض معدٍ كالجذام ونحوه إذا لم يجدوا موضعاً يتميزون فيه عن الناس، فإن صلاة الجمعة تسقط عنهم، وإن وجدوا وجبت عليهم ومنعت المخالطة، وينسب هذا القول للمالكية [1].

الأدلة:

استدل أصحاب القول الأول: بأدلة متنوعة من الكتاب والسنة وفعل الصحابة رضي الله عنهم والقواعد الشرعية، وكلها توجب مراعاة حفظ النفس، وبقائها سليمة من الأمراض الخطيرة، منها:

-الدليل الأول: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ الأحزاب: ٥٨. وفيها دلالة على تحريم أذية المسلمين، فكيف بأذيتهم في بيوت الله، ولا شك أن في خروج المشتبه بحمله للفيروس للصلاة، ضرر على غيره بنقل العدوى لهم . قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: " فمن آذى مؤمنًا حيًّا أو ميتًا بغير ذنب يوجب ذلك، فقد دخل في هذه الآية"[2].

-الدليل الثاني: الأحاديث الدالة على منع مخالطة المريض بمرض معدٍ، كحديث أبي هريرة ﷺ وفيه قوله ﷺ: " وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ"

---

(١) ينظر: شرح التلقين (١/ ١٠٣٣)، مواهب الجليل (٢/ ١٨٤)، شرح مختصر الخرشي (٢/ ٩١)، حاشية الدسوقي (١/ ٣٨٩).

(٢) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٥/ ١٣٥).

‘وقوله ﷺ للمجذوم في وفد ثقيف: "إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِع " ، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لاَ يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ " (١).

وجه الدلالة: أن هذه الأحاديث أمرت بالبعد والمجانبة لأصحاب الأمراض المعدية، وفي خروج أمثال هؤلاء المشتبه بحملهم للفيروس مخالفة صريحة لهذه الأحاديث، وتعريض المصلين للأذى.

–الدليل الثالث: عن ابن أبي مليكة، أن عمر بن الخطاب مرّ بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت، فقال لها: " يَا أَمَةَ اللَّهِ، لَا تُؤْذِي النَّاسَ. لَوْ جَلَسْتِ فِي بَيْتِكِ". فَجَلَسَتْ. فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ. فَقَالَ لَهَا: إِنَّ الَّذِي كَانَ قَدْ نَهَاكِ قَدْ مَاتَ، فَاخْرُجِي. فَقَالَتْ: "مَا كُنْتُ لِأُطِيعَهُ حَيًّا وَأَعْصِيَهُ مَيِّتًا" (٢).

وجه الدلالة منه: منع عمر رضي الله عنه للمرأة المجذومة من الطواف مع الناس، فيه دلالة على أخذه بالتدابير اللازمة؛ حتى لا تخالط الناس، وتتسبب في إيذائهم بنقل العدوى إليهم.

–الدليل الرابع: وعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه أن عمر خرج إلى الشام، فلما كان بسرغ، بلغه أن الوباء قد وقع بالشام – فأخبره عبد الرحمن بن عوف: أن

---

(١) سبق تخريجه هذه الأحاديث، وبيان وجه الدلالة منها. ينظر: صـــــ٢٤، ٢١.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ/ باب جامع الحج (١/ ٤٢٤) رقم ٢٥٠، وعبد الرزاق في مصنفه/ باب الطواف أفضل أم الصلاة وطواف المجذوم (٧١/٥) رقم ٩٠٣١. وفي سنده انقطاع فإن عبد الله بن أبي ملكية لم يدرك عمر بن الخطاب– رضي الله عنه–. ينظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول (٣/ ٢١٥) رقم ١٥٠١.

رسول الله ﷺ قال: "إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ " (١).

وجه الدلالة: أن نهيه ﷺ عن الدخول إلى البلد الموبوء، أو الخروج منه فيه محاصرة لانتشار الوباء(٢)، وهذا ما أثبته الطب وأطلق عليه الحجر الصحي، فكيف نجيز بعد ذلك للمشتبه بحملهم للفيروس شهودهم الصلاة مع جماعة المصلين!! أليس في ذلك ضرر بيّن في أذاهم والتسبب بنقل العدوى لهم؟.

–الدليل الخامس: استدلوا بالقياس على النهي عن دخول المسجد وشهود الصلاة لمن أكل ثوماً أو بصلاً ونحوهما، مما تتأذى منها الملائكة أو بنو الإنسان، لعلة حصول الأذى، لحديث جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– أن النبي ﷺ قال : " مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ ١٧عبد السلام: " لا يخفى على عاقل قبل ورود الشرع أن تحصيل المصالح المحضة، ودرء المفاسد المحضة عن نفس الإنسان وعن غيره محمود حسن، وأن تقديم أرجح المصالح فأرجحها محمود حسن، وأن درء أفسد المفاسد فأفسدها محمود حسن...

وكذلك الأطباء يدفعون أعظم المرضين بالتزام بقاء أدناهما، ويجلبون أعلى السلامتين والصحتين ولا يبالون بفوات أدناهما، ويتوقفون عند الحيرة في التساوي والتفاوت؛ فإن الطب كالشرع وضع لجلب مصالح السلامة والعافية، ولدرء مفاسد المعاطب والأسقام، ولدرء ما أمكن درؤه من ذلك، ولجلب ما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من طريق مالك عن ابن شهاب عن عبد الله بن عامر/ كتاب الطب/ باب ما يذكر في الطاعون (١٣٠/٧) رقم ٥٧٣٠، ومسلم في صحيحه/ كتاب السلام (١٧٤٠/٤) رقم ٢٢١٩.

(٢) ينظر: العدوى بين الطب وحديث المصطفى ﷺ"، صـ١٠٠.

أمكن جلبه من ذلك. فإن تعذر درء الجميع أو جلب الجميع فإن تساوت الرتب تخير، وإن تفاوتت استعمل الترجيح عند عرفانه، والتوقف عند الجهل به. والذي وضع الشرع هو الذي وضع الطب، فإن كل واحد منهما موضوع لجلب مصالح ودرء مفاسدهم" (١).

-الدليل التاسع: أصدرت هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية قرارها رقم (٢٤٦) في ١٤٤١/٧/١٦هـ، بخصوص الرخصة في عدم شهود الجمعة والجماعة في حال انتشار الوباء، أو الخوف من انتشاره، مستندين في ذلك على ما تقدم من أدلة وجوب حفظ النفس، ودفع الضرر. (٢).

استدلّ أصحاب القول الثاني بأدلة منها:

الدليل الأول: إن من الأعذار التي تبيح التخلف عن الجمعة المرض الذي يشق معه الإتيان إليها، أو علة لا يمكنه اللبث معها في الجامع حتى تنقضي الجمعة، أو كان مقعدًا، ولا يجد مركوبًا، أو أعمى ولا يجد قائدًا ولا يهتدي للوصول

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ٥-٦).

(٢) ينظر: قرار هيئة كبار العلماء بشأن الرخصة في عدم شهود الجمعة والجماعة فترة انتشار وباء كورونا https://www.spa.gov.sa/2047028

وينظر: توصيات الندوة الطبية الفقهية الثانية لهذا العام بعنوان: " فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩) وما يتعلق به من معالجات طبية وأحكام شرعية". نظمها مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي -عن بعد -٢/شعبان /١٤٤١هـ https://www.spa.gov.sa/2047028.

بانفراده...ولوكان الجذام يدخل في تلك الأعذار لبينه الرسول ﷺ، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ مريم: ٦٤ (١).

ونوقش بأنه: لا يُسلم لكم أن الرسول ﷺ لم يبين لصحابته خطورة مخالطة المجذوم، بدليل ما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: " وفر من المجذوم فرارك من الأسد"(٢)، كما أنه ﷺ كان ينهى أمته عن كل ما فيه ضرر بأي وجه كان، ويدلهم على كل ما فيه خير، وقد ذكر بعض أهل الطب أن الروائح تحدث في الأبدان خللًا فكان هذا وجه الأمر بالمجانبة (٣).

الدليل الثاني: عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أخذ بيد مجذوم فوضعها معه في القصعة، وقال: "كُلْ ثِقَةً بِاللَّهِ وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ" (٤).

ونوقش من وجهين:

الأول: الحديث قد ضعفه علماء الحديث.

الثاني: وعلى فرض صحته، فيحمل أخذ النبي ﷺ بيد المجذوم ووضعها في القصعة على إثبات التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه (٥)، وأن الأمراض لا تعدي بطبعها كما كان يظن العرب في جاهليتهم، إلا بعد أن يشاء

---

(١) ينظر: المحلى(٣/ ١٢١)، التاج والإكليل (٢/ ٥٥٦).

(٢) سبق تخريجه صـ٢٤.

(٣) ينظر: فتح الباري (١٠/ ١٦٢).

(٤) سبق تخريجه، وبيان كلام العلماء فيه، ينظر: صـ٢٩.

(٥) ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٠/ ٣٠٠)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٥/ ١٩٩).

الله، ويحتمل أيضاً أن يكون أكله صلى الله عليه وسلم مع المجذوم أنه كان به أمر يسير لا يعدي مثله في العادة [١].

الدليل الثالث: استدلوا بالأثر الذي رواه ابن أبي مليكة، أن عمر بن الخطاب مرّ بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت، فقال لها: " يَا أَمَةَ اللَّهِ. لَا تُؤْذِي النَّاسَ. لَوْ جَلَسْتِ فِي بَيْتِكِ". فَجَلَسَتْ. فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ. فَقَالَ لَهَا: إِنَّ الَّذِي كَانَ قَدْ نَهَاكِ قَدْ مَاتَ، فَاخْرُجِي. فَقَالَتْ: " مَا كُنْتُ لِأُطِيعَهُ حَيًّا وَأَعْصِيَهُ مَيِّتًا" [٢].

وجه الدلالة: أن عمر بن الخطاب ﷺ لم يزجرها ولم يعزم عليها بالجلوس في بيتها، وعدم إيذائها للناس بالطواف بالبيت، وإنما خاطبها على سبيل النصح والرفق.

ونوقش: بأن قول عمر للمرأة لو جلست في بيتك بعد أن أخبرها أنها تؤذي الناس، فإن ذلك منه لأسباب منها:

١- أن كلام عمر ﷺ لها كان من باب لين القول، والرحمة بها للبلاء الذي نزل بها، والرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عرض عليها بالرفق ما هو أرفق بها فأطاعته حيًّا وميتاً [٣].

---

(١) ينظر: الذخيرة (١٣/٢٥٦)، النجم الوهاج (٧/ ٢٣٣)، فتح الباري (١٠/ ١٦٠- ١٦١).

(٢) سبق تخريجه صـ٢٩.

(٣) ينظر: الاستذكار (٤/ ٤٠٧)، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك(٢/ ٦٠٢).

٢- أنه ﷺ لم يزجرها ولم ينهها، وإنما أشار إليها إشارة كانت منها مقبولة، ولعله لم تخطئ فراسته فيها فأطاعته حيًّا وميتاً [١].

واستدلّ أصحاب القول الثالث على سقوطها عنهم، بأدلة منها:

- أن منعهم من حضور الصلوات إذا لم يجدوا موضعًا يتميزون فيه أولى من حمل الناس على التأذي.

أيضاً فإن حق الخلق مبني على المشاحة وحق الله تعالى مبني على المسامحة.

أما إن وجدوا موضعاً بحيث لا يلحق ضررهم بالناس، عندئذ وجبت عليهم الجمعة لإمكان الجمع بين حق الله وحق الناس(٢).

الترجيح بين الأقوال:

لما كان الخوف من وباء كورونا المستجد متحققاً انتقاله بالملامسة والمخالطة، أو يغلب على الظن حصوله بالخروج للصلاة، فإن الراجح من الأقوال، هو القول الأول- لقوة أدلتهم- وهو أن أصحاب الأمراض المعدية، والمشتبه بإصابتهم يعذرون بتخلفهم عن حضور الجمعة والجماعة، حفاظاً على أرواح الآخرين. وهذا الرأي يتنزل حتى مع القول بفرضية الصلاة على الأعيان؛ لما سبق من الأدلة. والله أعلم.

---

(١) ينظر: الاستذكار (٤/ ٤٠٧).

(٢) ينظر: شرح التلقين (١/ ١٠٣٣)، مواهب الجليل (٢/ ١٨٤)، شرح مختصر الخرشي (٩١/٢)، حاشية الدسوقي (١/ ٣٨٩).

المسألة الثانية: حكم حضور المحجور عليه المشتبه بإصابته لصلاة الجمعة والجماعة

أولاً: صورة المسألة:

في حال خروج المشتبه بإصابتهم لشهود الجمعة والجماعة مع أخذهم بكافة التدابير الوقائية كلبسهم للكمام، واصطحابهم للسجاد الخاص بهم، فهل يمنعون من الصلاة ؟.

هذه المسألة يمكن أن تخرّج أيضاً على ما ذكره الفقهاء في حكم مخالطة الأصحاء لمن به مرض معدٍ وقد اختلفوا فيها على ثلاثة أقوال: [١]

القول الأول: يمنع من به مرض معدٍ من إتيان الصلاة، وحضور الجمعة والجماعة، وإليه ذهب الحنفية [٢]، وبعض المالكية [٣]، وهو مذهب الشافعية [٤]، والحنابلة [٥].

---

(١) تقدم ذكر هذه الأقوال بأدلتها في المسألة السابقة صـ٣٨- ٤٥.

(٢) ينظر: غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر (٤/٥٩)،حاشية ابن عابدين (١/ ٦٦١).

(٣) ينظر: البيان والتحصيل (٩/ ٤١١)، مواهب الجليل (٢/١٨٤)، التاج والإكليل(٢/ ٥٥٦). من المالكية من صّرح بوجوب منعهم من حضور الجماعة. ينظر: البيان والتحصيل (١/ ٤١١)، شرح التلقين (١/١٠٣٣).

(٤) ينظر: النجم الوهاج (٢/٣٤٣)، مغني المحتاج (١/ ٤٧٦)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (٢/ ١٦٠).

(٥) ينظر: كشاف القناع (١/ ٤٩٨)، مطالب أولي النُهى (١/ ٦٩٩).

القول الثاني: لا يمنع المريض بمرض معدٍ من إتيان المسجد، وحضور الجمعة والجماعة، وهو قول عند المالكية[١]، وإليه ذهب الظاهرية [٢].

القول الثالث: أن من به مرض معدٍ كالجذام ونحوه إذا لم يجدوا موضعاً يتميزون فيه عن الناس، فإن صلاة الجمعة تسقط عنهم، وإن وجدوا وجبت عليهم ومنعت المخالطة، وينسب هذا القول للمالكية [٣].

الراجح من الأقوال:

عند النظر إلى الأقوال الثلاثة الواردة في المسألة، يتبين لنا أن الحكم عند التحقيق يدور مع علته، وهي حفظ النفس البشرية والمنع من أذية المسلمين، وفي الرأي الأول تحقيق لهذا المقصد الشرعي؛ ففي منع المصابين بهذا الوباء أو المشتبه بإصابتهم به، حفظ لسلامة الآخرين، والنأي بهم عن مواطن الأذى، لا سيما جماعة المصلين في المساجد، وهذا يتوقف على مدى انتشار الوباء واستفحاله، فكلما زادت أعداد الإصابة به، زادت الحاجة لحجر هؤلاء والمشتبه بهم، تحقيقاً لمقصد الشريعة في تقديم حق حفظ النفس من الأذى. قال ابن حجر الهيتمي: " سبب المنع في نحو المجذوم خشية ضرره، وحينئذ فيكون المنع واجباً فيه؛... لما في ذلك من المصالح العامة، وأن المدار في المنع على الاختلاط

---

(١) ينظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (١/ ٣٨٩)، منح الجليل شرح مختصر خليل (١/٤٥٠).

(٢) ينظر: المحلى بالآثار(٣/ ١١٨).

(٣) ينظر: شرح التلقين (١/ ١٠٣٣)، مواهب الجليل (٢/ ١٨٤)، شرح مختصر الخرشي (٢/ ٩١)، حاشية الدسوقي (١/ ٣٨٩).

بالناس، فلا منع من دخول مسجد، وحضور جمعة أو جماعة لا اختلاط فيه بهم." [1].

ومع حرص الجهات المعنية على الالتزام بالتدابير الوقائية، إلا أننا نجد تهاوناً من البعض بعدم أهمية تلك الاحترازات، وهذا ما يدفعهم إلى تركها أحياناً، وهنا يأتي دور سلطة ولي الأمر في منع المصابين، والمشتبه بإصابتهم من حضور المساجد؛ لأن الشريعة جاءت بالنهي عن أذية المسلمين، أو التسبب في أذاهم، ولما تقرر من قواعد الشرع ومقاصده بتقديم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، وأن درء المفسدة أولى من جلب المصلحة، لا سيما وقت انتشار الأوباء المعدية، كوباء كورونا، والنفس بطبيعتها تنفر ممن أُصيب بذلك، أو اشتبه بحمله للفيروس، جاء في مطالب أولي النهى: " وعلى ولي أمر منعه، أي: المجذوم من مخالطة الأصحاء، لحديث «فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ فِرَارَك مِنْ الْأَسَدِ» [2]"[3].

(١) الفتاوى الفقهية الكبرى (٢١٢/١).

(٢) سبق تخرجه صـ٢٤.

(٣) مطالب أولي النهى/ للرحيباني (٦٩٩/١).

المطلب الثاني: حكم معاشرة المحجور عليه المشتبه بإصابته لزوجته

تمهيد:

للنكاح مقاصد عظيمة، وفوائد جمّة، حثّ عليه الشرع، إلا أنه ومع انتشار فيروس كورونا المستجد، وجب اتخاذ كافة الإجراءات، والاحترازات في سبيل محاصرة هذا المرض، ومن هذه الإجراءات الحجر الصحي للمشتبه بإصابته بهذا الفيروس، وذلك لفترة معينة حددها الأطباء؛ حتى تتبين إصابته بالمرض من عدمه، وبعدها تعود الحياة لطبيعتها، وتنعم الأسرة بالأمن والاستقرار. لذا فإني سأتناول حكم العشرة بين الزوجين، فترة انتشار الفيروس.

إن من سبل الحفاظ على الحياة الزوجية حسن العشرة بين الزوجين[1]، فعلى كل من الزوجين أن يؤدي إلى الآخر حقوقه، بطيب نفس وانشراح صدر؛ فإن للمرأة على الرجل حقًّا في ماله، وهو الصداق والنفقة بالمعروف، وحقًّا في بدنه، وهو العشرة والمتعة [2] . قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ النساء: ١٩، أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم كما تحب ذلك منها، بالمعروف[3] ،

---

(١) العِشرة لغة: اسم من المعاشرة والتعاشر، وهي المخالطة، والعشير: الصديق والقريب، وعشير المرأة: زوجها؛ لأنه يعاشرها وتعاشره. ينظر: الصحاح (٢/ ٧٤٧)، لسان العرب (٤/ ٥٧٤) مادة (ع ش ر).

العِشرة اصطلاحًا: " ما يكون بين الزوجين من الألفة والانضمام" كشاف القناع (٥/ ١٨٤)، مطالب أولي النهى(٥/ ٢٥٤).

(٢) ينظر: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية صـ ١٢٣.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٢١) .

إذا المعاشرة بالمعروف حق لكل منهما على الآخر، قال تعالى:﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ البقرة: ٢٢٨.

حكم العشرة بالمعروف: اختلف الفقهاء في حكمها على قولين:

- ذهب الحنفية[١] والحنابلة[٢] إلى أن العشرة بالمعروف بين الزوجين مندوبة.
- وذهب المالكية[٣] إلى وجوب العشرة بالمعروف ديانة لا قضاء.

والسؤال: هل يبقى حق التمتع والمعاشرة بين الزوجين على حاله؟؟ مع اشتباه إصابة أحد الزوجين بفيروس كورونا المستجد؟

أولاً: الرأي الطبي في المسألة[٤]:

أثبتت الدراسات الطبية ضرورة بقاء المشتبه بإصابته في الحجر الصحي، مع التزامه بكافة متطلبات الحجر، ومنها بقائه بعيداً عن أسرته وعدم مخالطتهم، لمدة أربعة عشر يوماً.

كما أثبتت انتقال الفيروس بطريق مباشر عن طريق الرذاذ المتطاير من المصاب أو المشتبه به عند الكحة أو العطاس، وبطريق غير مباشر عند لمس الأسطح والأدوات الملوثة، ومن ثم لمس الفم أو الأنف أو العينين[٥].

---

(١) ينظر: بدائع الصنائع (٢/ ٣٣٤).

(٢) ينظر: المغني (٧/ ٢٩٣).

(٣) ينظر: المقدمات الممهدات (١/ ٥٥٣).

(٤) سبب تقديم الرأي الطبي؛ لأن الرأي الفقهي مبني عليه.

(٥) ينظر: موقع وزارة الصحة السعودية https://www.moh.gov.sa/awarenessplateform/VariousTopics/PublishingImages/%D8%B7%D8%B1%D9%82%20%D8%

و نشرت منظمة الصحة العالمية توصيات خاصة بمن يخضع للحجر الصحي[1]، أكدت فيها على:

١- أهمية التباعد الجسدي بمسافة لا تقل عن مترين للحالات المشتبه بإصابتها بالفيروس، مع ضرورة ارتداء الكمامات الطبية.

٢- توفير أماكن مخصصة لهم، بعيداً عن محيط الأسرة.

٣- توفير كافة الأدوات اللازمة لهم، وعدم مشاركة غيرهم فيها.

٤- التزامه بآداب العطاس والكحة، حتى لا ينتشر الرذاذ في الهواء.

ثانياً: الرأي الفقهي:

لما كان الاشتباه يوجب الحجر، والتباعد، والمعاشرة تقتضي القرب، والملامسة، فإن الاشتباه في إصابة أحد الزوجين بالفيروس، يحول دون المعاشرة بينهما خلال الفترة الزمنية التي حددها الأطباء. سواء أكانت هذه المعاشرة في الفرج، أم فيما دون الفرج. وقاية من انتشار هذا الفيروس.

وحيث إن هذا الفيروس من أسرع الفيروسات انتقالًا، وأكثرها خطورة، فإنّ على المصاب -ويقاس عليه المشتبه به- من الزوجين الابتعاد عن معاشرة الآخر، فإذا طلب المشتبه به من المعافى المعاشرة، وجب على المعافى منهما،

A7%D9%86%D8%AA%D9%82%D8%A7%D9%84%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D9%88%D9%89-01.png

(١) ينظر: منشور على موقع منظمة الصحة العالمية https://apps.who.int/iris/bitstream/handle/10665/333901/WHO-2019-nCoV-IHR_Quarantine-2020.3-ara.pdf

الامتناع عن ذلك، ولا تعدّ الزوجة المتعافية ناشزاً[1]، ولا الزوج المعافى لا يعدّ موليًّا لو امتنع؛ للاشتباه بحمله للمرض.

والأدلة على منع إلحاق الضرر كثيرة، منها:

الدليل الأول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ الأحزاب: ٥٨.

وجه الدلالة: فيه تهديد ووعيد لمن يؤذي غيره، وفي معاشرة أحد الزوجين للآخر مع احتمال إصابته بالفيروس إلحاق للأذى بصاحبه، وتسبب في نقل العدوى إليه، بل قد تنتقل العدوى إلى بقية أفراد الأسرة.

الدليل الثاني: الأحاديث التي جاء فيها الأمر بالبعد عن المجذوم[2]، والأخذ بالأسباب دفعاً للأذى. وفيروس كورونا من أشد الأمراض خطراً، وأسرعها انتقالاً، فوجب البعد عن مسبباته؛ حفاظاً على الأسرة.

الدليل الثالث: كما حذّر النبي ﷺ من إيقاع الضرر بالنفس وبالغير، فعن عبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ: " قَضَى أَنْ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ" [3] .

الدليل الرابع: جاءت القواعد الشرعية: بتحريم الضرر بأنواعه، فلا ضرر ولا ضرار، وأيضاً يتحمل الضرر الخاص

---

(١) النشوز لغة: من النّشز، وهو المكان المرتفع. ينظر: الصحاح (٣/ ٨٩٩) ، مادة (ن ش ز) واصطلاحاً: كراهة كل من الزوجين صاحبه، وسوء عشرته، يقال: نشزت المرأة إذا عصت زوجها وامتنعت عليه. ونشز عليها: إذا جفاها وضربها. ينظر: كشاف القناع (٥/ ٢٠٥).

(٢) ينظر هذه الأحاديث: صـ٢٤،٢١.

(٣) سبق تخرجه صـ٢٢.

لأجل دفع الضرر العام[1]. والأسرة في الإسلام هي نواة المجتمع التي يحرص عليها سليمة نقية من الأمراض، فيبقى المجتمع سليماً من الأمراض والفيروسات. وفي هجر أحد الزوجين للآخر في أثناء فترة الحجر الصحي تحمّل لضرر خاص بأحدهما، في سبيل نجاة المجتمع من ضرر عام قد يتسبب في انتشار الفيروس، وهلاك المجتمع .

الدليل الخامس: ومن المعقول: في توقف المعاشرة بين الزوجين، بسبب إجراءات الحجر، جانب وقائي مهم، يحقق مقاصد عظيمة من مقاصد الشريعة وهي: حفظ النفس، وحفظ النسل أيضاً، فالتشريع الإسلامي جاء بكل ما من شأنه حفظ الأسرة سليمة من الأمراض، وهذا يتفق تماماً مع الحجر.

(١) ينظر : الأشباه والنظائر/ لابن نجيم صـ ٧٤.

المبحث الثالث: جهود الدولة تجاه المحجور عليهم.

المطلب الأول: اتخاذ كافة التدابير الوقائية لمنع تفشي فيروس كورونا:

تعظم مسؤولية الحاكم في الدولة كلما اشتد الخطب، وتفاقم الوضع، ومع جائحة كورونا ازدادت الحاجة للإجراءات، والتدابير الوقائية لمنع تفشي هذا الفيروس، وكلما كان الحاكم مستشعراً مسؤوليته تجاه رعيته، كلما أخذ بالحزم والصرامة بشأن التدابير الوقائية، وفي حديث عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما–، أنه: سمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (١). فالإمام أو نائبه مسؤول عن الرعية، في أمورهم كلها الدينية والدنيوية، لا سيما وقت الأزمات؛ إذ عليه اتخاذ كافة التدابير الاحترازية توقيًّا من انتشار الفيروس بين الناس، وانطلاقاً من قاعدة، " تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة"(٢)، فكل تصرف للإمام فيه تحقيق لمصلحة المسلمين، جارٍ على قواعد الشريعة، لا يخالف نصاً فيها، فإنه نافذ على الرعية، وعليهم التزامه وتطبيقه(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب في الاستقراض/ باب العبد راع في مال سيده..(١٢٠/٣) رقم ٢٤٠٩، ومسلم في صحيحه/ كتاب الإمارة (١٤٥٩/٣) رقم ١٨٢٩.

(٢) ينظر: المنثور في القواعد الفقهية (١/ ٣٠٩)، الأشباه والنظائر/ للسيوطي صـ ١٢١، الأشباه والنظائر/ لابن نجيم صـ ١٠٤.

(٣) ينظر: المدخل الفقهي العام (١٠٥٠/٢).

ولقد اتخذت حكومة المملكة العربية السعودية منذ ظهور جائحة كورونا المستجد (كوفيد-١٩) عدداً من القرارات والإجراءات الاحترازية التي تصدر تباعاً، ووفقاً لما تقتضيه المصلحة؛ لمنع تفشي الفيروس، وحرصاً على سلامة المواطنين والمقيمين فيها [١]. قال ابن القيم-رحمه الله- في سياق كلامه عن التنظيم والعمل وفق المصلحة، مالم يخالف ما جاء به الشرع: " السياسة ما كان فعلًا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول- صلى الله عليه وسلم-، ولا نزل به وحي، فإن أردت بقولك: " إلا ما وافق الشرع " أي لم يخالف ما نطق به الشرع: فصحيح. وإن أردت: لا سياسة إلا ما نطق به الشرع: فغلط، وتغليط للصحابة فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والتمثيل ما لا يجحده عالم بالسنن، ولو لم يكن إلا تحريق عثمان المصاحف، فإنه كان رأياً اعتمدوا فيه على مصلحة الأمة"[٢].

ووفقاً لتقسيم البحث، سأقتصر على ذكر التدابير الخاصة بالمحجور عليه المشتبه به[٣].

---

(١) ينظر: الموقع الإلكتروني لصحيفة مكة https://makkahnewspaper.com/

ينظر: تقرير وزارة الإعلام يلخص الجهود الحكومية لمكافحة انتشار الفيروس https://media.gov.sa/Saudi_Arabia_s_Ruthless_Fight_Against_Coronavirus_-_1st_Arabic_Version-_Apr_2020.pdf

(٢) الطرق الحكمية صـ١٢- ١٣.

(٣) لقد كان لجهود حكومة المملكة العربية السعودية جهوداً عظيمة في فرض التدابير والاحترازات الوقائية؛ لمنع انتشار الفيروس، منها على سبيل المثال: تعليق العمرة والزيارة، فرض حظر التجول الكلي والجزئي، تعليق الحضور إلى مقرات العمل، منع التجمعات بأنواعها. تحويل الدراسة لتكون عبر المنصات الإلكترونية وغيرها كثير. ولقد أصبحت المملكة مثالاً يُحتذى به في مواجهة الأزمات

المطلب الثاني: نشر التوعية، وتثقيف المجتمع بخطر فيروس كورونا:

ما إن ظهر فيروس كورونا المستجد، وتم التأكد من خطورته وسرعة انتشاره بطريق العدوى، حتى سارعت دول العالم ومنظماته في المجال الطبي بنشر برامج توعية عن خطورة هذا الفيروس، وكيفية التصدي له، مما كان له أكبر الأثر في انحصار رقعة انتشاره، وذلك في ظل عدم وجود لقاح ناجع للعلاج منه. ولقد كان لوزارة الصحة في المملكة العربية السعودية جهودٌ كبيرة في نشر التوعية بخطر فيروس كورونا المستجد، والتأكيد على أهمية الحجر الصحي عبر موقعها الإلكتروني [١]. وذلك لأن الشريعة الإسلامية نصبت الولاة على الرعية تنصيب رعاية، وحفظ، ومسؤولية، ومصلحة في أمور دينهم ودنياهم، يحاسب عليها عند تقصيره فيها[٢]، لقوله صلى الله عليه وسلم: " مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ، وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ" [٣].

ومما جاء في توصية مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي: " يجب الالتزام بقرارات الدول والحكومات بما يسمى بالتباعد الاجتماعي، ونحو ذلك، مما من شأنه المساعدة على تطويق الفيروس ومنع

=ينظر: إشادة منظمة الصحة العالمية بجهود المملكة لمكافحة فيروس كورونا https://www.moh.gov.sa/CCC/News/Pages/news-2013-05-13-001.aspx

(١) ينظر: الموقع الإلكتروني لوزارة الصحة السعودية https://www.moh.gov.sa/HealthAwareness/EducationalContent/PublicHealth/Pages/corona.aspx

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٦٦/٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه/كتاب الإيمان (١/ ١٢٦)رقم ١٤٢.

انتشاره؛ لأن تصرّفات الإمام منوطة بالمصلحة، عملاً بالقاعدة الشرعية التي تنص على أن (تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة) " [1] .

(١) توصيات الندوة الطبية الفقهية الثانية لهذا العام، والتي عقدت عبر تقنية مؤتمرات الفيديو يوم ١٦ أبريل ٢٠٢٠، تحت عنوان "فيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩). https://www.oic-oci.org/topic/?t_id=23343&t_ref=13985&lan=ar

المطلب الثالث: إجراء الفحوصات، وتتبع حالات القادمين من الخارج:

تقدّم نهي النبي ﷺ عن مخالطة الصحيح لمن به مرض معدٍ، ونهيه ﷺ عن الدخول أو الخروج من الأرض الموبوءة؛ منعاً لتفشي الأمراض، وهي احترازات أصبحت الدول الآن تنادي بالأخذ بها؛ لأهميتها في محاصرة الوباء ومنع تفشيه. ولقد بذلت حكومة المملكة العربية السعودية جهوداً حثيثة، لإجراء الفحوصات الطبية في الكشف عن الإصابات المحتملة بعدوى فيروس كورونا [١]. كما بذلت جهوداً متواصلة لاستقبال القادمين من خارج المملكة، منذ أن تطأ أقدامهم أرض الوطن، إلى أن يتم توزيعهم في الأماكن المخصصة لإقامتهم، حيث يتم حجرهم فيها وفق ما يقرره الأطباء، حتى يتبين حملهم للفيروس من عدمه. مع توفير كافة الاحتياجات اللازمة لإقامتهم بالمحجر [٢]. كل ذلك يدخل ضمن التدابير الوقائية من الأمراض الوبائية، التي أمر الشرع بالأخذ بها، وفيها تحقيق لمقصد من مقاصد الشريعة، هو حفظ النفس، ودفع الضرر عنها قبل وقوعه، ورفعه عنها بعد وقوعه، وما يتخذه ولي الأمر من تدابير وقائية، هي من وسائل دفع الضرر قبل وقوعه، و يعبّر عنه بالقاعدة الفقهية .: (الدفع أسهل من الرفع) [٣].

---

(١) ينظر: الموقع الإلكتروني لوزارة الصحة السعودية https://www.moh.gov.sa/Ministry/MediaCenter/News/Pages/News-2020-04-04-005.aspx

(٢) ينظر: الموقع الإلكتروني لصحيفة عكاظ، https://www.okaz.com.sa/news/local/2021315

(٣) ينظر: الأشباه والنظائر للسبكي (١/١٢٧)، المنثور في القواعد الفقهية (٢/١٥٥).

والأمر بتنفيذ هذه التدابير الوقائية، منوط بالحاكم؛ لأنه هو المسؤول عن رعاية الرعية، وتدبير شؤونهم، ومن الناس من لا ينقاد إلى مثل هذه التدابير، إلا إذا أمر بها الحاكم، جاء في الأثر: " إِنَّ اللَّهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ" (١).

والعمل بهذه التدابير والاحترازات يعدّ مطلباً وواجباً شرعيًّا، وامتثال المكلف لها، هو ما تؤيده النصوص الشرعية، التي جاءت بالأمر بطاعة ولي الأمر بالمعروف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ النساء: ٥٩، وقال صلى الله عليه وسلم: " السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ" (٢).

(١) روي موقوف عن عثمان بن عفان- رضي الله عنه-، ومعناه صحيح، إلا أن في سنده انقطاع، حيث أخرجه رزين من طريق يحي بن سعيد الأنصاري، عن عثمان بن عفان- رضي الله عنه-، ويحي لم يدرك عثمان. ينظر: جامع الأصول (٤/ ٨٣) رقم ٢٠٧١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب الأحكام/ باب السمع والطاعة للإمام (٩/ ٦٣) رقم ٧١٤٤، ومسلم في صحيحه/كتاب الإمارة (١٤٦٩/٣) رقم ١٨٣٩.

المطلب الرابع: فرض العقوبات على المخالفين للأنظمة والقرارات:

من التدابير الوقائية، والإجراءات الاحترازية، للتصدي لانتشار فيروس كورونا، فرض الأحكام والعقوبات بحق المخالفين لما يقره ولي الأمر، من أنظمة بشأن الحجر الصحي. وهذا ما فعلته حكومة المملكة العربية السعودية أعزها الله، في فرض العقوبات بحق مخالفي الإجراءات الاحترازية، والتدابير الوقائية، لمواجهة فيروس كورونا(١). وجاءت هذه التنظيمات منسجمة مع قواعد الشريعة الإسلامية، التي تقوم في أحد أهم مبادئها على حفظ مصالح العباد، ودرء كل ما من شأنه الإضرار بهذه المصالح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله– :" إن الواجب تحصيل المصالح وتكميلها؛ وتعطيل المفاسد وتقليلها فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما ودفع أعظم المفسدتين مع احتمال أدناها: هو المشروع. والمعين على الإثم والعدوان"(٢).

ولقد سنّ رسول الله ﷺ من القوانين والأنظمة ما يأمن معه كل ذي حق على حقه، ويدفع التعدي من الأشرار، وذوي الأطماع على أحد من الأمة، أو أهل الذمة على أكمل نظام، وأبدع إحكام، ومن ذلك سنّه عليه السلام لبعض العقوبات، والقصاصات، والتعازير، لتحفظ بها الأنفس والأموال والأعراض (٣).

---

(١) ينظر: إعلان وزارة الداخلية بشأن الأحكام والعقوبات المقررة لمواجهة جائحة كورونا، https://www.spa.gov.sa/2082775

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٨٤).

(٣) ينظر: التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة النورة العلمية (١/ ١٦).

الخاتمـــة

وفيها أبرز النتائج، والتوصيات

أولاً: أبرز النتائج:

١- الحجر الصحي: هو تقييد حركة الأشخاص من أجل الوقاية من انتشار عدوى المرض، مع عدم وجود تشخيص طبي يؤكد إصابتهم بالمرض، بينما يكون العزل الطبي إذا كانت العدوى مؤكدة لدى الشخص الموضوع قيد العزل.

٢- جاء التشريع الإسلامي بالأحكام الوقائية، والتدابير الاحترازية، المتمثلة في الحجر الصحي.

٣- أمر الشارع الحكيم بالأخذ بالأسباب، مع التوكل على الله والثقة بما عنده سبحانه، في كل الأحوال.

٤- وجوب الحجر الصحي للمشتبه في حمله للمرض، مع ضرورة الالتزام بكافة التعليمات والإجراءات.

٥- للمحجور عليه المشتبه بإصابته التخلف عن شهود الجمعة والجماعة، تقديماً لمصلحة حفظ النفس، لا سيما مع انتشار العدوى بوباء كورونا.

٦- بيان حرص الشريعة الإسلامية على تقديم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، وهذا يتفق مع القول بمنع المشتبه بإصابته من حضور الجمعة والجماعة؛ لشدة خطورة وباء كورونا.

٧- امتناع الزوج عن معاشرة زوجته بسبب الحجر الصحي؛ لا يُعدّ هجراً، وإنما هو من قبيل الاحترازات الوقائية لفترة محدودة.

٨- لا بدّ من تكاتف الرعية مع ولاتها؛ وتحقيق استجابتهم لمطالبها، لتحقيق المصلحة المرجوة للجميع.

ثانياً: أبرز التوصيات:

١- إنشاء الكراسي العلمية المختصة والتي تجمع بين علماء الطب وعلماء الشريعة؛ لإعداد البحوث العلمية المتعلقة بالأوبئة الخطيرة، مع بيان ما اشتملت عليه من نوازل فقهية.

٢- إقامة الندوات والملتقيات وفق ما تمر به الأمة من أحداث، لبيان سبق التشريع الإسلامي في تقرير كل خير لبني الإنسان.

٣- الدعوة لإنشاء مراكز علمية متخصصة بالنوازل الطبية الفقهية، من مهامها: إخراج موسوعات طبية فقهية، باللغتين العربية والإنجليزية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإجماع، لابن المنذر النيسابوري، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، دار المسلم، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أحمد عناية، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩٩م.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي-بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية.
- أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري، دار الكتاب الإسلامي.
- الاستذكار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: سالم عطا، محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، ط١ ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- الأشباه والنظائر، عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، دار الكتب العلمية، ط١ ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، لابن نجيم، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١ ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤٤١هـ-١٩٩١م.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم (شرح صحيح مسلم للقاضي عياض)، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء-مصر، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- الأمراض المعدية ومستجداتها العالمية، أمين عبد الحميد مشخص وآخرون، أعد بالتعاون بين وزارة الصحة والمكتب الإقليمي لشرق المتوسط لمنظمة الصحة العالمية، مطابع دار الهلال-الرياض ٢٠٠٤م.
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علي بن سليمان المرداوي، دار إحياء التراث العربي، ط٢.
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، إبراهيم بن نجيم، دار الكتاب الإسلامي، ط٢.
- البحر المحيط في أصول الفقه، محمد بن عبد الله الزركشي، دار الكتبي، ط١، ١٩٩٤م.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، دار الكتب العلمية، ط٢ ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- البناية شرح الهداية، محمود بن أحمد الغيتابي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- البيان في مذهب الإمام الشافعي، يحيى بن أبي الخير العمراني، تحقيق: قاسم النوري، دار المنهاج-جدة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، محمد بن أحمد بن رشد، تحقيق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي، دار الهداية.
- التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف المواق المالكي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تأليف: محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية-بيروت.
- تحفة المحتاج في شرح المنهاج، أحمد بن حجر الهيتمي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٧هـ- ١٩٨٣م.

- التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، محمد عبد الحي الكتاني، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم-بيروت، ط٢.
- تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي، تحقيق: سيد عبد العزيز، عبد الله ربيع، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية —بيروت، ط١.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى العلوي، محمد البكري، النشر: وزارة الأوقاف بالمغرب، ١٣٨٧هـ.
- التنبيه في الفقه الشافعي، إبراهيم بن علي الشيرازي، عالم الكتب.
- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، عالم الكتب-القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير الجزري، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، ط١.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر.
- حاشية الصاوي على الشرح الصغير، أحمد بن محمد الخلوتي الصاوي المالكي، دار المعارف.

- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، علي بن محمد الماوردي، تحقيق: علي معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- الاختيار لتعليل المختار، عبد الله بن محمود البلدحي الحنفي، تعليق: محمود أبو دقيقة، مطبعة الحلبي- القاهرة، ١٣٥٦هـ- ١٩٣٧م.
- الذخيرة، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين) دار الفكر بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- روضة الطالبين وعمدة المفتين، للنووي، المكتب الإسلامي-بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط٢٧، ١٤١٥-١٩٩٤م.
- سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد كامل، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ١٩٩٨م.
- سنن الدار قطني، علي بن عمر الدار قطني، حققه وضبطه: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة- بيروت، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
- السنن الكبرى للبيهقي، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع-الرياض، ط١ ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المملكة العربية السعودية- وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤١٨هـ.
- شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- شرح التلقين، محمد بن علي المازري المالكي، تحقيق: محمد السلامي، دار الغرب الإسلامي، ط١ ٢٠٠٨م.
- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف: محمد عبد الباقي، تحقيق: طه عبد الرؤوف، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، ط١ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد-الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- شرح النووي على صحيح مسلم، المعروف بالمنهاج، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- الشرح الكبير للدردير على مختصر خليل، دار الفكر.
- شرح مختصر خليل للخرشي، محمد بن عبد الله الخرشي، دار الفكر- بيروت.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد غفار، دار العلم للملايين-بيروت، ط٤١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- صحيح البخاري، مطبوع مع شرحه فتح الباري، رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي، صححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة-بيروت.
- صحيح مسلم، مطبوع مع شرحه المنهاج للنووي، حقق أصوله: خليل شيحا، دار المعرفة-بيروت، ط٢ ١٤١٥هـ.
- صحيح وضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة-الإسكندرية.
- صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة-الإسكندرية.

- الطب الوقائي في الإسلام، أحمد شوقي الفنجري، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط٣، ١٩٩١م.
- الطرق الحكمية، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مكتبة دار البيان.
- العدوى بين الطب وحديث المصطفى ﷺ ،محمد بن علي البار ، الدار السعودية ط٥ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، تأليف: محمد أشرف العظيم آبادي، دار الكتب العلمية -بيروت، ط٢ ١٤١٥هـ.
- غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، أحمد بن محمد الحموي، دار الكتب العلمية، ط١ ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- الفتاوى الفقهية الكبرى، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، جمعها تلميذه: عبد القادر الفاكهي، الناشر: المكتبة الإسلامية.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي، صححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩هـ.
- فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق القنوجي، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا.
- الفروع ومعه تصحيح الفروع للمرداوي، محمد بن مفلح الحنبلي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، ط٢، ١٩٨٨م.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين بن عبد السلام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩١م.
- القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ.

- الكامل في ضعفاء الرجال، أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور البهوتي، دار الكتب العلمية.
- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف الكرماني، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- اللباب في شرح الكتاب، عمر بن علي النعماني، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر-بيروت، ط٣ ١٤١٤هـ.
- المبدع في شرح المقنع، إبراهيم بن محمد بن مفلح، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- المجموع شرح المهذب، للنووي، دار الفكر.
- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن القاسم، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٩٩٥م
- المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- المحصول، محمد بن عمر الرازي، دراسة وتحقيق: طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٧م.
- المحلى بالآثار، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي الظاهري، دار الفكر-بيروت.
- المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم- دمشق، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى بن سعد السيوطي الحنبلي، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح البعلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ياسين الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله بن الحكم، تحقيق: مصطفى عطا، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث-القاهرة، ط١ ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
- المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي-الهند، ط٢ ١٤٠٣هـ.
- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد عبادة، مكتبة الآداب-القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- المغني لابن قدامة، دار الفكر-بيروت، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٠م.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- المقدمات الممهدات، محمد بن أحمد بن رشد، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- المنثور في القواعد الفقهية، بدر الدين الزركشي، نشر وزارة الأوقاف الكويتية، ط٢، ١٤٠٥هـ-
- ١٩٨٥م.
- منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد أحمد عليش، دار الفكر- بيروت، ١٩٨٩م.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الموسوعة الطبية الحديثة، مؤلفين من مؤسسة GOLDEN PRESS، مؤسسة سجل العرب، د، ت- القاهرة.

- الموسوعة الطبية الفقهية، أحمد محمد كنعان، دار النفائس، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- الموافقات، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار عفان، ط١ ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، محمد بن محمد الحطاب المالكي، دار الفكر، ط٣، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- موطأ الإمام مالك، صححه ورقمه وخرّج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
- النجم الوهاج في شرح المنهاج، محمد بن موسى أبو البقاء الشافعي، دار المنهاج-جدة، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، محمد بن أبي العباس الرملي، دار الفكر-بيروت، ط ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلمية-بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

***

المواقع الإلكترونية:

الجمعية السعودية لطب الأسرة والمجتمع http://www.ssfcm.org/public/

http://www.islamicbook.ws/asol/feqh/ahkam-slat-almridh.pdf أحكام صلاة المريض وطهارته/ للشيخ عبد العزيز بن باز.

دليل الحجر الصحي الصادر من المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها وقاية https://covid19.cdc.gov.sa/ar/professionals-health-workers-ar/home-quarantine-guidelines-ar/

صحيفة عكاظ https://www.okaz.com.sa/news/local/2021315

صحيفة مكة https://makkahnewspaper.com/

الطبي https://altibbi.com/

مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي http://www.iifa-aifi.org/

المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها (وقاية). https://covid19.cdc.gov.sa/ar/home-ar

منظمة الصحة العالمية https://www.who.int/ar

موسوعة الملك عبد الله بن عبد العزيز للمحتوى الصحي https://kaahe.org/ar-sa/Pages/Home/Home.aspx

وزارة الإعلام ttps://media.gov.sa/Saudi_Arabia_s_Ruthless_Fight_Against_Coronavirus-_1st_Arabic_Version-_Apr_2020.pdf

وكالة الأنباء السعودية https://www.spa.gov.sa/2047028

***

الإجراءات الاحترازية من الأوبئة بين الفقه والطب
– فايروس كُورونا (كوفيد ١٩) أنموذجًا -

د. تهاني بنت عبد الله الخنيني
قسم الفقه – كلية الشريعة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الإجراءات الاحترازية من الأوبئة بين الفقه والطب – فايروس كُورونا (كوفيد ١٩) أنموذجًا -

د. تهاني بنت عبد الله الخنيني

قسم الفقه – كلية الشريعة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٢/ ٧/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٦/ ٩/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

هذه الدراسة جاءت لبيان الإجراءات الاحترازية في الفقه الإسلامي؛ من الأوبئة عمومًا، ووباء كورونا خصوصًا، وما تميز به من الثراء في التشريعات الوقائية، ومقارنة ذلك بالتعليمات الصحية الصادرة من منظمة الصحة العالمية، ومن أبرز ما توصلت له الدراسة: أن الإجراءات الاحترازية التي نادت بها منظمة الصحة العالمية، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام من ناحية علاقتها بالتشريعات الفقهية في هذا المجال، قسم وافقت فيه المنظمة التوجيهات الشرعية سواء كانت مطلوبة على الدوام أو في خصوص انتشار المرض والوباء، وقسم تفردت به الشريعة الإسلامية، وقسم نادت به منظمة الصحة العالمية، ولم تنص عليه الشريعة، ولكن قررته القواعد الفقهية، والمقاصد الشرعية، ومن أهم الإجراءات الاحترازية التي جاءت بها الشريعة: تحريم الخروج من البلد الذي أصابه الوباء والدخول إليه إلا ما جاء استثناؤه، وكذلك من الإجراءات التي تتماشى مع مقاصدها: إجراء الفحص الطبي على القادمين من البلدان المصابة بالأوبئة، وعزل المصابين أو المشتبه بهم، وفرض حظر التجول إذا لم يمكن السيطرة على الوباء إلا بذلك، والإلزام بالتداوي، ووجوب توعية الناس وتثقيفهم في ذلك، واتباع الإرشادات والآداب المتعلقة بالمحافظة على الصحة، ووجوب تحمل الفرد المسؤولية في ذلك، وتحمل المؤسسات المجتمعية سواء الطبية أو الشرعية، أو الإعلامية، أو الأمنية والاحتسابية، المسؤوليات المناطة بهم في هذا الصدد، وختمت الدراسة ببيان سلطة ولي الأمر في الإلزام بالإجراءات الاحترازية من الأوبئة ومشروعيته لدلالة الأدلة النقلية، والقواعد الفقهية، والمقاصد الشرعية عليه.

الكلمات المفتاحية: الإجراءات الاحترازية – الأوبئة– وباء كُورونا– التدابير الوقائية.

Precautionary Procedures from epidemics Between jurisprudence and medicine – Coronavirus is a model.

Dr. Tahani Abdullah Al-Khanini
Department Fiqh - Faculty Sharia
Imam Mohammad Ibn Saud Islamic university

Abstract:

This study shows the statement of measures in Islamic jurisprudence (Fiqh))؛from the epidemics in general, the Corona epidemic in particular, compared to health instructions issued by the World Health Organization (WHO). The study highlights the findings of the study: The precautionary measures called for by WHO can be divided into three sections about jurisprudence legislation (Fiqh) in this field, a section in which WHO has approved the Islamic sharia directives, a section that has been unique to Islamic sharia, a section called for by the World Health Organization. It was not provided for by the Shariah, but is determined by the Islamic jurisprudence rules, legitimate purposes, and the most important precautionary measures provided by Sharia. Prohibit exits from and access to the country affected by the epidemic, except what is being exempt, also procedures consistent with their purposes: a medical examination of those who are affected by epidemics, isolation of infected or suspected countries. The curfews were imposed if the epidemic could only be controlled by that procedure; to be required to mediate. People must sensitize; educate, and follow guidance and literature on preserving health.

key words: Precautionary Procedures, Epidemic, Corona epidemic (Covid 19), Preventive measures.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأزواجه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد..

فإن الفقه الإسلامي شمل في أحكامه تفاصيل حياة الإنسان، ونظم حياته مع ربه ونفسه ومجتمعه، في كل أحواله من الصغر والكبر، والذكورة والأنوثة، والصحة والمرض، والحياة والموت. فما ينزل به أو بمجتمعه من نازلة إلا وتجد الفقه الإسلامي حاضراً بأدلته وقواعده ومقاصده، وله فيها حكم ينير للمسلم حياته ويبصره بواجباته، لا يعوزه في ذلك جدة الحادثة وحدوثها على غير عهد سابق.

وما نزل بالمسلمين وغيرهم من الوباء اليوم (فيروس كورونا كوفيد ١٩) ليجسد حيوية الفقه، وازدهاره؛ حيث تصدى بأحكامه وتشريعاته لكل ما أفرزه هذا المرض من تساؤلات ونوازل؛ في العبادات، والمعاملات، وأحكام الأسرة، والعقوبات، وغيرها، وقد أحببت أن أسلط الضوء في هذا البحث على هذا الوباء من جانب الإجراءات الاحترازية من الأوبئة في الفقه وعلاقتها بالطب، وأبرز السبق العلمي الذي تتمتع به هذه الشريعة، وأسميته بـِ: (الإجراءات الاحترازية من الأوبئة بين الفقه والطب – فيروس كورونا كوفيد ١٩ أنموذجاً).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تظهر أهمية الموضوع وأسباب اختياره في النقاط الآتية:

١- مسيس الحاجة إلى معرفة الأحكام الفقهية المتعلقة بالإجراءات الاحترازية من الأوبئة في الوقت الراهن نظرًا لتفشي وباء (فايروس كوفيد ١٩)، فبحث أحكامه من الضرورة بمكان.

٢- أن هذا الموضوع ذو أهمية كبيرة لشرائح عدة في المجتمع كالأطباء، والعلماء، وولاة الأمر، وأفراد المجتمع كافة.

٣- إبراز السبق والإعجاز التشريعي في الفقه الإسلامي، والثروة العلمية التي خلفها فقهاء المسلمين.

٤- إبراز العلاقة التكاملية بين الفقه والعلوم الأخرى قديماً وحديثاً.

٥- تسليط الضوء على اهتمام حكومة المملكة العربية السعودية بصحة المواطن، والتي نصَّ عليها النظام الأساسي للحكم في المادة السابعة والعشرين، والمادة الحادية والثلاثين.

أهداف الموضوع:

يهدف بحث هذا الموضوع إلى:

١- بيان الأحكام الشرعية المتعلقة بالإجراءات الاحترازية من الأوبئة.

٢- بيان العلاقة بين الأحكام الشرعية والإرشادات الطبية المتعلقة بالأوبئة عمومًا وبوباء (فيروس كوفيد ١٩) على وجه الخصوص.

٣- إبراز مسؤولية الفرد والمؤسسات المجتمعية ودورها في الحدِّ من انتشار وباء (فيروس كوفيد ١٩).

٤- تأصيل سلطة ولي الأمر في الإلزام بالاحترازات الوقائية من وباء (فيروس كوفيد ١٩) من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.

٥- إبراز جهود المملكة العربية السعودية الرائدة في مكافحة وباء (فيروس كوفيد ١٩)، وجهودها التي تبذلها على كافة المستويات بقيادة خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين.

الدراسات السابقة:

لقد كان للعلماء والباحثين مساهمات فاعلة، وجهد مشكور في تناول وتتبع ما أثاره هذا الوباء من مسائل تحتاج إلى بيان وإجلاء، ولقد أُدلي فيه بسهام عدة، وطرق بحث نوازله على مستوى الأفراد، والمؤسسات العلمية والبحثية.

وعند تتبعها وجدت كثيراً منها يركز على أثر هذه الجائحة في حياة المسلم، سواء من ناحية العبادات، أو المعاملات، أو قضايا الأسرة، أو العقوبات، أو التقاضي ونحوها، وهذا مما لا يندرج تحت نطاق هذه الدراسة. وبعض الدراسات تطرقت إلى الإجراءات الاحترازية وأحكامها، دون إشارة إلى جانب المسؤولية الفردية أو المجتمعية في الالتزام بذلك، على حين أن بعض البحوث كانت على العكس في تناول المسؤولية تجاه التصدي لهذه الجائحة، دون تطرق إلى تأصيل الإجراءات الاحترازية وبيان أحكامها.

وقد اجتهدت في هذه الدراسة لإبراز الأمرين، الإجراءات الاحترازية من الناحية التأصيلية فقهاً مقارناً بالمعلومات الطبية، وبيان المسؤولية الفردية والمجتمعية، وسلطة ولي الأمر في سن الأنظمة في ذلك مقارنة بالأنظمة الطبية

العالمية، والنظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية.

ومن أبرز الأبحاث التي تتقاطع مع هذه الدراسة:

١- بحث بعنوان: (التدابير الوقائية من الأمراض والكوارث) للباحثة: إيمان المبرد، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الفقه في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد توافقت مع البحث في ذكر بعض الإجراءات الاحترازية، حيث ذكرت الباحثة إرشادات النظافة والطعام، والوقاية من الأمراض بالحجر الصحي، وكذلك التداوي من المرض، وأشارت للمسؤولية الوقائية من لدن الفرد والولي والدولة بشكل مختصر.

٢- بحث بعنوان: (أحكام المرض المعدي) للباحث: عبد الإله السيف، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الفقه في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد جاءت معظم مباحث الدراسة في بيان آثار المرض المعدي على الأحكام الشرعية، وقد أشار الباحث إلى طرق الوقاية من المرض المعدي، وذكر منها الحجر الصحي، والتطعيم، وتجنب المخالطة للمصاب، والتحرز من نقل الدم، وحكم الدخول للبلد المصاب والخروج منه.

وقد أضفتُ في دراستي هذه أنواع الحجر الصحي، وأشرت إلى التثقيف الصحي، والمنع من الأنشطة التي تأخذ طابع الاجتماع، وأبرزت كذلك الدور المنوط بالفرد، والمؤسسات المجتمعية، وولي الأمر، في تفعيل الاحترازات مع التأصيل والاستدلال قدر الإمكان، والتمثيل بما يناسب هذه الجائحة.

٣- بحث بعنوان: (التدابير الوقائية من الأمراض الوبائية في ضوء الشريعة الإسلامية)، للباحث: ياسين الزياتي، منشور في مجلة الجمعية الفقهية

السعودية، وقد تطرق للإجراءات الاحترازية من وباء كورونا من الناحية الفقهية، ومسؤولية الحاكم والرعية في ذلك.

٤- بحث بعنوان: (الأحكام الفقهية المتعلقة بالإجراءات الوقائية من وباء كورونا المستجد في ضوء السياسة الشرعية)، د. محمود عمر علي، والبحث يبرز جانب الإلزام بالإجراءات الاحترازية من باب السياسة الشرعية، وسلطة ولي الأمر.

وإن كان هناك بعض التقاطع في مفردات هذين البحثين مع هذه الدراسة إلا أنني قد أضفتُ فيها العلاقة بين الإجراءات الاحترازية في الفقه والطب، وأبرزتُ الدور المناط بالمؤسسات المجتمعية على اختلافها وتنوعها (الطبية، الإعلامية، الشرعية، الأمنية والاحتسابية)، وسعيتُ لتأصيل سلطة ولي الأمر من خلال الأدلة الشرعية، مع الإشارة إلى الأنظمة الطبية العالمية، والنظام الأساسي للحكم.

خطة البحث:

يحتوي البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

المقدمة وتشمل أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد: التعريف بموضوع البحث، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات العنوان.

المطلب الثاني: التعريف بوباء (فيروس كوفيد١٩) أسبابه، وأعراضه، وعلاجه.

المبحث الأول: الإجراءات الاحترازية من وباء (فيروس كوفيد١٩)، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإجراءات الاحترازية من وباء (فيروس كوفيد١٩) من منظور منظمة الصحة العالمية.

المطلب الثاني: الإجراءات الاحترازية من الأوبئة في الفقه الإسلامي.

المطلب الثالث: العلاقة بين الإجراءات الاحترازية من وباء (فيروس كوفيد١٩) من وجهة نظر الطب والفقه.

المبحث الثاني: مسؤولية الفرد والمجتمع في تفعيل الاحترازات الوقائية للوباء، وعلاقة ذلك بمقاصد الشريعة.

المبحث الثالث: سلطة ولي الأمر في الإلزام بالإجراءات الاحترازية للوقاية من الوباء.

المبحث الرابع: جهود المملكة العربية السعودية في مكافحة وباء (فيروس كوفيد١٩).

الخاتمة.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج المتبع في دراسة المسائل الفقهية وهو كالآتي:

١- جمعت المادة العلمية من مظانها عن طريق الاستقراء.

٢- صورت المسألة ليتضح المقصود منها وبيان مواضع الاتفاق فيها بأدلتها، ومواضع الاختلاف، بذكر الأقوال من المذاهب الأربعة، والاستدلال على ذلك، وبيان ما يرد من مناقشات وما يجاب عنها به إن وجدت، ثم ذكرت الراجح مع بيان سبب الترجيح.

٣- وثقت من المصادر المعتبرة.

٤- عزوت الآيات إلى سورها، وخرجت الأحاديث من مصادرها وحكمت عليها.

٥- ذكرت خاتمة ضمنتها خلاصة البحث، ونتائجه.

٦- ذيلت البحث بفهرس المصادر والمراجع.

وختاماً أشكر الله سبحانه وتعالى على ما يسر وأعان، وأشكر كل من ساعدني على إتمام هذا البحث، وأخص بالشكر عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية لتمويلها هذا المشروع البحثي في عام ١٤٤١هـ، برقم (٠١٦- ١٨- ١٢- ٢٠)، ولقد بذلت في هذا البحث جهدي، فما كان فيه من حق وصواب فمن الله، وما كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله منه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد: التعريف بموضوع البحث. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات العنوان.

أولًا: تعريف الإجراءات:

الإجراءات لغة: جمعٌ مفرده إجراء، وهو مصدر؛ من الفعل أجرى يجري، وأصله من الثلاثي: (جرى)، قال ابن فارس: (الجيم والراء والياء أصل واحد، وهو انسياح الشيء، يقال للماء جرى الماء يجري جَرْيَة وجَرياً)، ويطلق على الْمَرّ السريع(١)، والإجْرِيّا بالكسر والشد: الوجه الذي تأخذ فيه وتجري عليه، ويطلق على الطبيعة والخلقة، يقال: الكرم من إِجْرِيّاه، أي من طبيعته، ويطلق الجَرِيُّ على الوكيل، لأنه يجري مجرى موكله، ويطلق على الرسول الجاري في الأمر(٢)، وأدخلت الهمزة على الفعل جرى فصار فعلاً متعديًّا بعد أن كان لازمًا، ليدل على القيام بالفعل وإمراره وجعله يجري.

ولم يذكر هذا المصطلح في كتب اللغة بالمعنى المستخدم حالياً مما يدل على أنه لفظ مولد، واستعماله في العصر الحاضر استعمال صحيحٌ موافقٌ لقياسات اللغة، ويستعمل مضافاً مما يجعل تفسيره يختلف باختلاف إضافته، وإن كانت التفسيرات ترجع إلى معنى واحد هو: الجريان في الأمر. فأجرى الماء: أساله، وأجرى السفينة: سيرها، وأجرى فلاناً في حاجته: أرسله، وأجرى عليه كذا: أدامه له(٣). وأجرى بحثاً، أو عملية جراحية، أو اتصالاً ونحوه: قام به،

(١) مقاييس اللغة ٤٤٨/١، تاج العروس ٣٤٨/٣٧، القاموس المحيط ص١٦٣٩.

(٢) مقاييس اللغة ٤٤٨/١، تاج العروس ٣٤٨/٣٧، القاموس المحيط ص١٦٣٩.

(٣) انظر: المعجم الوسيط ص١٠٩٧.

وأجرى القوانين عليه: طبقها وجعلها جارية عليه[١].

الإجراءات اصطلاحاً: لم ينص الفقهاء – حسب ما وفقت عليه – على تعريف خاص للإجراءات، وإن كانوا يستخدمون هذا المصطلح كثيراً في كتاباتهم وتناولهم للأحكام الشرعية وغالب استخدامهم في الإمرار الحسي أو المعنوي[٢]، ولا يخرج استخدامهم في الغالب عن الاستخدام اللغوي.

أما في العصر الحاضر فيستخدم للدلالة على تدبير شأن معين، أو اتخاذ خطوات لأمر ما[٣]. كالإجراءات الجنائية، والإجراءات المطلوبة للتقدم لشيء معين، وإجراءات السفر، وغيرها.

ويمكن تعريفها بشكل عام بأنها: الخطوات التي تساعد على تقدم العمل بشكل متتابع ليصل إلى المراد.

وبذلك تظهر العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، فأصل الكلمة يدل على الإمرار والجريان، والإجراءات تتطلب عملاً متتابعاً يمر بمراحل حتى يوصل فيه إلى المراد.

ثانيًا: تعريف الاحترازية:

الاحتراز لغة: أصله من الفعل حرز، قال ابن فارس: (الحاء والراء والزاء أصل واحد، وهو من الحفظ والتحفظ، يقال حرزته واحترز هو: أي تحفظ)،

---

(١) انظر: المعجم العربي الأساسي ص٢٤٤.

(٢) الحسي كإجراء الماء، والمعنوي كإجراء الحكم على قاعدة ونحوه.

(٣) المعجم العربي الأساسي ص٢٤٤.

وقيل: إن هذه الزاء مبدلة من سين، وأن الأصل الحرس وهو وجه[١].

والحرز: الموضع الحصين، يقال هو في حرز لا يوصل إليه، وأحرزت الشيء أحرزه إحرازاً: إذا حفظته وضممته إليك، وصنته عن الأخذ، واحترز من كذا وتحرز: إذا توقاه، وجعل نفسه في حرز منه، ومكان محرز: أي حصين[٢].

الاحتراز اصطلاحًا: لا يخرج استعمال الفقهاء – رحمهم الله – للاحتراز عن معناه اللغوي وهو التحفظ[٣]، جاء في المعجم الفقهي: (الاحتراز: هو التوقي للشيء واجتناب له)[٤].

ثالثاً: تعريف الأوبئة:

الأوبئة لغة: جمع ومفرده وباء، قال ابن فارس: (الواو والباء والهمزة كلمة واحدة هي الوباء، وأرضٌ وَبِئة على فَعِلة وقد وَبِئت، وموبوءة وقد وُبِئَتْ)[٥]، والوباء بالقصر والمد والهمز: الطاعون، وقيل: كل مرضٍ عام، وأرض وبِئة: كثيرة الوباء، واستوبأ الأرض: استوخمها ووجدها وبئة[٦].

الأوبئة اصطلاحًا: الوباء عند الفقهاء: المرض العام[٧].

ويطلقونه أيضاً على الطاعون، وهو مرض يعم الكثير من الناس في جهة

---

(١) مقاييس اللغة ٣٨/٢.

(٢) انظر: لسان العرب ٣٣٣/٥، القاموس المحيط ص ٦٣٥.

(٣) انظر: المصباح المنير ١٢٩/١.

(٤) المعجم الفقهي اللفظ المستغرب من شواهد المهذب ص ٧٣.

(٥) مقاييس اللغة ٨٣/٦.

(٦) انظر: لسان العرب ١٨٩/١، والقاموس المحيط ٦٩.

(٧) انظر: المغرب في ترتيب المعرب ٤٧٥/١.

من الجهات دون غيرها بخلاف المعتاد من أحوال الناس وأمراضهم، ويكون مرضهم غالباً مرضاً واحداً بخلاف سائر الأوقات فإن أمراض الناس مختلفة[١]. وتعريفهم لا يخرج عن المعنى اللغوي.

ويعنى به طبيًّا: الانتشار السريع للأمراض إلى عدد كبير من السكان في غضون فترة زمنية قصيرة. فعلى سبيل المثال، يعتبر معدل هجوم ما يزيد على ١٥ حالة لكل ١٠٠,٠٠٠ شخصٍ لمدة أسبوعين متتاليين وباء.

ويعرّف مركز أتلانتا لمكافحة الأمراض الوباء على نطاق واسع بأنه: حدوث حالات مرضية، أو إصابات، أو حالات صحية أخرى، أكثر مما هو متوقع؛ في منطقة معينة، أو بين مجموعة معينة من الأشخاص، خلال فترة معينة. وعادة ما يفترض أن الحالات لها سبب مشترك، أو أن تكون ذات صلة ببعضها البعض بطريقة ما[٢].

والمقصود بالعبارة: الإجراءات الاحترازية من الأوبئة:

أي الخطوات والتدابير المتخذة للمحافظة على صحة الإنسان من الأمراض التي تحمل صفة الانتشار والتفشي بين البشر.

رابعاً: تعريف الطب:

---

(١) المنتقى شرح الموطأ٧/١٩٧.

(٢) انظر : (مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها – مصدر أجنبي) Principles of Epidemiology, Third Edition (PDF). Atlanta, Georgia: Centers for Disease Control and Prevention. ٢٠١٢

وموقع منظمة الصحة العالمية :الإنذار بحدوث الأوبئة والجوائح ومواجهتها، على الرابط :

https://web.archive.org/web/20090429100200/www.who.int/csr/disease/avian_influenza/phase/ar/index.html

الطب لغة: من الفعل طب بتثليث الطاء، وهو علاج الجسم والنفس.

والطب في الأصل: الحذق بالأشياء والمهارة بها، يقال: رجل طبٌّ وطبيب إذا كان كذلك، وإن كان في غير علاج المرض، ويطلق بمعنى الرفق، والطبيب: الرفيق.

ويأتي بمعنى السحر يقال: طُبَّ الرجل، والمطَبوب: المسحور، قال أبو عبيدة: إنما سمي السحر طِبًّا على التفاؤل بالبرء، كما يكنى عن المفازة وهي مهلكة تفاؤلاً بالفوز والسلامة.

والمتطبب: الذي يتعاطى علم الطب. وقالوا: تطبب له أي سأل له الأطباء، وجمع القليل أَطِبّةٌ والكثير: أطباء(١).

الطب اصطلاحًا: عُرِّف الطب بعدة تعريفات بعضها ركزت على الجانب النظري وبعضها على الجانب التطبيقي، ومن التعريفات التي جمعت بينهما ما جاء في نهاية الرتبة الظريفة أنه: (علم نظري وعملي أباحت الشريعة علمه وعمله لما فيه من حفظ الصحة ودفع العلل والأمراض عن هذه البنية الشريفة)(٢).

ومن التعاريف الحديثة للطب: (علم وفن يتعلق بالمحافظة على الصحة والوقاية من الأمراض وتخفيفها وعلاجها)(٣).

وتتضح العلاقة بين المعنى اللغوي للطب الذي هو الحذق بالأشياء

---

(١) انظر: القاموس المحيط ص١٣٩، لسان العرب ج ٨/١١٣،١١٤، تاج العروس ٣/٢٥٨-٢٦٠، المعجم الوسيط ص٥٤٩.

(٢) نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة ١/٢١٥

(٣) موسوعة الفقه الطبي ص٤٣، نقلًا عن قاموس مريم وبستر.

والمهارة بها، وبين المعنى الاصطلاحي؛ إذ إن علم الطب وممارسته يتطلب دقة في الأداء والتجريب، وبراعة في التطبيق.

خامسًا: تعريف الفقه:

الفقه لغة: الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء والعلم به، تقول: فقهت الحديث أفقهه، ثم اختص بذلك علم الشريعة، فقيل لكل عالم بالحلال والحرام: فقيه، وفَقِهَ الكلام: أي فهمه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾[1]، ويطلق الفقه على الفطنة[2].

الفقه اصطلاحًا: عُرِّف بعدة تعريفات من أشهرها: العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية[3].

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة، فالعلم بالأحكام الشرعية لا يتحقق دون فهم وفطنة.

المطلب الثاني: التعريف بوباء (فايروس كورونا ١٩) أسبابه، وأعراضه، وعلاجه:

مصطلح وباء كوفيد ١٩ مصطلح أجنبي، يعرَّب بالتاجي، والعدد ١٩ إشارة إلى السنة التي ظهر فيها، فقد كان أول ظهوره في ٣١ ديسمبر من عام ٢٠١٩م، حيث أُبلغ المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية في الصين بظهور

---

(١) جزء من الآية: ٩، من سورة التوبة.

(٢) انظر: مقاييس اللغة ٤٤٢/٤، لسان العرب ٥٢٢/١٣.

(٣) شرح التلويح على التوضيح ١٢/١، وانظر: البحر المحيط ٣٤/١.

حالات التهاب رئوي حاد حدثت في مدينة ووهان بمقاطعة هوبي الصينية، وتم التعرف على الفيروس عن طريق التسلسل الجيني، وأعلن رسميًّا أن فيروس (كُورونا الجديد) هو الفيروس المسبب لتلك الحالات من قِبَل السلطات الصينية يوم ٧ يناير ٢٠٢٠م، ويُعتقد أن فيروس (كُورونا) الجديد مرتبط بالحيوان؛ حيث إن أغلب الحالات الأولية كان لها ارتباط بسوق للبحريات والحيوانات في مدينة ووهان.

وفيروسات الكُورونا هي مجموعة من فيروسات ذات الصلة بفيروس RNA (فيروس الحمض النووي الريبوزي) تشكلت من أسرة كبيرة من الفيروسات، وتسبب أمراضاً في الثدييات والطيور، وينتقل الفيروس بين البشر من الشخص المصاب بالعدوى إلى شخص آخر عن طريق المخالطة القريبة دون حماية، وتسبب هذه الفيروسات عدوى الجهاز التنفسي التي يمكن أن تتراوح ما بين معتدلة إلى فتاكة مثل متلازمة التنفس في الشرق الأوسط، ومتلازمة التنفس الحادة الشديدة (SARS-Cov).

وتشمل الأعراض النمطية لفيروس (كُورونا): الحمى، والسعال، وضيق التنفس، وأحيانًا تتطور الإصابة إلى التهاب رئوي. وقد يتسبب في مضاعفات حادة أو فتاكة لدى الأشخاص ذوي الجهاز المناعي الضعيف، والمسنين والأشخاص المصابين بأمراض مزمنة مثل: السرطان، والسكري، وأمراض القلب والأوعية، وأمراض الرئة المزمنة، ومعظم الأشخاص الذين ليس لديهم مشاكل صحية وأصيبوا بفيروس (كوفيد١٩) غالباً ما يعانون من مرض تنفسي معتدل ويتعافى دون أن يتطلب معاملة خاصة.

وفي الوقت الحالي، لا توجد لقاحات أو علاجات محددة لمرض الكُورونا كوفيد ١٩، لكن هناك العديد من التجارب السريرية الجارية لتقييم العلاجات المحتملة[١].

ومنحنى هذا الوباء كأي متفشية وبائية يمر بثلاث مراحل إجمالاً، مرحلة التصاعد، ثم مرحلة الثبات والاستقرار وتقارب عدد الحالات يوميًّا، ثم مرحلة التناقص حيث تكون حالات التعافي أكثر من الحالات الجديدة، ثم تنتهي المتفشية ويصبح الفيروس ضمن فيروسات الأمراض الموسمية[٢].

من هذا العرض يمكن أن نلخص أبرز خصائص هذا المرض، لتكون في الاعتبار عند النظر في الأحكام الشرعية المتعلقة بالاحترازات الوقائية منه:

١- وباء كورونا مرض معدٍ، سريع الانتقال.

٢- وباء ما زال في أطواره الأولى التي لم تتضح فيه جميع خصائصه، من

---

(١) انظر :

Coronavirus. (2020). Retrieved 13 June 2020, from https://www.who.int/health-topics/coronavirus#tab=tab_1

وموقع وزارة الصحة السعودية :

https://www.moh.gov.sa/HealthAwareness/EducationalContent/Corona/Pages/corona.aspx

(٢) انظر: منظمة الصحة العالمية، الإنذار بحدوث الأوبئة والجوائح ومواجهتها، أنفلونزا الطيور :

https://web.archive.org/web/20090429100200/www.who.int/csr/disease/avian_influenza/phase/ar/index.html

Podger, J. (2020). "The three phases of investing through a global pandemic | Fidelity | coronavirus,asset allocation. Retrieved 10 October 2020, from https://research.opiniopro.com/File/DownloadPdfFree/57382

طرق انتقاله، واكتساب المناعة بالإصابة به، وعلاجه.

٣- لم يتوصل إلى لقاح للوقاية منه أو دواء للتعالج منه بشكل فعّال.

٤- وباء متفاوت في الخطورة في إصابته للأشخاص، فغالبًا لا يعدو أن يكون عابرًا كالأنفلونزا الموسمية، ولكن هناك نسبة قد يسبب لهم خطورة بالغة، إذا تطور إلى التهاب رئوي، وتكمن معه خطورة أخرى إذا انتشر وكثرت الحالات، وأصبح هناك عجز في تقديم الرعاية الطبية، بسبب عدم كفاية أجهزة التنفس.

وقد تكون النقطة الثالثة والرابعة من الأوصاف التي يبرز تأثيرها على الأحكام، ويفترق بها هذا الوباء عن غيره من الأوبئة التي تناولتها الأبحاث المتنوعة في موضوع الإجراءات والتدابير الوقائية منها.

المبحث الثاني: الإجراءات الاحترازية من وباء (فيروس كوفيد ١٩)، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإجراءات الاحترازية من وباء (فيروس كوفيد ١٩) من منظور منظمة الصحة العالمية:

في تقرير لمنظمة الصحة العالمية في حماية النفس والغير من انتشار وباء كورونا كوفيد ١٩، والتقليل من فرصة الإصابة به جاءت الإرشادات واتخاذ الاحتياطات التالية:

١. نظف يديك بشكل منتظم وشامل بفركها باستخدام الكحول، أو غسلها بالصابون والماء؛ لأن ذلك يقتل الفيروسات التي قد تكون عليها.

٢. حافظ على مسافة متر واحد على الأقل (٣ أقدام) بينك وبين الآخرين، حتى لا تنتقل إليك الفيروسات بما في ذلك فيروس كوفيد ١٩؛ عند سعال أحدهم، أو عطاسه، أو تحدثه، فقد يرش المريض قطرات سائلة صغيرة من أنفه وفمه وتستنشقها أنت.

٣. تجنب الذهاب إلى أماكن مزدحمة؛ لأنه يصعب الحفاظ على مسافة متر واحد بينك وبين الآخرين.

٤. تجنب لمس العيون والأنف والفم؛ لأن اليد تلمس أسطحًا كثيرة؛ ويمكنها التقاط الفيروسات، وبمجرد تلوث الأيدي يمكن أن ينتقل الفيروس إلى عينيك، أو أنفك، أو فمك، ومن ثم يمكنه أن يدخل جسدك ويصيبك.

٥. اتبع النظافة التنفسية الجيدة بتغطية فمك وأنفك بمرفق الذراع، أو باستخدام المناديل الورقية؛ عندما تسعل، أو تعطس، ثم التخلص منها فوراً، واغسل

يديك، حتى لا تتسبب بنقل الفيروس للأسطح التي يلمسها غيرك.

٦. ابق في المنزل، ومنعزلاً حتى مع أعراض طفيفة مثل السعال، والصداع، و الحمى المعتدلة، حتى تتعافى، واستعن بمن يحضر لك المؤن والاحتياجات، وإذا كنت بحاجة لمغادرة منزلك، ارتدِ القناع الواقي لتجنب إصابة الآخرين.

٧. إذا كان لديك حمى، أو سعال، أو صعوبة في التنفس، ابحث عن العناية الطبية، ولكن يجب الاتصال المسبق إذا أمكن، واتباع توجيهات سلطتك الصحية المحلية، لأنه لديها المعلومات الحديثة، والمستكملة عن الحالة في منطقتك، وسترشدك إلى المنشأة الصحية المناسبة، وهذا سيحميك أيضاً، ويساعد على منع انتشار الفيروسات وغيرها من الإصابات.

٨. مواصلة الاطلاع على آخر المعلومات الواردة من المصادر الموثوقة، مثل منظمة الصحة العالمية، أو سلطاتكم الصحية المحلية والوطنية[١].

أما ما يتعلق بالحجر الصحي الذي تنفذه بعض الدول بمنع السفر وإغلاق المنافذ، فتوصي منظمة الصحة العالمية بعدم تطبيق القيود المفروضة على السفر أو التجارة على البلدان التي لا تعاني من تفشي (كوفيد –١٩)؛ لأن هذه القيود قد توقف تقديم المعونة والدعم التقني، وقد تؤدي إلى تعطيل الأعمال التجارية، وقد تكون لها آثار اجتماعية واقتصادية سلبية على البلدان. غير أنه في ظروف معينة، قد تكون التدابير التي تقيد حركة الناس مفيدة مؤقتاً، حين

(١) انظر: موقع منظمة الصحة العالمية : على الرابط :
https://www.who.int/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/advice-for-public

يكون لها مبرر صحي كما في بداية مرحلة الاحتواء من تفشي المرض، وفي البلدان غير المتضررة بأن تكسب الوقت لبدء وتنفيذ تدابير التأهب الفعالة، على أن تكون هذه القيود قصيرة المدى، وتتناسب مع مخاطر الصحة العامة، وتطور الحالة، حتى لا تتضرر[١].

(١) انظر: موقع منظمة الصحة العالمية : على الرابط :

https://www.who.int/news-room/articles-detail/updated-who-recommendations-for-international-traffic-in-relation-to-covid-19-outbreak

والرابط :

https://www.who.int/news-room/articles-detail/key-considerations-for-repatriation-and-quarantine-of-travellers-in-relation-to-the-outbreak-of-novel-coronavirus-2019-ncov

المطلب الثاني: الإجراءات الاحترازية من الأوبئة في الفقه الإسلامي:

اعتنت الشريعة الإسلامية بالإنسان في كل مراحل حياته وظروفه التي يمر بها، وبينت له الطريق السليم الذي يسلكه ليحقق الحكمة التي خلقها الله من أجله وهي العبودية، ومن مظاهر عنايتها ما أولته من رعاية له في حال المرض، فشرعت أحكامًا خاصة تتناسب مع هذا الطارئ في حياته، بعد وقوعه وقبله، واهتمت بالجانب الوقائي لحماية مقاصدها تماماً كما اهتمت بالجانب العلاجي.

وفي هذا المبحث سأبين جملة من المسائل التي شرعت في الفقه الإسلامي لتحقيق الجانب الوقائي من انتشار الأمراض والأوبئة، وإصابتها البشر على النحو الآتي:

المسألة الأولى: الحجر الصحي:

المقصود بالحجر الصحي: هو منع المصابين بالأمراض الوبائية من مخالطة وملامسة غيرهم، ومنع غير المصابين بالاختلاط بمن يصيبه مرض وبائي(١).

إن من سبل السيطرة على المرض والوباء المتفشي حصره بشتى الطرق حتى لا ينتشر، وحصره يتم بطرق منها:

الطريقة الأولى: الحجر الصحي على بلد ومنع السفر منها وإليها.

وهذا ما اتخذته كثير من الدول مع أزمة كورونا كوفيد ١٩؛ حيث تم إغلاق المطارات والمنافذ البرية، للحدِّ من انتقاله، ومحاولة السيطرة على الحالات بالعلاج، والإجراءات الأخرى. والحجر الصحي في البلدان التي انتشر بها،

(١) انظر: الحجر الصحي ص٢٧، الموسوعة الطبية الفقهية ص٣٣٦.

وعدم مجاوزتها إلى غيرها لأجل أن لا تستفحل المشكلة بمخالطة المصابين وحاملي الفيروس غيرهم في البلدان الأخرى، ومن ثم تفشيه فيما بينهم، وهو إجراء مطلوب شرعاً، والأصل في ذلك ما رواه البخاري ومسلم – رحمهما الله – في صحيحيهما عن النبي ﷺ قال: "الطاعون رجز [أو عذاب] أرسل على بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه"(١).

وقد اتفق الفقهاء – رحمهم الله – على أن الخروج من البلد الذي وقع فيه الوباء لحاجة كطلب علاج ونحوه جائز لا حرج فيه، ومستثنى من النهي(٢). واتفقوا كذلك على أن الخروج من البلد الذي وقع فيه الوباء لغير حاجة معتبرة منهي عنه، لكنهم اختلفوا في النهي هل هو للتحريم أو للكراهة على قولين:

القول الأول: أن النهي عن الخروج من البلد الذي وقع فيه الوباء للكراهة وليس للتحريم، وهو مذهب الحنفية(٣)، والمذهب عند المالكية(٤).

القول الثاني: أن النهي عن الخروج من البلد الذي وقع فيه الوباء للتحريم،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون ص١٠١٢ رقم٥٧٢٨، ومسلم في صحيحه في كتاب الطب، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها ص٩٨٢ رقم ٥٧٧٢ واللفظ له.

(٢) انظر: شرح معاني الآثار ٣٠٧/٤، عمدة القاري ٣٨٥/٢١، المنتقى شرح الموطأ ١٩٨/٧، الذخيرة ٤٥٧/١٠، الفتاوى الفقهية ٩/٤، فتح الباري ١٨٨/١٠، شرح السنة للبغوي ٢٥٦/٥، الآداب الشرعية ٣٧٠/٣، زاد المعاد ٤٣/٤.

(٣) انظر: شرح معاني الآثار ٣٠٧/٤، رد المحتار ٧٥٧/٦، عمدة القاري ٣٨٥/٢١.

(٤) انظر: البيان والتحصيل ٣٩٦/١٧، الذخيرة ٤٥٧/١٠، الفواكه الدواني ٣٤٠/٢،حاشية العدوي ٤٩٣/٢.

وهو قول بعض المالكية[١]، ومذهب الشافعية[٢]، والحنابلة[٣].

الأدلة:

أدلة القول الأول: (القائلين بالكراهة):

الدليل الأول: ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»[٤].

وجه الدلالة: أن النهي في الحديث للكراهة وهو نهي لأجل الطيرة لا الإعداء، فهو من باب نهيه أن يحلَّ الممرض على المصح لئلا يقع في نفسه أن ما أصابه من شيء أنه لو لم يقدم لنجا منه، بل لا محيد لأحد من قدر الله تعالى[٥].

نوقش: بأن النهي في الحديث ليس من باب التطير؛ وإنما هو لما في ذلك من الإلقاء بالنفس إلى التهلكة كمن أراد دخول دار فرأى بها حريقاً تعذر اطفاؤه، فعدل عن دخولها لئلا يصيبه[٦].

---

(١) انظر: التمهيد ٣٦٢/١٤.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ٤٢٦/١٤، فتح الباري ١٨٨/١٠، الفتاوى الفقهية ٩/٤، فتاوى الرملي ٢٣٢/٤، حاشية الجمل ١٩١/٢، شرح السنة ٢٥٦/٥.

(٣) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح ٣٧٠/٣، حاشية ابن القيم على سنن أبي داود مع عون المعبود ٣٦٧/٨.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) انظر: شرح معاني الآثار ٣٠٧/٤، البيان والتحصيل ٣٩٦/١٧، الذخيرة ٤٥٧/١٠.

(٦) انظر: المنهل العذب المورود ٢٣٤/٨، وانظر عمدة القاري ٣٨٥/٢١.

الدليل الثاني: ما رواه أنس بن مالك ﷺ أن ناساً من عكل وعرينة قدموا على النبي ﷺ وتكلموا بالإسلام فقالوا: «يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخموا[1] المدينة، فأمر لهم رسول الله بذود وبراعٍ، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها....»[2] الحديث.

وجه الدلالة: أن الوباء قد وقع بالمدينة، فأمر النبي ﷺ هؤلاء الأعراب أن يخرجوا إلى الإبل في الصحراء[3].

نوقش: أن خروجهم من المدينة كان للعلاج لا الفرار، وهو من ضرورة الواقع؛ لأن الإبل التي أمروا أن يتداووا بألبانها وأبوالها ما كانت تتهيأ إقامتها في البلاد، وإنما كانت في الصحراء، ثم إن ما أصابهم أصابهم خاصة دون سائر الناس[4].

الدليل الثالث: أن القول بجواز الخروج من الأرض التي وقع بها الوباء مروي عن عدد من الصحابة منهم عمر بن الخطاب، وأبو موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص – رضي الله عنهم أجمعين –[5].

---

(١) أي: استثقلوها ولم يوافق هواؤها أبدانهم. النهاية في غريب الحديث ٤٣٧٠/٩.

(٢) الحديث بتمامه أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب من خرج من أرض لا تلائمه ص١٠١١ رقم ٥٧٢٧، واللفظ له، ومسلم في صحيحه في كتاب الحدود، باب حكم المحاربين والمرتدين ص٧٣٨ رقم ٤٣٥٣.

(٣) انظر: شرح معاني الآثار ٣٠٧/٤، وعمدة القاري ٣٨٥/٢١.

(٤) انظر: فتح الباري ١٨٩/١٠، وبذل الماعون في فضل الطاعون ص٢٩٠ وما بعدها، وعمدة القاري ٣٨٥/٢١.

(٥) انظر: البيان والتحصيل ٣٩٧/١٧، بذل الماعون في فضل الطاعون ٢٥٧ وما بعدها.

الجواب عنه من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه قول معارض للنهي الصريح من النبي ﷺ عن الخروج ولا حجة لقول أحد مع قول رسول الله ﷺ.

الثاني: أنه قد خالفه جمع من الصحابة منهم شرحبيل بن حسنة، ومعاذ بن جبل – رضي الله عنهم –، وقول الصحابي حجة ما لم يخالفه صحابي آخر(١).

الثالث: لعل الحديث لم يبلغهم كما لم يبلغ عمر رضي الله عنه عندما ذهب للشام وقت انتشار الطاعون فيها إلا بعد تشاوره مع الصحابة، ومن ثم أبلغه عبدالرحمن بن عوف بما سمعه من النبي ﷺ(٢).

---

(١) بذل الماعون في فضل الطاعون ٢٥٧.

(٢) والحديث بطوله في صحيح البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون ص١٠١٢ رقم ٥٧٢٩، ومسلم في كتاب الطب، باب الطاعون والطيرة ص٩٨٢ رقم ٥٧٨٤ ونصه كما في مسلم:

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أهل الأجناد، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه رضي الله عنهم، فأخبروه أن الوباء وقع بالشام، قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين فدعوتهم، فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، قال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار فدعوتهم له فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه. فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة– وكان عمر يكره خلافه –: نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كانت

الدليل الرابع: أنه روي عن عمر ﷺ أنه ندم على رجوعه إلى المدينة، وعدم دخوله الشام، روى ذلك ابنه عبدالله ﷺ حيث قال: جئت عمر حين قدم فوجدته قائلاً في خبائه فانتظرته في ظل الخباء فسمعته يقول حين تضور[1]: (اللهم اغفر لي رجوعي من سرغ)[2].

وجه الدلالة: وهذا دليل على أن الدخول والخروج ليس للتحريم؛ إذ لو كان كذلك لما ندم عمر على عدم دخوله للشام.

أجيب عنه: أن هذا لا يصح عن عمر ﷺ، وكيف يندم على فعل ما أمر به النبي ﷺ، ويرجع عنه، ويستغفر منه[3].

أدلة القول الثاني: (القائلون بالتحريم):

الدليل الأول: ما جاء عن النبي ﷺ قال: «الطاعون رجز أرسل على

لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان إحداهما خصيبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبدالرحمن بن عوف، وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه". قال: فحمد الله عمر بن الخطاب ثم انصرف.

(١) أي :التضور :التلوي والصياح من شدة الألم أو الجوع والتقلب بطناً لظهر. انظر القاموس المحيط ص ٥٥١، لسان العرب ١٠٠/٨، مادة ض و ر، النهاية في غريب الحديث والأثير، لابن الأثير ١٠٥/٣

(٢) والأثر أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب التاريخ في توجيه عمر إلى الشام ٤١/١٣، وسرغ بفتح السين وسكون الراء: منطقة في أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك من منازل حاج الشام بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة، انظر معجم البلدان ٢١١/٣.

(٣) انظر: فتح الباري ١٨٧/١٠، بذل الماعون في فضل الطاعون ص٢٨٥، التمهيد ٣٦٤/١٤.

بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»[١].

وجه الدلالة: الحديث يدل على حرمة الخروج من أرض وقع بها الطاعون فراراً منه، وكذلك الدخول إليها لأن الأصل في النهي التحريم[٢].

الدليل الثاني: أنه مروي عن عدد من الصحابة، ومنهم عمر -رضي الله عنه- حيث رجع من الشام بعد سماعه للحديث؛ إذ إنه فهم منه التحريم وإلا لما رجع[٣].

الدليل الثالث: ما رواه جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الفار من الطاعون كالفار من الزحف»[٤].

وجه الدلالة: أن الحديث فيه وعيد شديد لمن فرَّ من البلد الذي وقع فيه الطاعون، وأن إثمه كإثم الفار من الزحف، والفرار من الزحف من كبائر الذنوب، فكذلك الخروج من بلد الطاعون؛ لأن الوعيد لا يترتب إلا على ترك أمر واجب، أو اقتراف أمر محرم، والله أعلم.

القول الراجح:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي ١٧٤/٤، شرح النووي على صحيح مسلم ٤٢٦/١٤.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد ٣٦٥/٢٢ رقم ١٤٤٧٨، والطبراني في المعجم الأوسط ٢٩٣/٣ رقم ٣١٩٣؛ وأبو يعلى في مسنده ٣٧٩/٧، رقم ٤٤٠٨؛ والهيثمي في مجمع الزوائد ٥١/٣ رقم ٣٨٦٧، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة ٤٢٦/٢ رقم ١٨٢٦، وقال: رواه أبو يعلى وأحمد بن حنبل بسند صحيح وأصله في الصحيح بغير هذا السياق، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٧٢/٦، رقم ١٦٣٨.

يترجح والله أعلم تحريم الخروج من البلد الذي نزل فيه الطاعون وغيره من الأوبئة التي تماثله في سرعة السريان والانتشار، وأن النهي الوارد في الحديث محمول على التحريم لا الكراهة لأمور:

الأول: قوة أدلة القول القاضي بذلك، وتوجه المناقشة لأدلة القول المخالف.

الثاني: أن الحكمة من النهي -والله أعلم- محاصرة المرض ومنعه من الانتشار بخروج الأشخاص الذين يحتمل كونهم قد حملوا فيروسات المرض إلى مناطق أخرى سليمة؛ فينقلوا لها الوباء، وفي هذا تحقيق لمقصد حفظ النفس، وعدم تعريضها للهلاك، أو تعريض الآخرين له.

الطريقة الثانية: الحجر الصحي على القادمين من المناطق الموبوءة وإجراء الفحوصات لهم:

والمقصود بذلك: الحد من تحركات الأصحاء الذين اختلطوا بمن أصيب بمرض سار خلال فترة القابلية للعدوى(١).

فإذا اقتضت الحاجة للتحرك والخروج من البلد الموبوء والدخول إلى غيره، فهل يخضع القادمون للبلد للحجر الصحي كالحجر على البلد؟ وهل يلزم إخضاع القادمين للفحص؟

إن حجر القادمين من البلدان الموبوءة، كما في وباء كورُونا؛ حتى ولو لم تظهر آثار المرض، وإجراء الفحص الطبي لهم، هو للتحقق من حملهم لهذا الفيروس، وإصابتهم بالمرض من عدمه، وعند التأمل فيما ذكره الفقهاء في مسألة الخروج

(١) الموسوعة الطبية الفقهية ٧٠٤.

من البلد الذي نزل به الطاعون والوباء إلى غيره، نجد أن بعضهم جعل النهي فيه تعبدي غير معلل، وذلك لأن الفرار من المهالك مأمور به، وقد نهي عنه في هذه الصورة فهو لسر لا نعلمه[١]، وبعضهم ذكر علة للنهي، وقد اختلف من جعله معللاً بالعلة في هذا التوجيه على النحو الآتي:

١. أن الناس لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه – بالمرض – ضائع المصلحة لفقد من يتعهده حيًّا وميتاً[٢].

٢. لو شرع الخروج فخرج الأقوياء لكان في ذلك كسر قلوب الضعفاء[٣].

٣. أنه لا يؤمن أن يقع في القلب ما ينافي التوكل والإيمان بالله، وخوف الفتنة على الناس، كما أشار لذلك الطحاوي حين ذكر الحكمة من النهي فقال: (أن لا يقدم عليه رجل فيصيبه بتقدير الله عز وجل عليه أن يصيبه فيقول: لولا أني قدمت هذه الأرض ما أصابني هذا الوجع، ولعله لو أقام في الموضع الذي خرج منه لأصابه؛ فأمر أن لا يقدمها خوفاً من هذا القول، وكذلك أمر أن لا يخرج من الأرض التي نزل بها لئلا يسلم فيقول: لو أقمت في تلك الأرض لأصابني ما أصاب أهلها، ولعله لو قام بها ما أصاب به من ذلك شيء)[٤].

٤. أن العلة من المنع من الخروج والفرار الوصول إلى الرحمة والشهادة التي

---

(١) انظر: الفتاوى الفقهية ٤/٩.

(٢) انظر: الفتاوى الفقهية ٤/٩، فيض القدير ٤/٢٨٦.

(٣) انظر: الفتاوى الفقهية ٤/٩.

(٤) انظر: شرح معاني الآثار ٤/٣٠٤، بريقة محمودية ٤/١١٩.

وعد النبي -صلى الله عليه وسلم- من مات به[1].

٥. أن الطاعون في الغالب يكون عامًّا في البلد الذي يقع به، فإذا وقع فالظاهر مداخلة سببه لمن بها فلا يفيده الفرار، ولا يظهر على ظاهر الإنسان إلا بعد التأثير في الباطن، فالخارج من البلد الذي يقع به لا يخلص غالباً مما استحكم به[2].

وفي الحقيقة لا يمنع التعليل بها جميعاً فلا تعارض بينها فيما يظهر والله أعلم، وإن كانت العلة الرابعة هي الأظهر، وهي مداخلة سببه للجسم، فقد أثبت الطب الحديث أن الشخص السليم في منطقة الوباء قد يكون حاملاً للفيروس ولم يظهر مرضه بعد، ومن ثم ينقل العدوى في فترة حضانة الفيروس، وفترة حضانة المرض هي المدة التي تسبق ظهور الأعراض منذ دخول الفيروس للجسم فيكون انقسامه وتكاثره على أشده، ومع ذلك لا يبدو على الشخص أنه يعاني من المرض، وقد ينقله للآخرين، في البلدان السليمة[3].

---

(١) انظر: بريقة محمودية ١١٩/٤.

(٢) انظر: شرح معاني الآثار ٣٠٤/٤، التمهيد لابن عبد البر ٣٥٦/١٤، أحكام القرآن لابن العربي ٣٠٤/١، الذخيرة ٤٥٧/١٠، حاشية العدوي ٤٩٢/٢، الفتاوى الفقهية ٦٩/٤، فتح الباري ١٨٩/١٠، بذل الماعون في فضل الطاعون ص٣٠٢، زاد المعاد ٤٢/٤.

(٣) انظر: الطاعون بين الطب وحديث المصطفى ﷺ، د. محمد البار، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي العدد الحادي عشر ص ١٧٣، الأدلة الإرشادية للمراقبة الوبائية والإجراءات الوقائية للأمراض المعدية، إعداد جمع من المختصين بوزارة الصحة في المملكة العربية السعودية ص٥٩ وما بعدها، والحجر الصحي د. عبد الله السعيد ص٤٥ – ٤٦، والطب الوقائي في الإسلام للصيدلي عمر عبد الله ص٨٢ – ٨٤، والآثار المترتبة على الإصابة بالأمراض المعدية في المنظور الشرعي والطبي يوسف صلاح الدين ص٣٤، والموسوعة الفقهية الطبية ص٧٠٤.

وبذلك يتبين أن الحجر الصحي على القادمين من البلدان الموبوءة، كما في وباء كُورونا؛ وإجراء الفحص الطبي الكاشف عن المرض، والإلزام به أمر جائز ومشروع لما يأتي:

الدليل الأول: ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (لا ضرر ولا ضرار)[1].

وجه الدلالة: أن الحديث دلَّ على تحريم إلحاق الضرر، والضرر هو إلحاق مفسدة بغيره ابتداء، والضرار إلحاق مفسدة بغيره على سبيل المجازاة[2]، وفي إجراء الفحص حصر لمادة الضرر أن تنتشر وتلحق بالآخرين.

الدليل الثاني: أن النهي عن الخروج من البلد الذي وقع فيه الوباء إذا كان لعلة منع انتشار المرض؛ بخروج الأصحاء من البلد الموبوء، مع احتمال حملهم للوباء إلى البلدان الأخرى، فإن حجر القادمين من البلدان الموبوءة ومنعهم من الاختلاط بالناس حتى تتأكد سلامتهم بإجراء الفحص الطبي الكاشف عن المرض؛ تتحقق فيه ذات العلة، وهي الحد من انتشار الوباء.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في باب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، ص٣٣٥، رقم: ٢٣٤١، والحاكم في المستدرك من حديث أبي سعيد الخدري ٦٦/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي في باب لا ضرر ولا ضرار ٦٩/٦، ومالك في الموطأ، كتاب الأقضية ٧٤٥/٢ مرسلاً عن عمرو بن يحيى. وروي موصولاً، والمرسل صححه الألباني، وأما الرواية الموصولة ففيها ضعف، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٩٨/١، وبالجملة فإن مجموع طرق الحديث يقوي بعضها بعضاً ويحسنه وقد تقبله جماهير أهل العلم واحتجوا به، انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر٨١/٣.

الدليل الثالث: أن من القواعد المقررة في الشريعة: (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)[١]، والإلزام بالحجر الصحي للقادمين من البلدان الموبوءة، والفحص الطبي لهم، وإن كان يترتب عليها تعطل بعض المصالح الخاصة بالشخص، وحد الحريات ونحوها، إلا أن المفاسد المترتبة من عدم تطبيقها تتعدى الشخص إلى الآخرين بنقل العدوى وتفشي الوباء، مما قد يعم بسببه الضرر.

الطريقة الثالثة: الحجر الصحي على المرضى المصابين بالوباء:

والمقصود به: وضع المصابين بمكان خاص ومنعهم من مخالطة غيرهم، ووضعهم تحت المراقبة، ومنع غيرهم من الأصحاء من الاختلاط بهم[٢].

وقد كان العزل معروفاً في الحقبة السابقة من التاريخ الإسلامي، فأول من بنى المارستان[٣]. في الإسلام ودار المرضى الوليد بن عبد الملك، وذلك في سنة ثمان وثمانين، وجعل في المارستان الأطباء وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا، وأجرى عليهم، وعلى العميان الأرزاق[٤].

وإذا كان عزل المصابين أو المشتبه بهم، من الطرق الناجعة في السيطرة على المرض الوبائي بعامة؛ ووباء كُورونا خاصة، والحدّ من انتشاره، فإن ذلك من التداوي المطلوب شرعاً، وقد يصل إلى حكم الوجوب في بعض الحالات، وذلك للأدلة التالية:

---

(١) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٧٤/١، الأشباه والنظائر٧٨.

(٢) انظر: الحجر الصحي ص٢٧، الموسوعة الطبية الفقهية ص٣٣٦.

(٣) هو المصحة أو المستشفى، انظر المعجم الوسيط ص٨٦٣.

(٤) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٢٦٧/٤.

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[1].

وجه الدلالة: الآية دلت على وجوب حفظ النفس وعدم تعريضها للهلاك، ومن حفظها عدم تمكين المصابين بالوباء من الاختلاط مع غيرهم من الأصحاء.

وإن كانت الآية وردت على سبب خاص، إلا أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل ما يصدق عليه أنه تهلكة في الدين أو الدنيا فهو داخل في معنى الآية[2].

الدليل الثاني: ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»[3].

وجه الدلالة: إذا كان النهي عن الخروج من البلد الذي وقع فيه الوباء لعلة منع انتشار المرض، بخروج الأصحاء من البلد الموبوء، مع احتمال حملهم للوباء إلى البلدان الأخرى، فإن عزل المرضى المتحقق من إصابتهم، وكذلك المشتبه بهم تتحقق فيه ذات العلة، ويساعد على السيطرة على المرض، وضمان عدم اختلاط المرضى بالأصحاء.

الدليل الثالث: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أنه قال: (لا يورد

---

(١) جزء من الآية ١٩٥ من سورة البقرة.

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني ٢٤٢/١.

(٣) تقدم تخريجه.

ممرض على مصح)[1].

وجه الدلالة: في الحديث إرشاد إلى مجانبة ما يحصل الضرر عنده في العادة بفعل الله تعالى وقدره[2]، ومن ذلك اختلاط المصاب بالمرض الوبائي بغيره من الأصحاء، واجتماعه بهم.

الدليل الرابع: ما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم فرارك من الأسد)[3].

وجه الدلالة: في الحديث أمر من النبي ﷺ بالفرار من المجذوم، والجذام[4]، كما هو معروف مرضٌ معدٍ، ولولا أن هذا الإجراء ذو فائدة كبيرة في الوقاية من الأمراض السارية لما كان للأمر به فائدة، والإنسان مكلف بالحفاظ على صحته، وعدم تعريض نفسه للهلاك. قال ابن حجر: (فالحاصل أن الأمور التي يتوقع منها الضرر وقد أباحت الحكمة الربانية الحذر منها فلا ينبغي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح، ص٩٨٥، رقم ٢٢٢١.

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٤٣٤/١٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم في كتاب الطب، باب الجذام ص١٠٠٩ رقم ٥٧٠٧ وقد وصله أبو نعيم من طريق أبي داود الطيالسي ومسلم بن قتيبة كلاهما عن سليم بن حيان شيخ عفان، ووصله ابن خزيمة أيضا، ذكر ذلك ابن حجر في فتح الباري ١٦٧/١٠, وأخرجه أحمد في مسنده ٤٤٩/١٥، والبيهقي في سننه باب اعتبار السلامة في الكفاءة ١٣٥/٧، وصحح الرواية الألباني في السلسلة الصحيحة ٤١٤/٢.

(٤) هو مرض التهابي مزمن يصيب الجلد والأعصاب والأغشية المخاطية وينتشر في المناطق التي تكثر فيها الحروب وتزداد فيها المجاعات، انظر موسوعة الأمراض التناسلية والبولية والجلدية ص٢٨٢.

للضعفاء أن يقربوها)[١].

الدليل الخامس: أن هذا طريق من طرق المداوة، حيث إن المداوة منها ما يكون وقائيًّا، ومنها ما يكون علاجيًّا، والتداوي في أصله مشروع[٢].

المسألة الثانية: الحد من التحركات والتجمعات في أثناء الوباء:

والمقصود بذلك: إذا كان الوباء مما يتصف بسرعة الانتشار، وتزداد نسبة انتشاره بالاختلاط، ولم يمكن السيطرة عليه، فهل يمنع من التجمعات والانتقالات، كما فرضت بعض الدول حظر التجول، وحدت من بعض الأنشطة التي تأخذ طابع الاجتماع[٣]؟

إذا لم يمكن السيطرة على الوباء بالعلاج، ولم يمكن الحد من انتشاره إلا بفرض حظر التجول –كما في وباء كُورونا– والمنع من الأنشطة التي تأخذ طابع الاجتماع، خاصة في الطور الأول من الوباء "التصاعد"، مدة زمنية تسرع من فرصة تلاشيه واضمحلاله، فالذي يظهر والله أعلم جواز ذلك في الجملة، وقد يكون واجباً إذا كان أمراً من ولي الأمر[٤]، مع التأكيد على مراعاة المقاصد الشرعية الأخرى من حفظ الدين والنفس، والأخذ بكافة الاحتياطات اللازمة لتحقيق السلامة لما يلي:

١- ما جاءت به السنة الشريفة من تقرير مبدأ الحجر الصحي على المنطقة

(١) فتح الباري ١٠/١٦٢.

(٢) سيأتي تفصيل الحكم في مسألة التداوي.

(٣) كتحويل الدراسة عن بُعد، ومنع العمرة، والمناسبات الاجتماعية، وغيرها مما اتخذته الحكومات للسيطرة على الوباء.

(٤) انظر: المبحث الثالث: سلطة ولي الأمر في الإلزام بالإجراءات الاحترازية.

الموبوءة كما تم بيانه آنفاً، ويمكن أن ينسحب هذا الحكم داخل البلد، لأن العلة في ذلك منع انتشار المرض، وهي تتحقق في هذا الإجراء.

٢- ما رواه عمرو بن الشريد عن أبيه قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي ﷺ: (إنا قد بايعناك فارجع)[١]، وقوله ﷺ: (وفر من المجذوم فرارك من الأسد)[٢].

وجه الدلالة: دلَّ فعل النبي ﷺ من مبايعة المجذوم بالكلام بدون مصافحة، وأمره بمجانبة المجذوم، على وجوب الاحتراز والاحتياط وأخذ الحذر[٣]، ويقاس عليه تطبيق الاحترازات التي تساعد على الوقاية من وباء كورونا كالحدِّ من التحركات، وفرض حظر التجول، بجامع حفظ النفس، وعدم تعريضها للهلاك.

٣- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أنه قال: (لا يورد ممرض على مصح)[٤].

وجه الدلالة: أن في الحديث إرشاد إلى مجانبة ما يحصل الضرر عنده في العادة[٥]، واجتماع الناس واختلاطهم وقت تفشي الوباء مظنة لانتشار العدوى، والمنع من ذلك بعد تقدير الله سبب لحسم مادة التلف والهلاك.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب اجتناب المجذوم ونحوه، ص٩٩٠ رقم :٢٢٣١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للهرري ٣٣٧/٢٢.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٤٣٤/١٤.

٤- أن مما قررته الشريعة أنه إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما بارتكاب أخفهما[١]، ومفسدة انتشار الوباء بين الناس، وقد يحصل منه إهلاك لعدد منهم، وإرهاق للقطاع الصحي بكثرة الحالات التي تحتاج إلى إسعاف، أعظم من مفسدة منع الناس من الخروج والاختلاط، إذا روعيت حاجاتهم الأساسية.

٥- أنه قد جاء عن بعض الفقهاء ما يشير إلى هذا، فجاء في كشاف القناع: (ولا يجوز للجذماء مخالطة الأصحاء عموماً ولا مخالطة أحد معين صحيح إلا بإذنه، وعلى ولاة الأمور منعهم من مخالطة الأصحاء بأن يسكنوا في مكان مفرد لهم ونحو ذلك، وإذا امتنع ولي الأمر من ذلك أو المجذوم أثم، وإذا أصر على ترك الواجب مع علمه به فسق)[٢].

وسئل الهيتمي عن حكم الفرار من الطاعون وإليه، وهل حكم مكانه في بيوت الجيران كحكم مكانه في قرية أخرى؟ فكان من جوابه: (أنه لو خص محلة من بلدة ولم يوجد منه شيء في بقية محلات تلك البلد كان حكم المحلة حينئذٍ كحكم البلد المستقل فيحرم الخروج منها فراراً والدخول إليها لغير حاجة).أ هـ[٣]، وورد نحوه في فتاوى الرملي: (والمراد بالأرض في قوله " إذا وقع بأرض " محل الإقامة الواقع به الطاعون؛ سواء كان بلداً، أم قرية، أم محلة، أو غيرها، لا جميع الإقليم)[٤]، والعرف والظروف الأخرى يكون لها حضور وتأثير

(١) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/٧١، الأشباه والنظائر لابن نجيم ص٧٦.

(٢) ٦/١٢٦.

(٣) انظر: الفتاوى الفقهية ٤/٩.

(٤) فتاوى الرملي ٤/ ٢٣٢.

في هذه المسألة.

المسألة الثالثة: التداوي من الوباء:

التداوي في أصله مشروع على خلاف بين الفقهاء في هذه المشروعية، هل هي على الإباحة أو الاستحباب أو الوجوب؟

فمذهب الحنفية(١)، والمالكية(٢)، والحنابلة أنه على الإباحة(٣).

ومذهب الشافعية(٤)، وقول بعض الحنابلة أنه على الاستحباب(٥).

ونقل بعض الفقهاء وجوبه كالصاوي في حاشيته على أوضح المسالك(٦)، وابن مفلح في المبدع، وذكر أن بعضهم قيده بما إذا ظن نفعه(٧)، وذكر بعض الحنفية أن ما قُطع بحصول الموت بتركه كالقطع بالموت عند ترك الطعام والشراب فيجب، أما ما غلب على الظن فهو على الإباحة(٨).

وعند التحقيق نجد أن جملة من الفقهاء ممن قرر إباحة أو استحباب التداوي، أوجبه إذا خيف من التلف وإن لم يصرح بذلك، وإنما يفهم من سياق

---

(١) انظر: بدائع الصنائع ١٢٧/٥، العناية شرح الهداية ٦٦/١٠.

(٢) انظر: المنتقى ٢٦١/٧، المدخل ١١٩/٤، الفواكه الدواني ٣٣٨/٢.

(٣) انظر: الآداب الشرعية ٣٤٨/٢، كشاف القناع ٧٦/٢.

(٤) انظر: المجموع ٩٧/٥، أسنى المطالب ٢٩٤/١.

(٥) انظر: الفروع١٦٧/٢، الإنصاف ٤٦٢/٢.

(٦) ٤/ ٧٧١.

(٧) ٢١٦/٢.

(٨) انظر: الفتاوى الهندية ٣٥٤/٥.

كلامه، كحسم[١] يد السارق بعد قطعها، فالمذهب عند الحنفية[٢]، والمالكية[٣]، واختيار بعض الشافعية[٤]، والمذهب عند الحنابلة[٥]، وجوب الحسم، والعلة في ذلك خوف حصول التلف والهلاك بسبب جريان الدم بعد القطع، فحسم الطرف يساعد على إيقاف النزف، وما الحسم إلا نوع من أنواع التداوي.

وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن التداوي تدخله الأحكام التكليفية الخمسة، الوجوب، والاستحباب، والإباحة، والكراهة، والتحريم، وأن الواجب منه ما يعلم أنه يحصل به بقاء النفس لا بغيره[٦].

وقرر ذلك مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي في دورته السابعة فيما يخص موضوع العلاج الطبي، ونص القرار: (الأصل في حكم التداوي أنه مشروع، لما ورد في شأنه في القرآن الكريم، والسنة القولية والفعلية، ولما فيه من حفظ النفس، الذي هو أحد المقاصد الكلية من التشريع. وتختلف أحكام التداوي باختلاف الأحوال والأشخاص، فيكون واجباً على

---

(١) الحسم يكون بحديدة محماة أو بالزيت المحمي لينقطع جريان الدم، ولا يتمادى حتى ينزي ويموت. انظر: العناية ٣٩٣/٥، شرح الخرشي على مختصر خليل ٩٢/٨، حاشية الجمل ١٥١/٥.

(٢) انظر: تبيين الحقائق ٢٢٤/٣، رد المحتار ٤/ ١٠٤.

(٣) انظر: الفواكه الدواني ٢١٤/٢، شرح مختصر خليل للخرشي ٩٢/٨.

(٤) انظر: مغني المحتاج ٤٩٤/٥، حاشية الجمل ١٥١/٥. قال الشربيني: (وعلى الأصح للإمام إهماله ولا يجبر المقطوع عليه بل يستحب له.... نعم لو كان إهماله يؤدي إلى تلف لتعذر فعل ذلك من المقطوع بإغماء أو جنون أو نحو ذلك لم يجز للإمام إهماله كما قاله البلقيني).

(٥) انظر: الإنصاف ٢٨٥/١٠، شرح منتهى الإرادات ٣٧٨/٣.

(٦) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ١٢/١٨.

الشخص إذا كان تركه يفضي إلى تلف نفسه أو أحد أعضائه أو عجزه، أو كان المرض ينتقل ضرره إلى غيره، كالأمراض المعدية، ويكون مندوباً إذا كان تركه يؤدي إلى ضعف البدن ولا يترتب عليه ما سبق في الحالة الأولى، ويكون مباحاً إذا لم يندرج في الحالتين السابقتين، ويكون مكروهاً إذا كان بفعل يخاف منه حدوث مضاعفات أشد من العلة المراد إزالتها)[١].

والأدلة على مشروعية التداوي كثيرة منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾[٢]

وجه الدلالة: دلت الآية على أن العسل مما يتعالج به من الأمراض، وهو نوع من أنواع التداوي[٣].

الدليل الثاني: ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»[٤].

الدليل الثالث: ما رواه جابر – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله عز وجل»[٥].

---

(١) انظر: القرار على موقع المجمع على الرابط : http://www.iifa-aifi.org/١٨٥٨.html

(٢) جزء من آية ٦٩ من سورة النحل.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٢٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب ما أنزل الداء إلا أنزل له شفاء، ص١٠٠٥، ح ٥٦٧٨.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، ص٩٧٧، ح ٢٢٠٤.

الدليل الرابع: عن أسامة بن شريك ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير فسلمت، ثم قعدت فجاء الأعراب من هاهنا وهاهنا، فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: (تداووا فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد الهرم)[١].

الدليل الخامس: ما رواه جابر ﷺ: (أن النبي ﷺ بعث إلى أُبيّ بن كعب طبيباً فقطع منه عرقاً ثم كواه عليه)[٢].

وجه الدلالة من هذه الأحاديث: أن قول النبي ﷺ وفعله دلَّ على مشروعية التداوي.

وعلى هذه الأدلة وغيرها استند من قال بالاستحباب والإباحة.

ومن قال بالوجوب استدل بالآيات التي تأمر بالمحافظة على النفس وعدم تعريضها للهلاك؛ لأن التداوي إذا علم نفعه كان فعله من المحافظة عليها كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[٣]، ونحوها، وكذلك حمل أمر النبي ﷺ في قوله تداووا على الوجوب.

وفيما يتعلق بتداوي المصاب بالمرض الوبائي، فإن الحكم يختلف باختلاف الوباء وخطورته، ومدى قابليته للعلاج، وتوفره، وقدرته عليه، وكونه

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الطب باب الرجل يتداوى، ص٥٤٩، رقم ٣٨٥٥، واللفظ له، والترمذي في سننه في كتاب الطب باب ما جاء في الدواء والحث عليه، ص٤٦٩، رقم ٢٠٣٨، وابن ماجه في كتاب الطب باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ص٤٩٥، رقم ٣٤٣٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود٢/٤٦١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب لكل داء دواء، ص، ح ٢٢٠٧.

(٣) جزء من الآية ١٩٥، سورة البقرة.

آمنا لا ضرر فيه.

وفي مثل وباء كورونا (كوفيد ١٩)، فقد سبق في التعريف به أنه مرض سريع السراية والانتقال والانتشار، وإن كان يتفاوت خطورة من عدمها على حسب الأشخاص والأعمار والحالة الصحية، فالحالات ذات الأعراض الخفيفة يمكن للشخص تجاوزها بدون علاج، أو باستخدام المسكنات والملطفات، وهذا مشروع كما سبق على الاختلاف المذكور بين الفقهاء من الاستحباب أو الإباحة، لكن يبقى عليه وجوب الجانب الوقائي بالحجر الصحي على نفسه من مخالطة الآخرين؛ لأنه قد ينتقل منه إلى من يشتد عليه المرض ويشرف معه على الهلاك.

ومن تكون أعراض الوباء شديدة في حالته، فيشرع في حقه التداوي كما نقل عن الفقهاء، وإن كان المتوجه إيجابه متى وجد، وعُلم نفعه، وكونه آمناً لا ضرر فيه، حفظاً لمقصد الشارع من صيانة النفس من الهلاك، وكف الأذى عنها، وحماية للغير من انتقال المرض وسرايته إليه.

المسألة الرابعة: التثقيف الصحي:

المقصود به: عملية إعلامية هدفها حث الناس على تبني نمط حياة وممارسات صحية سليمة من أجل رفع المستوى الصحي للمجتمع، والحدّ من انتشار الأمراض[١].

إن المتأمل لسنة النبي ﷺ يجدها لم تغفل جانب التوجيهات الصحية للفرد كما رعت الجوانب الأخرى في حياته؛ من عبادات، ومعاملات، وعلاقات

(١) الموسوعة الفقهية الطبية ص١٨٦.

اجتماعية، ونحوها؛ إذ إن قوة الجسد وصحته من أعظم ما يعين العبد على عبادة الله، وخلافة الأرض كما أمره، فالنبي ﷺ نصح أمته، وأرشدهم في كل تفاصيل حياتهم، ووجههم إلى الآداب التي ينبغي عليهم أن يراعوها، حتى تصح أجسادهم وتطيب نفوسهم، حتى إن إرشاده طال قضاء الحاجة، فقد جاء عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: قال لنا المشركون: إني أرى صاحبكم يعلمكم، حتى يعلمكم الخراءة، فقال: أجل، إنه نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه أو يستقبل القبلة، ونهانا عن الروث والعظام، وقال: (لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار)[1]، وقد نشط كثير من العلماء لجمع سنته ﷺ في التداوي والتطبيب، ونقل ذلك الكثير عن أصحابه رضي الله عنهم، وما ذاك منه ﷺ ومن أصحابه إلا استشعار للمسؤولية في تثقيف الناس ونصحهم وإرشادهم، وقد تميزت الحضارة الإسلامية بعلمائها وتراثها العلمي الضخم في هذه القضية، فمصنفات أطباء المسلمين شاهدة على ذلك فهي تنضح بالتثقيف والإرشاد.

فإرشاد النبي ﷺ لمن نزل بهم الطاعون، وتوجيهه للتعامل مع المجذوم، وما سطره الأطباء من تدبير هذا المرض، وعلاجه، دليل على استشعار المسؤولية وأداء الواجب المنوط بصاحب العلم والخبرة.

وهذا الأمر هو ما تسنه القوانين والأنظمة الطبية الحديثة على الأطباء والممارسين الصحيين، وتطالب به الأخلاقيات الطبية، فقد أصدرت الهيئة السعودية للتخصصات الطبية التي من مهامها وضع الأسس والمعايير لمزاولة المهن الصحية جملة من الأخلاقيات الطبية في كتيب (أخلاقيات مزاولة مهنة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة، باب الاستطابة، ص١٢٥، رقم :٢٦٢.

الطب) يتوجب على الأطباء والممارسين الصحيين الالتزام بها، ومن ضمنها:

١- العناية بصحة المجتمع بالتوعية الصحية المناسبة حسب موقع الطبيب والمشاركة في البرامج الوقائية وحماية البيئة.

٢- التفاعل مع وسائل الإعلام من أجل توفير المعلومات الصحية للمجتمع.

٣-عند عرض المعلومات العلمية للمجتمع، على الطبيب أن يدرك مسؤوليته في عرض الآراء الموثوقة والمقبولة مهنيًّا، وعليه أن يوضح للمستفيدين إذا كان يعرض آراء شخصية، أو آراء مخالفة لما هو مقبول مهنيًّا.

٤-أن يسهم قدر الاستطاعة في حل المشكلات الصحية على مستوى المجتمع واقتراح الحلول المناسبة لها(١).

وقد جاء كذلك في الميثاق الإسلامي العالمي للأخلاقيات الطبية والصحية(٢)والذي يحوي على مائة وثمان مواد ما يؤكد ذلك، ففي المادة الثالثة عشرة: على الطبيب أن يعمل على تثقيف المريض حول مرضه خصوصاً، وحول صحته عموماً، وحول كيفية حفظه لصحته، ووقايته من الأمراض بالطرق المناسبة والفعالة، وذلك بالتثقيف المباشر وجهاً لوجه، أو باستخدام الوسائل الفعالة الأخرى متى توافرت له، وفي المادة الخامسة والأربعين: على الطبيب أن

---

(١) انظر: أخلاقيات مهنة الطب الصادر عن الهيئة السعودية للتخصصات، على الرابط :
https://fac.ksu.edu.sa/sites/default/files/_mhn_lTb.pdf

(٢) هذا الميثاق كان من توصيات الاجتماع المشترك بين المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية والمكتب الإقليمي لشرق المتوسط لمنظمة الصحة العالمية، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ومجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية وشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا على الرابط :
http://hrlibrary.umn.edu/arabic/Islamic-Code-Ethics-Cover-2004.html.

يساعد المجتمع في التعامل مع عناصر تعزيز الصحة والوقاية من المرض، وحماية البيئة الطبيعية والاجتماعية، وأن يكون على مستوى المسؤولية في قيامه بالتوعية والتثقيف الصحي للمجتمع.

وكذلك تضمن الميثاق العربي لحقوق الإنسان عدة مواد من ضمنها: المادة التاسعة والثلاثون: (تقر الدول الأطراف بحق كل فرد في المجتمع بالتمتع بأعلى مستوى من الصحة البدنية والعقلية يمكن بلوغه)، ومن التدابير المتخذة في سبيل تحقيق ذلك: نشر الوعي والتثقيف الصحي(١).

ولذلك فإن نشر كل ما يتعلق بوباء كُورونا وتوعية الناس به، هو إجراء من الإجراءات الاحترازية المطلوبة من الطبيب، وهذا الدور المناط به تشهد له الأدلة الشرعية، وهي أكثر من أن تحصى ومنها:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾(٢).

وجه الدلالة: دلت الآية على أنه ينبغي للشخص الذي ليس له خبرة بالأحوال، ولا استبطان للأمور، أن لا يتحدث به ويرده للبصراء بالأمور ممن له بحث ونظر وتجربة، ويستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم(٣).

والآية وإن وردت على سبب خاص إلا أن العبرة بعموم اللفظ، وهو

---

(١) انظر: الميثاق في موقع جامعة الدول العربية، على الرابط :
http://www.lasportal.org/ar/humanrights/Committee/Pages/CommitteeCharter.aspx

(٢) جزء من الآية ٨٣ من سورة النساء.

(٣) انظر: تفسير الكشاف ١/٥٤٠، والبحر المحيط ٣/٧٢٦.

بإطلاقه يشمل كل ما يجب فيه رد الأمر إلى أهل الخبرة والبصيرة، وفيه دلالة ضمنية كذلك على وجوب التصدي والاجتهاد من قبل أهل العلم لتوضيح الأمور التي تحتاج إلى بيان وكشف وتعليم لمن لا يحسنها(١).

وسنة النبي ﷺ في تطبيق هذا الأصل وافرة، في إرشاد الناس وتوجيههم، وكذلك الرجوع إلى أهل الخبرة والدراية، وكذلك صحابته من بعده، **ومن الشواهد على ذلك:**

ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت أقرئ رجالًا من المهاجرين، منهم عبدالرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى، وهو عند عمر بن الخطاب، في آخر حجة حجها، إذ رجع إليَّ عبدالرحمن فقال: لو رأيت رجلًا أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلانٍ يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانًا، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتةً(٢)، فتمَّتْ، فغضب عمر، ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم، قال عبدالرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل؛ فإن الموسم يجمع رَعاع الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يُطيِّرُها عنك كل مطيِّرٍ، وألا يعُوها، وألا يضعوها على مواضعها، فأمهلْ حتى تَقدَمَ المدينة؛ فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكناً،

---

(١) انظر: البحر المحيط ٣/٧٢٦.

(٢) فجأة وبغتة من غير تدبر، ووقعت من غير مشورة من جميع من كان ينبغي أن يشاور، انظر: فتح الباري ١٢/١٤٧ – ١٥٠.

فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها، فقال عمر: أما والله – إن شاء الله – لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة(١).

وهذا التصرف من عمر ﷺ في توعية الناس، وقطع الشائعات ببيان الحق، وإن كان بشأن الإمارة التي يحفظ فيها الأمن، وتعصم بها الأنفس، ويمكن بها من إقامة الشعائر، فكذلك في حفظ الصحة؛ لاتفاقهما في كثير من المصالح، وفي خصوص الصحة والحفاظ عليها ما سبق من حديث وقوع الطاعون، فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس– رضي الله عنهما– أن عمر –رضي الله عنه– خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أهل الأجناد، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه– رضي الله عنهم–، فأخبروه أن الوباء وقع بالشام، قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين فدعوتهم، فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، قال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار فدعوتهم له فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه. فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحدود، باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت، ص١١٧٦ رقم: ٦٨٣٠.

من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة– وكان عمر يكره خلافه –: نعم نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان إحداهما خصيبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف، وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه". قال: فحمد الله عمر بن الخطاب ثم انصرف.

ففي الأثرين من تصرف أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ما يدل على وجوب تحمل مسؤولية الإرشاد والتوجيه، وإيضاح الأمور على أولي الأمر، وأهل الاختصاص والخبرة والدراية بالنوازل، والأمور الحادثة لعموم الناس.

الدليل الثاني: ما رواه تميم الداري عن النبي ﷺ أنه قال: (الدين النصيحة ثلاثاً) قلنا: لمن يا رسول الله؟ فقال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[1].

وجه الدلالة: دلَّ الحديث على وجوب النصح لكل مسلم، وأنه من الدين المأمور به، وهو مطلق في كل أمر يحتاج فيه المسلمون إلى نصح وإرشاد، في مصالحهم، ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول والعمل، وتنبيه غافلهم، وتعليم جاهلهم، ورِفد محتاجهم، ودفع المضار عنهم[2]، ومن ذلك ما يحتاجون

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة ص٤٤، رقم ٥٥.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للهرري ٤٥٧/٢، وجامع العلوم والحكم ٢٢٤/١.

إليه في شأن المحافظة على صحتهم، والوقاية من الأمراض من ذوي الاختصاص وهم الأطباء.

الدليل الثالث: ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (من سئل عن علم علمه ثم كتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار)[1].

وجه الدلالة: في الحديث تحذير من كتم العلم، وإن كان عامة العلماء يفسرونه بالعلم الشرعي وما يتوقف عليه عبادة الله، إلا أنه لا يمنع أن يدخل في عموم الحديث كل علم يحتاج الناس إليه والله أعلم، قال المناوي: (وتنكير علم في حيز الشرط يوهم شمول العموم لكل علم حتى غير الشرعي)[2].

المسألة الخامسة: مراعاة العادات والآداب المساعدة على الوقاية من المرض:

لقد أكدت الشريعة الإسلامية على مراعاة أساسي الصحة: الوقاية والعلاج، وجاءت كثير من السنن عن النبي ﷺ في تفصيل جانب الوقاية على وجه الخصوص، في صورة رائعة فذة قلما توجد في شرائع أو قوانين بشرية، ولقد تناولها الفقهاء، والعلماء، قديماً وحديثاً بالجمع والبيان والدراسة، وهي أكثر من أن تستوعب في هذا البحث المختصر، ولعلي أبرز منها ما له علاقة بانتشار

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب العلم باب كراهية منع العلم ص٥٢٥، رقم ٣٦٥٨، والترمذي في سننه في كتاب العلم باب ما جاء في كتمان العلم ص ٦٠١، رقم ٢٦٤٩، واللفظ له، وقال: حديث أبي هريرة حديث حسن، وابن ماجه في كتاب السنة باب من سئل عن علم فكتمه ص٤١، رقم ٢٦٦، وأخرجه أحمد في المسند ٢١٤/١٤، وصححه ابن حجر في المطالب العالية ٣١٣/٣،و قال الألباني : حسن صحيح، صحيح سنن أبي داود ٤١١/٢.

(٢) فيض القدير ٢١٢/٦.

الأوبئة عموماً، ويدخل فيها تبعاً وباء كُورونا؛ إذ إن مسببات الأمراض وانتقالها تحصل بطرق كثيرة، والشريعة الإسلامية استوعبت في إرشاداتها طرق مكافحة العدوى والمرض.

فقد شرع لنا نبينا ﷺ سبلاً للوقاية من الأمراض بتقليل فرص تكاثر مسببات المرض وانتقاله، في مجال النظافة الشخصية، وفي مجال نظافة البيئة، وفي مجال الطعام والشراب، وفي مجال المخالطة.

ففي مجال النظافة الشخصية: شرع الاستنجاء والاستجمار لنظافة السبيلين(١)، لما يصحب الخارج منهما من الكائنات الدقيقة والسموم الضارة، يدل على ذلك ما رواه أنس- رضي الله عنه- قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدخل الخلاء فأحمل أنا وغلام نحوي، إداوة من ماء وعنزة فيستنجي بالماء)(٢).

وشرع الوضوء قبل الصلاة التي تتكرر في اليوم والليلة خمس مرات(٣)، وفيه غسل الأعضاء الظاهرة المكشوفة خمس مرات في اليوم والليلة، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ

(١) انظر: بدائع الصنائع ٢٠/١، منح الجليل ١٠٤/١، المجموع ١١٠/٢ المغني ١١١/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء باب الاستنجاء بالماء، ص٣١، رقم ١٥٠، ومسلم في صحيحه في كتاب الطهارة باب الاستنجاء بالماء من التبرز، ص١٢٧، رقم ٢٧٠، واللفظ له، والإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء، النهاية في غريب الحديث ٧٥/١، والعنزة: مثل نصف الرمح أو أكبر شيئاً وفيها سنان مثل سنان الرمح، النهاية في غريب الحديث ٢٩١٠/٧.

(٣) انظر: العناية شرح الهداية ١٢/١، حاشية العدوي ٣٩٧/٢، الأم ٢٦/١، الفروع ١٣٨/١.

إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[1]، وكما ورد عن النبي ﷺ، فقد جاء عن عثمان رضي الله عنه أنه دعا بوضوء فأفرغ على يديه من إنائه فغسلهما ثلاث مرات، ثم أدخل يمينه في الوضوء، ثم مضمض واستنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه إلى المرفقين ثلاثاً، ثم مسح برأسه ثم غسل كل رِجل ثلاثاً، ثم قال: رأيت النبي ﷺ يتوضأ نحو وضوئي هذا[2]، وإلى جانب كون الوضوء حماية للأعضاء الخارجية فإن فيه حماية لأعضاء الجسم الداخلية كذلك، لأن الفم والأنف هما المدخلان الأساسيان لها، فتنظيفهما عبر المضمضة والاستنشاق إزالة للجراثيم، والكائنات الدقيقة المستعمرة فيهما التي تنفذ عبرهما إلى باطن الجسد.

كما شرع الغسل[3] إما واجباً كما بعد الجماع، والاحتلام، وانقطاع الحيض والنفاس، وإما مستحباً في مواضع عدة، وقد أثبتت الدراسات أن الاستحمام يزيل عن جسم الإنسان ٩٠٪ من الجراثيم والكائنات المسببة للأمراض[4].

---

(١) جزء من الآية ٦ سورة المائدة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء باب المضمضة في الوضوء ص٣٣، رقم ١٦٤،واللفظ له، ومسلم في صحيحه في كتاب الطهارة باب صفة الوضوء وكماله ص ١١٤ رقم ٢٢٦.

(٣) انظر: بدائع الصنائع ٣٥/١، الفواكه الدواني ٢٦٥/٢، مغني المحتاج ٢١٣/١، كشاف القناع ١٣٨/١.

(٤) انظر: التصور الطبي حول قاعدتي (لا ضرر ولا ضرار) و(المشقة تجلب التيسير) ضمن بحوث ندوة تطبيق القواعد الفقهية على المسائل الطبية ٣٨٢/١.

ولأن اليدين من أكثر الأعضاء مباشرة لمسببات الأمراض فقد جاءت التوجيهات النبوية زيادة على الوضوء بغسلهما بعد الاستيقاظ من النوم، كما روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً فإنه لا يدري أين باتت يده)[1]، وقبل الطعام وبعده، فقد جاء عن عائشة- رضي الله عنها- (أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ، وإذا أراد أن يأكل غسل يديه)[2]، وجاء عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (من نام وفي يده غمر[3] ولم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه)[4]،كما أمر بالأكل والمصافحة باليد اليمنى،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء باب الاستجمار وتراً ص٣٣، رقم ١٦٢، ومسلم في صحيحه في كتاب الطهارة باب كراهة غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك في نجاستها في الإناء قبل غسلها ثلاثاً، ص١٣١ رقم ٢٧٨، واللفظ له.)

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الطهارة باب الجنب يأكل ص٤٢ رقم ٢٢٣، والترمذي في سننه في كتاب الأطعمة باب ما جاء في الوضوء قبل الطعام وبعده ص٤٣٤ رقم ١٨٤٦، والنسائي في سننه في كتاب الطهارة باب اقتصار الجنب على غسل يديه إذا أراد أن يأكل ص٣٥ رقم ٢٥٧، واللفظ له، وابن ماجه في سننه في كتاب الأطعمة باب الوضوء عند الطعام ص٤٧٣ رقم ٣٢٦٠، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ٨٨/١.

(٣) الغمر : الدسم والزهومة من اللحم، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٠٦٠/٧.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأطعمة باب في غسل اليد من الطعام ص٥٤٨ رقم :٣٨٥٢، واللفظ له، والترمذي في سننه في كتاب الأطعمة باب ما جاء في كراهية البيتوتة وفي يده ريح غمر ص٤٣٧ رقم ١٨٦٠، وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الأعمش إلا من هذا الوجه، وابن ماجه في سننه في كتاب الأطعمة باب من بات وفي يده ريح غمر ص٤٧٨ رقم ٣٢٩٧، وقال عنه ابن حجر :إسناده صحيح على شرط مسلم، فتح الباري ٥٧٩/٩، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٤٥٩/٢.

وتخصيص اليسرى لإزالة الأذى، فقد روى أبو قتادة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يمسكن أحدكم بيمينه وهو يبول ولا يتمسح من الخلاء بيمينه، ولا يتنفس في الإناء)[١].

وأرشد إلى تقليم الأظافر لما تسببه من تجمع هائل للجراثيم، وإلى غسل البراجم (وهي العقد التي في ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ)[٢] لإزالة المستعمرات الجرثومية، فقد روت عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: (عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء)، قال زكرياء: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة[٣]، وسنن الفطرة الواردة في هذا الحديث تمثل أساساً من أسس الوقاية الصحية بتحقيق النظافة الشخصية.

ووجه بتغطية الفم عند العطاس ونحوه كالسعال والتثاؤب، فقد روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: (أنه كان إذا عطس وضع يده، أو ثوبه على فيه، وخفض، أو غض بها صوته)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء باب النهي عن الاستنجاء باليمين ص٣١ رقم ١٥٣، ومسلم في كتاب الطهارة باب النهي عن الاستنجاء باليمين ص١٢٦ رقم ٢٦٧، واللفظ له.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٧٣/١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة باب خصال الفطرة ص١٢٥ رقم ٢٦١.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في العطاس ص٧٠٧ رقم :٥٠٢٩، واللفظ له والترمذي في سننه في كتاب الأدب باب ما جاء في خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس

وفي مجال نظافة البيئة جاءت السنة النبوية بجملة من الإرشادات تحقق بإذن الله وقاية البشر من كثير من الكائنات الممرضة المسببة للأوبئة؛ خاصة ما ينتقل منها عند قضاء الحاجة، فنهى النبي ﷺ عن قضاء الحاجة في الطريق، والظل، والماء الراكد[١]، فقد روى أبو هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (اتقوا اللعانين، قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم)[٢]، وروى كذلك عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه)[٣].

وفي مجال الطعام والشراب، فقد أباحت الشريعة الإسلامية أكل الطيبات، وحرمت أكل الخبائث التي تلحق بالإنسان الضرر في جسده وعقله، ومن المحرمات التي تتسبب في نقل الأمراض والأوبئة للإنسان الخنازير، والكلاب، والقوارض، والحيوانات السامة، والميتة، والسباع والطيور الجارحة، والحيوانات المستخبثة كالقنفذ والخفاش ونحوها[٤]، ومن الأدلة على ذلك:

ص٦٢٢ رقم ٢٧٤٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وبنحوه أخرجه أحمد في المسند ٤١٢/١٥، وجود ابن حجر إسناده في فتح الباري ٦٠٢/١٠، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢٣٦/٣.

(١) انظر: البحر الرائق ٢٥٥/١، التاج والإكليل ٣٩٩/١، المجموع ١٠١/٢، المغني ١١٩/١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال ص ١٢٧، رقم ٢٦٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء باب البول في الماء الدائم ص٤٤، رقم ٢٣٩، واللفظ له، ومسلم في صحيحه في كتاب الطهارة باب النهي عن البول في الماء الراكد ص١٣٢ رقم ٢٨١.

(٤) انظر : بدائع الصنائع ١٤٤/٤ وما بعدها، شرح مختصر خليل للخرشي ٣٠/٣، وما بعدها،

قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾[1].

وما رواه أبو ثعلبة الخشني ﷺ: (أن النبي ﷺ نهى عن أكل كلِّ ذي ناب من السباع)[2]، وقد أثبت العلم الحديث أن هذه الحيوانات تشكل بؤرًا لتجمعات هائلة وخطيرة من الكائنات الدقيقة الفاتكة بالإنسان.

ونهى كذلك عن أكل لحوم الجلالة وهي البهيمة التي تأكل العذرة[3] حتى تحبس على الطعام الطاهر أياماً[4]، فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: (نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وعن الجلالة عن ركوبها وأكل لحمها)[5].

المجموع ٣/٩، كشاف القناع ٦/ ٢٠٠ وما بعدها.

(١) جزء من الآية ٣ سورة المائدة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب ألبان الأُتن ص١٠٢٠ رقم: ٥٧٨٠، ومسلم في صحيحه في كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم أكل كلِّ ذي ناب من السباع وكلِّ ذي مخلب من الطير ص٨٦٣، رقم: ٤٩٨٨.

(٣) انظر: المطلع على أبواب المقنع ص ٣٨٢.

(٤) انظر: بدائع الصنائع ٣٩/٥، المجموع٣٠/٩، المغني ٤١٣/٩.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأطعمة باب في أكل لحوم الحمر الأهلية ص ٥٤٣ رقم ٣٨١١، والترمذي في سننه في كتاب الأطعمة باب ما جاء في أكل لحوم الجلالة وألبانها ص٤٣٠ رقم : ١٨٢٤، وقال : هذا حديث حسن غريب، والنسائي في سننه في كتاب الضحايا باب النهي عن أكل لحوم الجلالة ص٦١٧، رقم ٤٤٥٢، والحاكم في المستدرك ٤٦/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد لما قدمنا من القول في إبراهيم بن المهاجر، ولم يخرجاه، والبيهقي في سننه في كتاب الضحايا، باب ما جاء في أكل الجلالة وألبانها ٣٣٣/٩، وقوى ابن حجر في التلخيص إسناد رواية الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه: النهي عن أن يشرب من في السقاء

وأمر النبي ﷺ بتغطية الآنية، وربط السقاء منعاً من تسلل الجراثيم والمكروبات الناقلة للأمراض إليها، فقد روى جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (أطفئوا المصابيح إذا رقدتم، وغلقوا الأبواب، وأوكوا الأسقية، وخمروا الطعام والشراب)[١].

ونهى عن الشرب من فم السقاء، كما جاء عن ابن عباس –رضي الله عنهما – (أن النبي ﷺ نهى عن الشرب من فيّ السقاء)[٢]، أو النفخ في الشراب والتنفس فيه كما في حديث أبي قتادة المتقدم.

ومن صور النظافة ومراعاة الوقاية من الأمراض الأمر بالأكل باليد اليمنى، والأكل مما يلي الإنسان، وأن لا تطيش يده في الصحفة، أو يأكل من الجوانب الأخرى، فقد جاء عن عمر بن أبي سلمة أنه قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ: (يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك)[٣].

المطلب الثالث: العلاقة بين الإجراءات الاحترازية من وباء (فيروس كوفيد

وعن المجثمة والجلالة وهي التي تأكل العذرة. ٢٨٦/٤. وقال عنه الألباني في صحيح سنن أبي داود : حسن صحيح ٤٥٠/٢.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأشربة باب تغطية الإناء ص ٩٩٧ رقم ٥٦٢٤ واللفظ له، ومسلم في صحيحه في كتاب الشربة باب استحباب تخمير الإناء وهو تغطيته وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب ص٨٩٩ رقم ٢٠١٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأشربة باب الشرب من فم السقاء ص ٩٩٧ رقم ٥٦٢٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأطعمة باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ص٩٦٠ رقم : ٥٣٧٦. واللفظ له، ومسلم في صحيحه في كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ص٩٠٢، رقم ٢٠٢٢.

١٩) من وجهة نظر الطب والفقه.

من خلال النظر في الإجراءات الاحترازية التي تنادي بها منظمة الصحة العالمية، والتوجيهات الشرعية التي قررتها أدلة الكتاب والسنة والقواعد والمقاصد الشرعية، نجد أن الشريعة الإسلامية أحرزت تقدماً واضحاً وسبقاً علميًّا في التحرز من مسببات الأوبئة بكل أشكالها، والقضاء عليها بعد وقوعها، قبل أن تنادي بها المؤسسات الصحية بأربعة عشر قرناً، ولا عجب في ذلك إذا أدركنا أنها ربانية المصدر؛ لأن من شرع ذلك وأمر به هو اللطيف الخبير الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، وخلق عباده وهو أعلم بأحوالهم وحاجتهم وما يصلح معاشهم ومعادهم، سواء كانت هذه الاحترازات على مستوى الفرد أم الجماعة.

وبالمقارنة بين ما صرحت به منظمة الصحة العالمية من توجيهات سلوكية تساعد في الوقاية من هذا الوباء، وكذلك ما جاءت به الشريعة الإسلامية، يمكن تقسيم هذه الإجراءات إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: إجراءات وافقت فيها منظمة الصحة العالمية التوجيهات الشرعية، وذلك فيما يتعلق بسلوكيات النظافة والتطهر – وإن كان مأموراً بها شرعاً على الدوام إلا أنه يتأكد ذلك عند كونها عاملاً مساعداً على انتشار الوباء حال وقوعه –، وبإجراء العزل حال الإصابة بالوباء سواء عزل المصابين أو الأصحاء عبر حظر التجول، وبتطبيق الحجر الصحي على مستوى البلدان والدول.

القسم الثاني: إجراءات جاءت بها الشريعة الإسلامية، وأمرت بها على

الدوام وفي كل الأحوال عند انتشار الأوبئة وعدمها، ولم تنص عليها منظمة الصحة العالمية، من اجتناب المحرمات من الطعام والشراب، وأكل الحيوانات المستخبثة، والمفترسة، وآداب قضاء الحاجة، والعناية بحفظ الطعام والشراب.

القسم الثالث: إجراءات نادت بها منظمة الصحة العالمية ولم يأت ذكرها صريحاً في الشريعة، كالتباعد، وترك المسافة الآمنة فيما بين الأشخاص، واجتناب الأماكن المزدحمة، وعند التأمل نجد أن هذه الإجراءات جاء في تقريرها القواعد الشرعية، كقاعدة: (لا ضرر ولا ضرار)[١]، التي تفيد تحريم إيقاع الضرر بشتى أنواعه سواء على النفس أو الآخرين، وقاعدة: (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)[٢]، وقاعدة: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)[٣]، فصيانة الإنسان نفسه ونفس غيره من الواجبات المتحتمة عليه، وإذا لم يمكن تحقيق ذلك إلا بتفعيل هذه الإجراءات صارت من الواجبات، كما أنه من المقاصد الضرورية في الشريعة الإسلامية حفظ النفس كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[٤]، وفي اتباع هذا النوع من السلوك نوع حماية للنفس من الإصابة بالعدوى ولحوق المرض والله أعلم.

(١) انظر: الأشباه والنظائر لابن نجيمص٧٢، الأشباه والنظائر للسيوطي ص١١٢.

(٢) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٧٤/١، الأشباه والنظائر لابن نجيم ص٧٨.

(٣) انظر: منظومة القواعد الفقهية لابن سعدي ص١٣٢.

(٤) جزء من الآية ١٩٥ سورة البقرة.

المبحث الثاني: مسؤولية الفرد والمجتمع في تفعيل الاحترازات الوقائية للوباء، وعلاقة ذلك بمقاصد الشريعة.

مقاصد الشريعة الإسلامية هي: غايات الشرع من أحكامه[١].

ولقد اتفقت الأمة على أن الشريعة الإسلامية جاءت للمحافظة على الضرورات الخمس، بل نقل إنها مراعاة في كل ملة[٢]، وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال، وإن لم يثبت ذلك بدليل خاص، أو أصل معين، إلا أن مجموع الأدلة والأحكام تشهد بذلك[٣].

ومراتب هذه المقاصد تقع في ثلاثة أقسام: الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات، والضروريات أصل المصالح، والحاجيات كالتتمة للضروريات، والتحسينيات كالتكملة للحاجيات[٤]، والضرورية أصل لابد منه لقيام مصالح الدين والدنيا؛ حيث إنها إذا فقدت لم تجر الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج، والحفظ لها يكون بأمرين:

الأول: بما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود.

الثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم، فعلى سبيل المثال: حفظ النفس من جانب الوجود كتناول المأكولات والمشروبات ونحوها، وإباحة تناول الميتة عند الضرورة،

(١) إرشاد القاصد إلى معرفة المقاصد ص٢٢.

(٢) انظر: الموافقات ٢/٢٠.

(٣) انظر: الموافقات ١/٣١.

(٤) انظر: الموافقات ٢/٢٥.

وحفظها من جانب العدم كشرع القصاص، والديات[١]، وعلى هذا النحو في المقاصد الأخرى.

وحفظ الدين هو أهم الضروريات وأسمى المقاصد، وبقية المقاصد وسائل للمحافظة عليه، فلو عدم المكلف لعدم من يتدين، ولو عدم العقل لارتفع التدين، ولو عدم النسل لم يكن في العادة بقاء، ولو عدم المال لم يبق عيش[٢].

وما سبق بيانه من الإجراءات الاحترازية من الأوبئة عموماً، ووباء كُورونا خصوصاً، إنما هو وسيلة من الوسائل التي يحصل بها حفظ النفس، ومن ثم حفظ الدين، يشهد لذلك:

ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)[٣].

فالمقصود هنا قوة الجسد، وقوة الإرادة والعزيمة[٤]، وقوة الجسد لا تتأتّى مع المرض، وإذا كان بعض الفقهاء أشار إلى المنع من ترويض النفس على قلة الأكل المؤدية إلى الضعف في العبادة[٥]، فتعريضها للوباء والأمراض من باب أولى.

وبها يحصل حفظ المال كذلك، بالمحافظة على الموارد المالية والطبية من

---

(١) الموافقات ١٧/٢، بتصرف.

(٢) انظر: الموافقات ٣٢/٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر باب الإيمان بالقدر والإذعان له، ص١١٦١، رقم:٢٢٦٤.

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم للهرري٢٤/٥٧٧.

(٥) انظر: غمز عيون البصائر١/١٠١، بريقة محمودية ١/١٤٠.

الاستنزاف، فتفعيل الاحترازات وسيلة من وسائل تقليل الإصابات، ومن ثم اللجوء إلى المشافي، التي قد يلحقها من كثرة الحالات النقص الشديد في الأدوات، والملابس الواقية، وغرف المرضى، وأجهزة التنفس، والإرهاق الشديد للطواقم الطبية، وغيرها.

والمسؤولية في هذه الحالة مناطة بالفرد والمجتمع على السواء.

والمقصود بالمسؤولية بوجه عام: حال أو صفة من يسأل عن أمر تقع عليه تبعته، ويتحمل آثاره(١)، وتطلق أخلاقيًّا على: التزام الشخص بما يصدر عنه قولًا وفعلًا، وقانونيًّا على: الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقاً لقانون(٢).

إذ المسؤولية على ثلاثة أقسام: المسؤولية المدنية: وهي التي تنشأ عن الإخلال بالحقوق، أو مخالفة القانون والنظام، وتستلزم المساءلة والعقوبة أو الضمان.

والمسؤولية الجنائية: وتنشأ عن الاعتداء على النفس، أو المال، أو العقل، أو العرض، مما يستوجب مساءلة الفاعل وعقوبته.

والمسؤولية الأخلاقية أو الأدبية: وتنشأ عن عصيان الأمر المطلوب شرعًا للقيام بفعل معين، أو الامتناع من فعل معين، مما يستوجب المؤاخذة، ويكون الوازع الديني هو الدافع للقيام بهذا الفعل، وهو المراقب والمحاسب عند

(١) انظر: المعجم الوسيط ص٤١١، الموسوعة الفقهية ١٧٨٤/٢.

(٢) المعجم الوسيط ص٤١١.

التقصير[1].

والالتزام بالإجراءات الاحترازية من الوباء؛ وامتثال القواعد السلوكية، وإن كان في الدرجة الأولى يعدُّ عبودية لله، أرشدت إليها الشريعة، وثمة من الفقهاء من ذكر أنها من جملة المستحبات، إلا أنه إذا كانت مخالفتها وعدم امتثالها سبباً يغلب على الظن منه نقل الوباء وانتشاره، وتعريض النفس للهلاك فإنه يُتأكد الأمر به للمقاصد والقواعد التي سبق إيرادها، فإن كان الأمر والإلزام بها من ولي الأمر فإن الامتثال واجب، لما له من سلطة في الإلزام في الأحكام الاجتهادية، فإن أخّل الفرد بذلك فهو مستحق للمساءلة والعقوبة، خاصة فيما تسن فيه العقوبات على المخالفة.

وتتمثل مسؤولية الفرد بالالتزام بالإرشادات السلوكية، وتطبيق الاحترازات الوقائية الموصى بها، كالامتناع عن السفر، أو التجمعات، أو لبس واقي الفم والأنف عند الخروج، واتباع تعليمات المقرات والمنشآت والمرافق في تطبيق إجراءات الوقاية، وغيرها مما سبق، والإفصاح عن الإصابة بالوباء، والتزام الحجر الصحي وعدم الخروج والاختلاط بالآخرين نهائيًّا، وتلقي المعلومات والأخبار من المصادر المعتمدة والمخولة بالتصريح عن كل ما يتعلق بذلك، وما يتعلق بالتثقيف الصحي أيضاً، وعدم نقل الشائعات وترويجها، لما لها من أثر سيء على الأفراد والمجتمع، والتبليغ عن كل ما من شأنه الإضرار بالآخرين أو تجاوز النظام، والتواصي والتكاتف مع المجتمع في كل ما يكون عوناً في تجاوز الأزمة.

---

(١) انظر: المسؤولية جراء الامتناع عن تقديم الواجب العام عند الحاجة في الفقه والقانون، مجلة جامعة النجاح (العلوم الإنسانية)، مجلد١٩، ٢٠٠٥،ص ٢٠٤.

ويشهد لذلك جملة من الأدلة فمما يدل على مسؤولية الفرد في تطبيق الإجراءات الاحترازية:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[1].

الدليل الثاني: ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني)[2].

وجه الدلالة من الآية والحديث: دلت الآية والحديث على وجوب طاعة ولاة الأمور وهي مقيدة بغير الأمر بالمعصية، والحكمة في الأمر بطاعتهم المحافظة على اتفاق الكلمة، لما في الافتراق من الفساد[3].

الدليل الثالث: حديث عائشة- رضي الله عنها- عندما سألت الرسول ﷺ عن الطاعون فقال: (كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، ما من عبد يكون في بلد يكون فيه، ويمكث فيه لا يخرج من البلد صابراً محتسباً، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد)[4].

---

(١) جزء من الآية ٩٥من سورة البقرة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام، باب قول الله: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، ص١٢٢٩، رقم ٧١٣٨، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ص٨٢٤، رقم:١٨٣٥.

(٣) انظر: فتح الباري ١١٢/١٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب القدر، باب (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ص١١٤٤، رقم٦٦١٩.

وجه الدلالة: هذا التوجيه من النبي ﷺ تأكيد على المسؤولية الملقاة على الفرد في المحافظة على نفسه وعلى الآخرين، والصبر على ذلك، والاحتساب عند الله.

ومن الأدلة على ذلك أيضاً:

ما رواه النعمان بن بشير –رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ أنه قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)[1].

وجه الدلالة: هذا الحديث أصل يقرر مسؤولية الفرد تجاه مجتمعه؛ إذ حرية تصرفاته موقوفة على تأثيرها في المجتمع، فمتى ما تعلق بتصرفاته ضرر على الآخرين وجب منعه منها، وعقوبته عليها.

وكما أن الفرد مسؤول عن نفسه فيما سبق فهو مسؤول كذلك عمن ولاه الله عليهم من الزوجة والأولاد والخدم والموظفين ونحوهم، فيمنعهم مما قد يلحق بهم الضرر أو بالآخرين، ويأمرهم بما يحقق السلامة والوقاية– بإذن الله– من الوباء.

والدليل على ذلك: ما رواه عبد الله بن عمر– رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال: (كلكم راع ومسؤول عن رعيته: فالأمير الذي على الناس

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه؟ ص٤٠٣، رقم: ٢٤٩٣.

فهو راع عليهم وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عن رعيته، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[1].

ومؤسسات المجتمع كالأفراد في تحمل هذه المسؤولية، في مؤسساتهم ومقرات الأعمال المختلفة، ومن تحت ولايتهم، فهم جزء من منظومة المجتمع، ويتوجب عليهم الالتزام التام بما يصدر من الجهات العليا والسلطات في الدولة من قرارات تقضي باتخاذ الاحتياطات الوقائية من الوباء، والتعاون في كل ما من شأنه تجاوز الأزمة بأقل الإضرار، ومخالفة ذلك يجعلهم تحت طائلة المحاسبة، وإيقاع العقوبة التعزيرية، لما سبق من الأدلة.

وقد يختص ببعض المؤسسات نوع من المسؤولية تساعد بشكل أو آخر على الوقاية -بإذن الله- من الوباء، فالمؤسسات الطبية يقع عليها مسؤولية العلاج، والاستعداد التام والتأهب من قبل الأطقم الطبية لاستقبال الحالات المرضية وإسعافها، والعناية القصوى بالإجراءات الاحترازية لعدم نقل الوباء إلى الأصحاء كون هذه الفئة من أكثر الناس تعرضاً له، والبحث العلمي في سبيل مكافحة الوباء، وعلاجه، وتشجيع ذلك، والتثقيف الصحي للمجتمع على كافة المستويات.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العتق باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي أو أمتي، ص٤١٢، رقم ٢٥٥٤، واللفظ له، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم،ص٨٢٠، رقم ١٨٢٩.

والمؤسسات الإعلامية يقع على عاتقها مسؤولية بث الوعي، ونشر المعلومات الصحية والوقائية من مصادرها الموثوقة، والتعاون مع المؤسسات المعنية لتنفيذ خطط وبرامج تساعد المجتمع على تجاوز هذه الأزمة.

والمؤسسة الأمنية والاحتسابية تتحمل مسؤولية الرقابة والمتابعة في تطبيق الإجراءات الاحترازية، وتنفيذ القرارات، وضبط المخالفات، وإحالتها للجهات المختصة.

وهذا جزء من رعاية الأمانة التي حملتها هذه المؤسسات على عاتقها، ووفاء بالعقد الذي بينها وبين الدولة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾(١).

والمؤسسات الشرعية مُطالبةٌ ببحث كل ماله علاقة شرعية بهذه النازلة، وبيانها للناس، مما يتعلق بالإجراءات الاحترازية التي تعين بعد توفيق الله على المحافظة على الصحة، والحد من تفشي الوباء، أو ما تولده هذه النازلة من تأثير على بعض الأحكام الشرعية في شتى أبواب الفقه كالعبادات، والمعاملات، وأحكام الأسرة، والجنايات، والقضاء، ومطالبةٌ كذلك بتذكير الناس بالتوبة إلى الله والالتجاء إليه والتضرع له برفع الوباء.

قال ابن القيم في معرض حديثه عن جواز الاجتهاد بالفتوى في الحادثة التي ليس فيها قول لأحد العلماء: (وعلى هذا درج السلف والخلف، والحاجة داعية إلى ذلك لكثرة الوقائع، واختلاف الحوادث، ومن له مباشرة لفتاوى الناس يعلم أن المنقول وإن اتسع غاية الاتساع، فإنه لا يفي بوقائع العالم جميعها،

(١) جزء من الآية ٣٤ سورة الإسراء.

وأنت إذا تأملت الوقائع رأيت مسائل كثيرة واقعة وهي غير منقولة، ولا يعرف فيها كلام لأئمة المذاهب ولا أتباعهم)[1].

وقال أيضاً: (وقد جوز ﷺ للحاكم أن يجتهد رأيه، وجعل له على خطئه في اجتهاد الرأي أجراً واحداً، إذا كان قصده معرفة الحق واتباعه، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يجتهدون في النوازل، ويقيسون بعض الأحكام على بعض، ويعتبرون النظير بنظيره)[2].

(١) إعلام الموقعين ٦/٢٠٨.

(٢) شرح سنن أبي داود ٩/٥١٢.

المبحث الثالث: سلطة ولي الأمر في الإلزام بالإجراءات الاحترازية للوقاية من الوباء.

المقصود بالسلطة في اللغة: مشتقة من الفعل سلط، والتسلط التغليب والقهر والقدرة، ومنه سمي السلطان بذلك(١).

وفي الاصطلاح يقصد بها: امتلاك القدرة الفاعلة للقيام فيما من شأنه تدبير أمور الدولة(٢).

وهذه السلطة يملكها من نُصّب حاكماً على الناس، وبموجبها في الشريعة الإسلامية يثبت استحقاق تصرف ولي الأمر على المسلمين في أمور الدين والدنيا في حدود الشرع، ودائرة مقاصده(٣)، ولا تستقيم أمور الناس في دينهم ودنياهم وتدبير أحوالهم بدون نصب إمام له هذا الحق، ولا يتحقق جلب المصالح ودرء المفاسد عن الأمة وحفظ مقاصد الشريعة إلا باجتماع الناس على إمام.

فولي الأمر منحه الشرع الحق في إلزام الرعية بفعل الواجبات الشرعية وترك المحرمات، وإظهار الشعائر الدينية، وعلى أداء الحقوق، وإقامة العدل الشامل، وله في ذلك اتخاذ الوسائل المادية والمعنوية المناسبة؛ بما في ذلك إصدار التنظيمات المنبثقة من قواعد الشريعة لتنظيم معاملات الناس، كما أن له استخدام القوة المادية في إجبار الرعية على الانقياد لأحكام الشرع وأنظمة

---

(١) انظر: القاموس المحيط، ص٨٦٧، مادة س ل ط.

(٢) النظام السياسي في الإسلام ص ١٦٤.

(٣) انظر: البحر الرائق ٢٩٨/٦، غياث الأمم في التياث الظلم ص ١٣٥.

الدولة[١].

ومن رعاية الناس والقيام بمصالحهم؛ رعاية الإمام لكل ما من شأنه حفظ الصحة ودفع الأسقام، وقد أشار الفقهاء إلى ذلك في مناسبات عديدة ابتداء من أخذ العهد على الأطباء واختبارهم في فنهم، والاحتساب عليهم[٢]، إلى تضمينهم والحجر عليهم لجهلهم وإضرارهم بالناس[٣]. وقد ذكروا أنه مما يجب على ولاة الحسبة مراعاته من ناحية التمام والتقصير: الطبيب، لأن عمله إقدام على النفوس[٤].

وفي خصوص الإجراءات الاحترازية من الأمراض؛ ذكر ابن عابدين في معرض حديثه عن العائن ووجوب منع الإمام له من مداخلة الناس لضرره، ذكر أنه كضرر المجذوم الذي منعه عمر- رضي الله عنه- من مخالطة الناس، كما في قصة المجذومة التي كانت تطوف في البيت[٥].

وقال محمد بن رشد: (إنه إذا كان له مال أمر بأن يشتري لنفسه من يقوم بأمره ويخرج له، ويستسقي له ماءه، أو يستأجر له من يفعل له ذلك كله، فإن لم يكن له مال كان من الحق على الإمام أن يقوم له بذلك من بيت مال

---

(١) سلطة ولي الأمر في الأحكام الاجتهادية ص١٣٧.

(٢) انظر: معالم القربة ١/١٦٦-١٦٩.

(٣) انظر: درر الحكام ١/٣٢١، حاشية ابن عابدين ٦/١٤٧.

(٤) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي ص٣٣٥، والأحكام السلطانية لأبي يعلى ص٣٠٢.

(٥) أصل القصة هي أن امرأة مجذومة كانت تطوف في البيت فرآها عمر- رضي الله عنه- فنهاها عن الخروج من البيت لئلا تؤذي الناس، وستأتي في أدلة القول بمشروعية إلزام ولي الأمر بالإجراءات الاحترازية.

المسلمين؛ لأن استسقاءه الماء معهم من مائهم ضرر بهم)[١].

وجاء في أسنى المطالب: (المجذوم والأبرص يمنعان من المسجد ومن صلاة الجمعة ومن اختلاطهما بالناس)[٢].

وكذلك في كشاف القناع: (ولا يجوز للجذماء مخالطة الأصحاء عموماً ولا مخالطة أحد معين صحيح إلا بإذنه، وعلى ولاة الأمور منعهم من مخالطة الأصحاء بأن يسكنوا في مكان مفرد لهم ونحو ذلك، وإذا امتنع ولي الأمر من ذلك أو المجذوم أثم، وإذا أصر على ترك الواجب مع علمه به فسق)[٣].

وقد ألزم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان جميع الدول بتوفير المستوى الصحي والرعاية الصحية للإنسان في المادة الرابعة والعشرين[٤]. ثم جاء العهد الدولي فتضمن إقرار الدول بتحقيق أعلى مستوى من رعاية الصحة باتخاذ عدة تدابير من بينها: الوقاية من الأمراض الوبائية والمتوطنة وعلاجها ومكافحتها[٥]، كما أن النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية في الباب الخامس في الحقوق والواجبات في المادة السابعة والعشرين والحادية والثلاثين، والثانية والثلاثين، يتضمن حق المواطن في توفير الرعاية الصحية، وحماية البيئة من

---

(١) البيان والتحصيل ٩/٤٠٩.

(٢) أسنى المطالب ١/٢١٣.

(٣) ٦/١٢٦.

(٤) انظر: الإعلان في موقع هيئة حقوق الإنسان السعودية على الرابط:
https://hrc.gov.sa/ar-sa/Pages/hrclibrary.aspx

(٥) انظر: العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على مكتبة حقوق الإنسان بجامعة منيسوتا الرابط :

http://hrlibrary.umn.edu/arab/b002.html

التلوث[١]. وقد يتطلب تطبيق هذا الأمر في بعض الحالات، إلزام ولي الأمر المواطنين بإجراءات صحية تكفل بعد توفيق الله حماية الفرد والمجتمع من خطورة الأمراض المتفشية والخطيرة.

وقد كان من ضمن قرارات مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي في دورته السابعة: لولي الأمر الإلزام بالتداوي في بعض الأحوال كالأمراض المعدية، والتحصينات الوقائية[٢].

ومما يدل على مشروعية إلزام ولي الأمر بالإجراءات الاحترازية من الأوبئة عموماً ومن وباء كورونا خصوصاً ما يلي:

الدليل الأول: ما رواه عبدالله بن عمر– رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال: (كلكم راع ومسؤول عن رعيته: فالأمير الذي على الناس فهو راع عليهم وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عن رعيته، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[٣].

---

(١) انظر: النظام الأساسي للحكم ص١٧–١٨ على الرابط :

https://nshr.org.sa/wp-content/uploads/2013/10/528_PDF1.pdf

(٢) انظر: القرار على موقع المجمع على الرابط : http://www.iifa-aifi.org/rr/d٧sa

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العتق باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي أو أمتي، ص٤١٢، رقم ٢٥٥٤، واللفظ له، ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم،ص٨٢٠، رقم ١٨٢٩.

وجه الدلالة: الحديث فيه دلالة على أن الإمام يجب عليه رعاية من استرعاه الله عليهم، ورعايتهم تكون بما يحقق لهم المصالح ويدرأ عنهم المفاسد(١)، ومن ذلك الإلزام بكل ما يدفع عنهم الضرر والهلاك. قال النووي: (ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته)(٢).

وقال البغوي: (فرعاية الإمام: ولاية أمور الرعية، والحياطة من ورائهم، وإقامة الحدود والأحكام فيهم)(٣).

الدليل الثاني: ما جاء عن عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت: دفَّ أهلُ أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمن رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ادخروا ثلاثاً ثم تصدقوا بما بقي». فلما كان بعد ذلك، قالوا: يا رسول الله إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم ويجملون منها الودك(٤)،فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك»؟ قالوا: نهيتَ أن تُؤكل لحومُ الضحايا بعد ثلاثٍ. فقال: « إنما نهيتُكم من أجلِ الدّافة التي دفّت فكلوا وادخروا وتصدقوا»(٥).

---

(١) انظر: السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٣.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٤١٧/١٢.

(٣) شرح السنة للبغوي ٣١١/٥.

(٤) يجملون: أي يذيبونه لاستخراج الدهن منه. انظر: النهاية ٧١٣/٢. والودك: دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه، انظر: النهاية ٤٣٧٩/٩.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأضاحي، باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها، ص٩٨٩ رقم :٥٥٦٩، و مسلم في صحيحه في كتاب الأضاحي، باب ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء؛ ص ٨٧٩،رقم :١٩٧١ واللفظ له.

وجه الدلالة: في الحديث دلالة على أن للإمام إذا رأى مصلحة أو حاجة في أمرٍ ما أن يأمر الناس به[١]؛ لأن النبي ﷺ ألزمهم بأكل الأضاحي وعدم ادخارها أكثر من ثلاثة أيام لحاجة الناس والشدة التي كانوا فيها، ويقاس عليها غيرها مما فيه رعاية المصالح بدفع الضرر، كالإلزام بالإجراءات الاحترازية من الوباء.

قال المهلب: (إنما كان ذلك من أجل الجهد، ومن أجل الدافة[٢]، فكان نظراً منه عليه السلام لمعنى، فإذا زال المعنى سقط الحكم، وإذا ثبت المعنى ورأى ذلك الإمام عهد بمثل ما عهد به عليه السلام توسعة على المحتاجين)[٣].

الدليل الثالث: ما جاء عن عمر رضي الله عنه في قصة خروجه للشام وبلوغه تفشي الطاعون فيها، وأمره لمن خرج معه بالعودة إلى المدينة وعدم الدخول[٤].

وجه الدلالة: أن فعل عمر رضي الله عنه وهو ولي أمر المسلمين آنذاك- إنما هو من باب الامتثال لأمر النبي ﷺ وحفظ الناس الذين ولاهم الله أمرهم، ورجوع الصحابة مع عمر رضوان الله عليهم للمدينة وعدم نزولهم الشام، إنما هو من باب السمع والطاعة لولي أمرهم، وقد أمرهم بذلك نزولًا عند الخبر الوارد عن النبي ﷺ لما بلغه، والله أعلم.

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٦/ ٣١.

(٢) من الفعل دفّ، وهم القوم يسيرون جماعة سيراً ليس بالشديد، وفي هذا الحديث يقصد بهم: قوم من الأعراب قدموا المدينة عند عيد الأضحى فنهاهم عن ادخار لحوم الأضاحي ليفرقوها ويتصدقوا بها فينتفع أولئك القادمون إليها، انظر: النهاية في غريب الحديث ٤/١٣٨٤.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٦/٣١.

(٤) سبقت في ص٢٠.

قال ابن حجر ذاكراً فوائد الحديث: (وفيه تفقد الإمام أحوال رعيته)[1].

الدليل الرابع: ما رواه ابن أبي مليكة أن عمر- رضي الله عنه- مرّ بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت، فقال لها: (يا أمة الله لا تؤذي الناس، لو جلست في بيتك)، فجلست، فمر بها رجل بعد ذلك؛ فقال لها: إن الذي كان نهاك قد مات فاخرجي فقالت: ما كنت لأطيعه حيًّا وأعصيه ميتًا[2].

وجه الدلالة: أن هذا التصرف من الخليفة عمر ﷺ وهو ولي أمر المسلمين- دليل على جواز الإلزام بالإجراءات الاحترازية من قبل ولاة الأمور، قال ابن عبد البر: (وفي هذا الحديث من الفقه الحكم بأن يحال بين المجذومين وبين اختلاطهم بالناس لما في ذلك من الأذى لهم، وأذى المؤمن والجار لا يحل، وإذا كان آكل الثوم يؤمر باجتناب المسجد، وكان في عهد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ربما أخرج إلى البقيع فما ظنك بالجذام؟ وهو عند بعض الناس يعدي وعند جميعهم يؤذي، وأما قول عمر للمرأة لو جلست في بيتك بعد أن أخبرها أنها تؤذي الناس؛ فإن ذلك كان منه – والله أعلم – من لين القول لها.....- إلى أن قال -: فلهذا – والله أعلم – لم يزجرها ولم ينهها وأشار إليها إشارة كانت منها مقبولة، ولعله لم تخطئ فراسته فيها فأطاعته حيًّا وميتًا)[3].

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر ١٠/١٩٠.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الحج باب جامع الحج ١/٥٦٧، رقم : ١٢٧٥، وعبدالرزاق في مصنفه في كتاب الحج باب الطواف أفضل أم الصلاة وطواف المجذوم ٥/٧١، رقم :٩٠٣١.

(٣) الاستذكار ١٣/٣٥٥.

الدليل الخامس: إن قواعد الشريعة تدل بمجموعها في جملة من الأحكام على أن: (تصرف الإمام منوط بالمصلحة)[1]، ومن المصلحة إلزام الناس بتطبيق الإجراءات الاحترازية من تفشي الأوبئة عموماً ووباء كورونا خصوصاً؛ لأن ذلك يحد من انتشار المرض وتفشيه بشكل سريعٍ بين عدد كبير، مما يثقل كاهل الأطباء بالرعاية الصحية في زمنٍ واحدٍ، ويؤدي إلى تدهور المنظومة الصحية، والعناية الفائقة لعدم كفاية أجهزة التنفس الصناعي، وغرف العناية المشددة.

الدليل السادس: أن من قواعد الشريعة التي تنتظم بها جملة من الأحكام الشرعية الاجتهادية قاعدة: (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)[2]، والإلزام بالإجراءات الاحترازية من الوباء وإن كان يترتب عليها تعطل بعض المصالح كتوقف الأعمال، والسفر، وحد الحريات ونحوها، إلا أن المفاسد المترتبة من عدم تطبيقها، تربو على ذلك، بل قد تشل حركة الناس لفشو المرض وتلحق بهم الضرر.

(١) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٢/٢٥٢، الأشباه والنظائر للسيوطي ص١٥٨.

(٢) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/٧٤، الأشباه والنظائر لابن نجيم ص٧٨.

المبحث الرابع: جهود المملكة العربية السعودية في مكافحة وباء كورونا (فيروس كوفيد١٩).

إيماناً من المملكة العربية السعودية بدورها، وانطلاقاً من النظام الأساسي للحكم، والذي ينص في الباب الخامس؛ في الحقوق والواجبات؛ في المادة السابعة والعشرين: (تكفل الدولة حق المواطن وأسرته في حالة الطوارئ، والمرض، والعجز، والشيخوخة، وتدعم الضمان الاجتماعي، وتشجع المؤسسات والأفراد على الإسهام في الأعمال الخيرية)، والمادة الحادية والثلاثين: (تعنى الدولة بالصحة العامة، وتوفر الرعاية الصحية لكل مواطن)، والمادة الثانية والثلاثين: (تعمل الدولة على المحافظة على البيئة، وحمايتها، وتطويرها، ومنع التلوث عنها)[١]، قامت الدولة بمؤسساتها المختلفة بجهود مشكورة لمكافحة وباء كورونا، والتصدي لآثاره، ليس على الصعيد المحلي فقط بل حتى الصعيد الدولي، وهذه الجهود كانت بإشراف ودعم مباشر من خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين، مما ساهم بشكل كبير في تجاوز هذه الأزمة بإذن الله، وما تزال الجهود قائمة حتى يأذن الله بكشف هذه الغمة.

وهذه الجهود تتمثل بحزمة من الإجراءات التي يمكن تصنيفها إلى عدة أصناف: القرارات، ودعمها بما يكفل لها النجاح، والخدمات، والدعم الدولي.

فعلى صعيد القرارات، أصدرت الحكومة السعودية قرارات عدة ساعدت بشكل كبير على تحجيم انتشار الوباء، ومن الأمثلة على ذلك: تعليق السفر

(١) انظر: النظام الأساسي للحكم ص١٧-١٨ على الرابط :

https://nshr.org.sa/wp-content/uploads/2013/10/528_PDF1.pdf

من وإلى المملكة جوًّا وبرًّا، وتعليق الدراسة الحضورية، وتعليق الحضور إلى مقرات العمل باستثناء القطاعات الأمنية والصحية، وتعليق جميع المناسبات والأفراح والأنشطة التي تتسم بالتجمعات، وإيقاف صلاة الجمعة والجماعة في المساجد، وتعليق حضور المصلين والزائرين للحرمين الشريفين، وفرض حظر التجول كليًّا أو جزئيًّا في بعض المناطق، وإغلاق الأسواق وبعض المحلات التجارية، في فترات مختلفة تتناسب مع مراحل الوباء(١).

وقد أسهم في نجاح تطبيق هذه القرارات بعض الإجراءات، كتكثيف التوعية بأهميتها عبر الوسائل الإعلامية المتعددة، وسن العقوبات في حال المخالفة، وتكثيف الجهود الأمنية في متابعة تنفيذ هذه القرارات، وإنشاء المنصات والتطبيقات الذكية التي تساعد الأفراد على تسيير أمور حياتهم في هذه الأزمة، كتحويل التعليم عن بعد عبر منصات تعليمية أقرتها وزارة التعليم(٢)، واعتماد البرامج المساعدة على أتمتة(٣) الإجراءات الحكومية عن بعد، وكذلك تفعيل التطبيقات الذكية التي تخدم الشخص من الناحية الصحية، أو توفير

---

(١) انظر: التقرير الإعلامي اليومي لمستجدات (كوفيد ١٩)، مركز التواصل والمعرفة المالية، على الرابط:

https://www.mof.gov.sa/mediacenter/KnwoledgeCommunication_Center/Documents/31May2020.pdf

(٢) انظر: موقع وزارة التعليم عبر الرابط:

https://www.moe.gov.sa/ar/Pages/default.aspx

(٣) الأتمتة هي مصطلح يطلق على كل شيء يعمل ذاتيًّا بدون تدخل بشري، وهي عملية تهدف إلى جعل المعامل أكثر اعتماداً على الآلات بدلاً من الإنسان، انظر: ويكبيديا على الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%B4%D8%BA%D9%8A%D9%84_%D8%A2%D9%84%D9%8A

المستلزمات المعيشية، ونحوها، مما يسهم في تفعيل الإجراءات الاحترازية.

وعلى صعيد الخدمات، قامت وزارة الصحة بدعم من حكومة المملكة بجهود مباركة في مسارين متوازيين، مسار التوعية والتثقيف، ومسار الكشف والعلاج.

فالمسار التوعوي التثقيفي يتمثل في إصدار الأدلة الإرشادية، والبروتوكولات العلاجية، والتوعية بكل ما يخص الجائحة ومستجداتها، عبر موقع وزارة الصحة، والوسائل الإعلامية، ومواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك الإعلان عن قنوات التواصل السريع للمواطنين والمقيمين مع وزارة الصحة، عبر الأرقام الهاتفية، وتطبيقات الأجهزة الذكية (كتطبيق صحة، وتطمن).

والمسار الكشفي والعلاجي، تمثل في استقبال الطواقم الطبية للمسافرين في كافة مطارات المملكة، ومنافذها البرية والبحرية للكشف عليهم، وكذلك تقديم الرعاية الصحية، والخدمات العلاجية للمصابين سواء من المواطنين، أو المقيمين، أو حتى مخالفي أنظمة الإقامة، وكذلك إجراء الفحوصات في حالات الإصابة أو الاشتباه عبر عدة مواقع ثابتة ومتحركة في جميع مناطق المملكة[1].

---

(١) انظر: موقع وزارة الصحة من خلال الروابط التالية:

https://www.moh.gov.sa/Ministry/Forms/CommunicationCenter937/Documents/call-center-937.pdf

https://www.moh.gov.sa/Ministry/MediaCenter/News/Pages/News-2020-05-08-004.aspx

https://www.moh.gov.sa/HealthAwareness/EducationalContent/PublicHealth/Pages/Expanded_Testing.aspx

وموقع وكالة الأنباء السعودية واس: https://www.spa.gov.sa/2052997

وموقع الهيئة العامة للطيران المدني : https://gaca.gov.sa/web/ar-

وعلى صعيد الدعم الدولي قامت حكومة المملكة مشكورة بالتبرع بمبلغ عشرة ملايين دولار لمنظمة الصحة العالمية لدعم جميع بلدان المنطقة، وتقديم مساعدات عبارة عن معدات طبية لدولة الصين، ونقل المعدات الطبية ولوازم العاملين في مجال الصحة واختبارات الفحص المختبري، والأدوية وغيرها من الإمدادات الطبية إلى اليمن(١).

وما هذا وغيره من حكومة المملكة العربية السعودية — حماها الله- إلا استشعارًا للمسؤولية، وحفاظاً على حياة الفرد ودور المجتمع، لتجاوز هذه الأزمة بإذن الله.

---

(١) انظر: موقع منظمة الصحة العالمية على الرابط: https://www.who.int/news-room/feature-stories/detail/who-saudi-arabia-join-forces-to-fight-covid-١٩-in-the-eastern-mediterranean-region-and-beyond sa/news/translation-of-ar_sa-03/03/2020-aa_80156

الخاتمة:

أحمد الله سبحانه وتعالى على ما يسر وأعان من إنجاز هذا البحث وإتمامه، وفي ختامه أعرض أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي على النحو التالي:

١- المقصود بالإجراءات الاحترازية من الأوبئة: الخطوات والتدابير المتخذة للمحافظة على صحة الإنسان من الأمراض التي تحمل صفة الانتشار والتفشي بين البشر.

٢- أن وباء كورونا عبارة عن فيروس يصيب الجهاز التنفسي، سريع الانتشار، وآثاره تتراوح ما بين المعتدلة إلى الفتاكة.

٣- تميزت الشريعة الإسلامية بعنايتها للفرد في حال الصحة والمرض، وتميز الفقه بثرائه بالتشريعات الوقائية ضد الأمراض.

٤- اتفق الفقهاء – رحمهم الله – على أن الخروج من البلد الذي وقع فيه الوباء لحاجة كطلب علاج ونحوه جائز ومستثنى من النهي، واتفقوا كذلك على أن الخروج من البلد الذي وقع فيه الوباء لغير حاجة معتبرة منهي عنه.

٥- الراجح من قولي أهل العلم تحريم الخروج من البلد الذي نزل فيه الطاعون، وغيره من الأوبئة التي تماثله في سرعة السريان والانتشار، وأن النهي الوارد في الحديث محمول على التحريم لا الكراهة.

٦- الحجر الصحي على القادمين من البلدان الموبوءة، وإجراء الفحص الطبي الكاشف عن المرض، والإلزام به أمر جائز ومشروع.

٧- أن عزل المصابين بالوباء أو المشتبه بهم يعدُّ من التداوي المطلوب شرعاً،

وقد يصل إلى حكم الوجوب في بعض الحالات.

٨- الذي يظهر والله أعلم جواز فرض حظر التجول إذا لم يمكن السيطرة على الوباء والحد من انتشاره إلا بذلك، وقد يكون واجباً إذا كان أمراً من ولي الأمر، مع التأكيد على مراعاة المقاصد الشرعية الأخرى من حفظ الدين والنفس، والأخذ بكافة الاحتياطات اللازمة لتحقيق السلامة.

٩- تداوي المصاب بالمرض الوبائي يختلف حكمه باختلاف الوباء وخطورته، ومدى قابليته للعلاج، وتوفره، وقدرته عليه، وكونه آمنًا لا ضرر فيه، وفي مثل وباء كورونا يشرع للمصاب التداوي بما يخفف المرض، ويجب عليه مراعاة الجانب الوقائي من الالتزام بالحجر الصحي، وعدم مخالطة الآخرين فترة المرض.

١٠- اعتنت السنة النبوية بجانب التثقيف الصحي للفرد، في جانب من الإرشادات والتوجيهات المتعددة، وهذا يعدُّ من واجبات الطبيب المنوطة به، والأخلاقيات التي يجب أن يتحلى بها في أثناء مزاولة مهنته.

١١- اعتنت السنة النبوية بصحة الفرد في جانبي الوقاية والعلاج، ووجهته في كافة جوانب حياته بما يكفل له الصحة- بإذن الله- في طعامه، وشرابه، ونومه، وقضاءه للحاجة، وطهارته، وكافة سلوكياته.

١٢- الأدلة الشرعية جاءت بتحميل الفرد مسؤولية الالتزام بكل ما يساعد على المحافظة على الصحة، وتطبيق الإجراءات الاحترازية من تفشي الأوبئة، وتنفيذ ما يصدر من السلطات العليا، وتحميله مسؤولية من ولاه الله عليهم، وكذلك المؤسسات المجتمعية، الطبية، والشرعية، والإعلامية، والأمنية،

والاحتسابية، كل على حسب مسؤوليته وواجباته المنوطة به.

١٣- إلزام ولي الأمر بالإجراءات الاحترازية من الأوبئة مشروع دلت عليه الأدلة النقلية، والقواعد الفقهية، والمقاصد الشرعية.

١٤- المملكة العربية السعودية رائدة في التعامل مع جائحة وباء كورونا بكافة مؤسساتها، وجهودها بارزة في عدة مجالات، وحققت نجاحاً بفضل الله في التخفيف من انتشاره، بحزمة من القرارات والخدمات المختلفة.

فهرس المصادر:

١- القرآن الكريم

٢- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن سليمان المرداوي، دار إحياء التراث العربي، ط:الثانية.

٣- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، للإمام أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، دار الوطن، الرياض، ط: الأولى ١٤٢٠هـ.

٤- إرشاد القاصد إلى معرفة المقاصد، د. يعقوب الباحسين، ط: دار التدمرية، الرياض، الأولى، ١٤٣٨هـ.

٥- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، لابن عبد البر أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر النمري، اعتنى به: د. عبد المعطي قلعجي، ط: دار قتيبة دمشق، دار الوعي، حلب – القاهرة، الأولى، ١٤١٤هـ.

٦- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ.

٧- الأشباه والنظائر، لزين الدين بن إبراهيم ابن نجيم، اعتنى به: زكريا عميرات، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى،١٤١٩.

٨- الآثار المترتبة على الإصابة بالأمراض المعدية في المنظور الشرعي والطبي، يوسف صلاح الدين يوسف، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ط: الأولى ٢٠٠٨م.

٩- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله الأندلسي المالكي المعروف بابن العربي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى.

١٠- الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، تحقيق: محمد حامد الفقي،ط: دار الكتب العلمية،بيروت،١٤٢١هـ.

١١- الأحكام السلطانية والولايات الدينية لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي،تحقيق:

أحمد المباركي،ط: مكتبة دار ابن قتيبة،الكويت، الأولى،١٤٠٩هـ.
١٢- الآداب الشرعية والمنح المرعية، لمحمد بن مفلح بن محمد المقدسي، عالم الكتب.
١٣- الأدلة الإرشادية للمراقبة الوبائية والإجراءات الوقائية للأمراض المعدية، إعداد جمع من المختصين بوزارة الصحة في المملكة العربية السعودية، ط: ١٤٢٨هـ.
١٤- إرواء الغليل في أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط: الأولى ١٣٩٩هـ.
١٥- أسنى المطالب شرح روض الطالب، أبو يحيى زين الدين زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، دار الكتاب الإسلامي.
١٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق: مشهور حسن سلمان، ط: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤٢٣هـ.
١٧- البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف الشهير بابن حيان الأندلسي، عناية:عرفان حسونة، ط:المكتبة التجارية،مصطفى أحمد الباز، مكة المكرمة.
١٨- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي، اعتنى به: عبد القادر العاني، ط: الثانية ١٤١٣هـ
١٩- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، دار الكتب العلمية، ط: الثانية ١٤٠٦هـ.
٢٠- بذل الماعون في فضل الطاعون، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار العاصمة، الرياض.
٢١- بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية، لمحمد بن مصطفى الخادمي، ط: مطبعة الحلبي ١٣٨٤هـ.
٢٢- البيان والتحصيل، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، دار الغرب الإسلامي، ط: الثانية١٤٠٨هـ.
٢٣- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضي الزبيدي، تحقيق: عبد القادر مزاج،

مطبعة الكويت، ١٣٨٥هـ.
٢٤- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، دار الكتاب الإسلامي، ط: الثانية
٢٥- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، راجعه، عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر.
٢٦- التصور الطبي حول قاعدتي (لاضرر ولا ضرار) و (المشقة تجلب التيسير) د. عبدالجواد الصاوي، ضمن أبحاث ندوة تطبيق القواعد الفقهية على المسائل الطبية، التي أقامتها وزارة الصحة، في مدينة الرياض.
٢٧- التقرير الإعلامي اليومي لمستجدات (كوفيد ١٩)، مركز التواصل والمعرفة المالية، على الرابط:
https://www.mof.gov.sa/mediacenter/KnwoledgeCommunication_Center/Documents/31May2020.pdf
٢٨- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي، الفاروق الحديثية، القاهرة، ط: الثالثة ١٤٢٤هـ.
٢٩- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، للحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، المعروف بابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، السابعة، ١٤١٩هـ.
٣٠- حاشية الجمل على شرح المنهج، المعروفة بفتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب، سليمان الجمل، دار الفكر.
٣١- حاشية الصاوي المسمى ببلغة السالك لأقرب المسالك، محمد بن أحمد الخلوي، الشهير بالصاوي، دار المعارف.
٣٢- حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني، علي الصعيدي العدوي، دار الفكر، ط:١٤١٤هـ.
٣٣- الحجر الصحي، د عبدالله السعيد، ط: دار الضياء، الأردن، الأولى،١٤١٠هـ.

٣٤- درر الحكام شرح غرر الأحكام، للقاضي محمد بن فراموز الشهير بمنلاخسرو، دار إحياء الكتب العربية.
٣٥- الدستور العالمي الإسلامي للأخلاقيات الطبية والصحية
https://apps.who.int/iris/bitstream/handle/10665/122352/EM_RC52_7_ar.pdf?sequence=1&isAllowed=y
٣٦- الذخيرة، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.
٣٧- رد المحتار على الدر المختار في شرح تنوير الأبصار حاشية ابن عابدين، محمد بن أمين بن عمر ابن عابدين، دار الفكر، بيروت، ط: الثانية ١٤١٢هـ.
٣٨- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثامنة ١٤١٥هـ.
٣٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط: ١٤١٥هـ.
٤٠- سلطة ولي الأمر في الأحكام الاجتهادية، حمود محمد الغشيمي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، منشورة في الشبكة العنكبوتية.
٤١- سنن ابن ماجه للإمام أبي عبد الرحمن بن يزيد بن ماجه القزويني، إشراف: د. صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط: الثانية ١٤٢١هـ.
٤٢- سنن أبي داود سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، إشراف: د. صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط: الثانية ١٤٢١هـ.
٤٣- سنن الترمذي للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، إشراف: د. صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط:الثانية ١٤٢١هـ.
٤٤- السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية، في الهند حيدر آباد، ١٣٤٤هـ.

٤٥- سنن النسائي، للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، إشراف: د. صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط: الثانية ١٤٢١هـ.
٤٦- شرح التلويح على التوضيح، مسعود بن عمر التفتازاني، ط: مكتبة صبيح، مصر.
٤٧- شرح مختصر خليل، محمد عبد الله الخرشي، دار الفكر.
٤٨- شرح سنن أبي داود (مع عون المعبود)، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق: عبدالرحمن عثمان، ط:المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الثانية، ١٣٨٨هـ.
٤٩- شرح السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: علي معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية،١٤٢٤هـ.
٥٠- شرح صحيح البخاري لأبي الحسن علي بن خلف بن عبدالملك المعروف بابن بطال، اعتنى به: أبو تميم ياسر إبراهيم، ط: مكتبة الرشد،الرياض.
٥١- شرح صحيح مسلم للإمام محيي الدين بن شرف النووي، دار المعرفة، بيروت، ط: الثانية ١٤١٥هـ، تحقيق: خليل مأمون شيحا.
٥٢- شرح معاني الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
٥٣- شرح منتهى الإرادات المسمى بدقائق أولي النهى لشرح المنتهى، منصور بن يونس البهوتي، عالم الكتب، ط: الأولى ١٤١٤هـ
٥٤- صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، إشراف: د. صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط: الثانية، ١٤٢١هـ.
٥٥- صحيح سنن أبي داود، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط: الأولى ١٤١٩.
٥٦- صحيح سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط: الأولى ١٤١٩.
٥٧- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري،

إشراف: د. صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط الثانية ١٤٢١هـ.
٥٨- الطاعون بين الطب وحديث المصطفى، د: محمد البار، مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، التابعة لرابطة العالم الإسلامي على الرابط:
https://search.mandumah.com/Record/107569
٥٩- الطب الوقائي في الإسلام، العميد الصيدلي: عمر محمود عبد الله، دار الثقافة، الدوحة، ط: الأولى ١٤١١هـ.
٦٠- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبي محمد محمود أحمد العيني، اعتنى به: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤٢١هـ.
٦١- العناية شرح الهداية، محمد بن محمود البابرتي، دار الفكر.
٦٢- غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، لأحمد بن محمد الحنفي الحموي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤٠٥هـ
٦٣- غياث الأمم في التياث الظلم، لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني، تحقيق: مصطفى حلمي، فؤاد عبد المنعم، ط: دار الدعوة، مصر.
٦٤- فتاوى الرملي، لشهاب الدين أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي الشافعي، دار الفكر، ط: ١٤٠٣هـ.
٦٥- الفتاوى الفقهية الكبرى لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، المكتبة الإسلامية.
٦٦- الفتاوى الهندية، جماعة من علماء الهند، دار الفكر، ط:الثانية ١٣١٠هـ.
٦٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.
٦٨- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، ضبطه: أحمد عبدالسلام، ط: دار الكتب العلمية،بيروت، الأولى،١٤١٥هـ.
٦٩- الفروع، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، عالم الكتب، ط: الرابعة ١٤٠٠هـ.

٧٠- الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني، لأحمد بن غنيم بن سالم النفراوي، دار الفكر، ط:١٤١٥هـ.
٧١- فيض القدير شرح لجامع الصغير، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، ط: دار المعرفة، بيروت، الثانية، ١٣٩١هـ.
٧٢- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ
٧٣- قواعد الأحكام في مصالح الأنام لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي، مؤسسة الريان، بيروت،ط: الثانية ١٤١٩هـ.
٧٤- كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، دار الفكر عالم الكتب، ١٤٠٢هـ.
٧٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لمحمود بن عمر الزمخشري، عناية: مصطفى حسين أحمد، ط: دار الكتاب العربي، بيروت،الثالثة،١٤٠٧ هـ.
٧٦- الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لمحمد الأمين بن عبدالله الهرري، راجعه: لجنة من العلماء، ط: دار المنهاج، جدة، دار طوق النجاة، بيروت، الأولى، ١٤٣٠ هـ.
٧٧- المبدع شرح المقنع، لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى١٤١٨هـ
٧٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: عبد الله الدرويش، دار الفكر، بيروت، ط:١٤١٤هـ.
٧٩- المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، مكتبة الإرشاد ومكتبة المطيعي.
٨٠- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤١٦هـ.

٨١- المدخل لمحمد بن محمد العبدري (ابن الحاج) دار التراث.
٨٢- المسؤولية جراء الامتناع عن تقديم الواجب العام عند الحاجة في الفقه والقانون، مجلة جامعة النجاح (العلوم الإنسانية)، مجلد١٩، ٢٠٠٥.
٨٣- مسند أبي يعلى الموصلي، للإمام أحمد بن علي بن المثنى التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط: الثانية١٤١٠هـ.
٨٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢١هـ.
٨٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، دار الفكر.
٨٦- المصنف لأبي بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الأعظمي، ط: المكتب الإسلامي،بيروت، الثانية،١٤٠٣.
٨٧- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق: غنيم بن عباس بن غنيم، ط: دار الوطن، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.
٨٨- معالم القربة في معالم الحسبة، لمحمد بن محمد بن أحمد بن الأخوة،،ط: مكتبة المتنبي،القاهرة.
٨٩- المعجم الأوسط، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين، القاهرة، ط:١٤١٥هـ.
٩٠- المعجم العربي الأساسي، للناطقين بالعربية ومتعلميها، تأليف: جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العر بية للتربية والثقافة والعلوم،
٩١- المعجم الفقهي اللفظ المستغرب من شواهد المهذب، لأبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن القلعي، تحقيق: د. خالد إسماعيل حسان،ط: مكتبة الآداب،القاهرة، الأولى، ١٤٣٠هـ.
٩٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، ط:الرابعة ١٤٢٥هـ.
٩٣- المغرب في ترتيب المعرب، أبو الفتح ناصر بن عبد السعيد بن علي المطرزي، دار

الكتاب العربي.
٩٤- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، لشمس الدين محمد بن أحمد الشربيني الخطيب، دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٥هـ.
٩٥- مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، بتحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط: دار الجيل، بيروت.
٩٦- المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط: الثانية.
٩٧- منظومة القواعد الفقهية، للشيخ عبد الرحمن السعدي، اعتنى به: محمد العجمي، ط: وزارة الأوقاف والشؤون، محافظة الجهراء، الكويت، الأولى، ١٤٢٨هـ.
٩٨- المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود، محمود بن محمد خطاب السبكي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط: الثانية١٣٩٤هـ.
٩٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت،الأولى، ١٤١٨هـ.
١٠٠- موسوعة الأمراض التناسلية والجلدية والبولية، د. إسماعيل الحسيني، دار أسامة، الأردن، ط: الأولى٢٤٠٠م
١٠١- الموسوعة الطبية الفقهية الموسوعة الفقهية الطبية، موسوعة جامعة للأحكام الفقهية في الصحة والمرض والممارسات الطبية، د. أحمد محمد كنعان، دار النفائس، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٠هـ.
١٠٢- الموسوعة الفقهية الميسرة، محمد رواس جي، دار النفائس، بيروت، ط: الثانية،١٤٢٦هـ.
١٠٣- موسوعة الفقه الطبي، شارك في إعدادها مجموعة من المختصين والعلماء، ط: الأولى ١٤٣٤هـ..
١٠٤- الموطأ للأمام مالك بن أنس، برواية يحيى الليثي تحقيق: بشار عواد، ط: دار الغرب الإسلامي، الثانية،١٤١٧هـ.

١٠٥- الموافقات لأبي أسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن سلمان، ط: دار ابن عفان، مصر، الأولى، ١٤٢١هـ.
١٠٦- النظام الأساسي للحكم على الرابط:
https://nshr.org.sa/wp-content/uploads/2013/10/528_PDF1.pdf
١٠٧- النظام السياسي في الإسلام، سليمان بن قاسم العيد، ط: دار الوطن، الرياض، ١٤٢٢هـ.
١٠٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، المعروف بابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناحي، ط: دار إحياء التراث، بيروت.

المواقع الإلكترونية:

١- موقع جامعة الدول العربية على الرابط:
http://www.lasportal.org/ar/humanrights/Committee/Pages/CommitteeCharter.aspx
٢- موقع هيئة حقوق الإنسان السعودية على الرابط:
https://hrc.gov.sa/ar-sa/Pages/hrclibrary.aspx
٣- موقع مكتبة حقوق الإنسان بجامعة منيسوتا الرابط:
http://hrlibrary.umn.edu/arab/b002.html
٤- موقع مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي على الرابط:
http://www.iifa-aifi.org/rr/d7sa
٥- موقع منظمة الصحة العالمية: على الرابط https://www.who.int/ar
٦- موقع وزارة التعليم عبر الرابط:
https://www.moe.gov.sa/ar/Pages/default.aspx
٧- موقع وزارة الصحة السعودية عبر الروابط التالية:
https://www.moh.gov.sa/Ministry/Forms/CommunicationCenter937/Documents/call-center-937.pdf
https://www.moh.gov.sa/Ministry/MediaCenter/News/Pages/News-2020-05-08-004.aspx
https://www.moh.gov.sa/HealthAwareness/EducationalContent/Pu

blicHealth/Pages/Expanded_Testing.aspx

٨- موقع وكالة الأنباء السعودية واس: https://www.spa.gov.sa/2052997

٩- موقع ويكبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%B4%D8%BA%D9%8A%D9%84_%D8%A2%D9%84%D9%8A

١٠- موقع الهيئة العامة للطيران المدني:

https://gaca.gov.sa/web/ar-sa/news/translation-of-ar_sa-03/03/2020-aa_80156

١١- أخلاقيات مهنة الطب الصادر عن الهيئة السعودية للتخصصات، على الرابط:

https://fac.ksu.edu.sa/sites/default/files/_mhn_lTb.pdf

الكتب الأجنبية:

1- Principles of Epidemiology, Third Edition (PDF). Atlanta, Georgia: Centers for Disease Control and Prevention. 2012

***

السؤال الجدلي في القرآن الكريم حقيقته وأدواته
دراسة أصولية

د. نوف بنت عبد الله بن بجاد العتيبي
قسم أصول الفقه – كلية الشريعة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

السؤال الجدلي في القرآن الكريم حقيقته وأدواته دراسة أصولية

د. نوف بنت عبد الله بن بجاد العتيبي

قسم أصول الفقه – كلية الشريعة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٩/ ٣/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ١١/ ٧/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

السؤال الجدلي هو أحد شطري الجدل؛ فالجدل كله: سؤال وجواب، وللسؤال الجدلي حقيقة تميزه عن غيره، تم إيضاحها، وتبيين الفرق بين السؤال وما يشابهه من مصطلحات الطلب كالاستخبار، والاستفسار، والاستعلام، والاستفهام، والتفريق كذلك بين الجدل وما يشابهه من مصطلحات كالحوار والمناظرة والمناقشة والمراء، واعتنى البحث بعرض أدوات السؤال الجدلي مقرونةً بالشواهد القرآنية المتعددة، ثم بيان أقسام السؤال الجدلي وتطبيقاتها في القرآن الكريم؛ فالقسم الأول هو: السؤال عن المذهب والقسم الثاني: السؤال عن الدليل، والقسم الثالث: السؤال عن وجه الدليل، والقسم الرابع: السؤال على سبيل الاعتراض والقدح في الدليل، والقسم الخامس: السؤال عن الإلزام .

ودراسة هذا الموضوع دليل على ثراء القرآن الكريم بالتطبيقات الجدلية والأصولية؛ لذلك فإن من توصيات البحث: الحث على الاهتمام بالدراسات الجدلية والأصولية التأصيلية التطبيقية.

الكلمات المفتاحية: السؤال، الجدل، القرآن الكريم، أدوات.

Rhetoric Question in the Holy Qur'an: Its Truth and Tools
A Fundamentalist Study

Dr. Nouf Abdullah Bijad Alotaibi
Department of Principles of Islamic Jurisprudence
College of Sharia
Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Abstract:

Argumentative questions are one part of the two parts of argumentation: questions and statements. An argumentative question has a nature that renders it distinct from other questions. This nature has been explained and the difference between a question and similar terms imparting a request such as istikhbar (i.e. asking for news), istifsar (i.e. asking for an explanation of), isti'lam (i.e. asking about) and istifham (i.e. inquiring) has been indicated, along with indicating the difference between argumentation (jadal) and similar terms such as dialog (hiwar), debate (monazarah), discussion (monaqashah) and disputation (mira'). The study presents the devices used for argumentative questions, accompanied by several Qur'anic citations. It then sets forth the categories of argumentative questions and their applications in the Holy Qur'an, with the first category being: to ask about the interlocutor's doctrine, the second: to ask about the supporting evidence, and the third: to ask how the evidence is relevant, the fourth: to ask for the sake of objecting to and refuting the evidence, and the fifth: to ask about what makes it compelling to accept the argument.

The study of this topic is evidence of the Qur'an's richness in argumentative and fundamentalist applications. So, one of the recommendations of the research is to encourage applied foundational argumentative and fundamentalist studies.

key words: question, argumentation, the Holy Qur'an, devices.

الْمُقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن نعم الله على الإنسان عظيمة، وأفضاله عليه كثيرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾(١)، ومن نعم الله على الإنسان مِنحة القدرة على التعلم، وتزويده بأدوات التعلم ووسائله، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾(٢)، وقال جل وعلا: ﴿ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾(٣).

وقد زوّد الإسلام المسلم بالمنهج السليم للتعلم، وأرشده إلى أدواته وطرائقه وأهمها السؤال، قال الله تعالى:﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾(٥).

فبالسؤال تُستجلَبُ المصالحُ، وتُستدفع المضار، وبالسؤال تَنفتِحُ خزائنُ العلوم، وتَنقطِعُ أسبابُ الجهل، وعظَّم اللهُ شأن السؤال باستخدامه بكثرة في كتابه العظيم.

وقد ورد ما يسمى بالسؤال الجدلي وأدواته في مؤلفات علماء الأصول،

---

(١) من الآية ١٨ من سورة النحل.

(٢) من الآية ٣١ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٥ من سورة العلق.

(٤) من الآية ٧ من سورة الأنبياء.

(٥) من الآية ٥٩ من سورة الفرقان.

كما وردت له شواهد في مواضع عديدة في القرآن الكريم.

لذا عزمت –مستعينةً بالله جل وعلا:– على بحث: السؤال الجدلي في القرآن الكريم حقيقته وأدواته –دراسة أصولية–.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تظهر أهمية الموضوع من خلال الأمور الآتية:

١– جِدة الموضوع؛ حيث لم أقف على دراسة تعنَى بالسؤال الجدلي في القرآن الكريم.

٢– الحاجة إلى دراسات تخدم الجانب الأصولي فيما يتعلق بالسؤال الجدلي.

٣– افتقار الساحة العلمية إلى دراسات متخصصة بالجدل ومسائله ومنها ما يتعلق بالسؤال الجدلي في القرآن الكريم.

٤– إبراز جانب ثراء القرآن الكريم بالشواهد على الموضوعات الأصولية.

أهدف الموضوع:

١– جمع ما يتعلق بالسؤال الجدلي في كتب الأصول والجدل.

٢– الربط بين الدراسة النظرية في الأصول وتطبيقاتها في القرآن الكريم.

٣– خدمة القرآن الكريم من خلال استثمار الجانب الأصولي.

٤– دفع دعاوى جمود علم الأصول والجدل من خلال التطبيقات والشواهد القرآنية.

٥– إبراز جهود الأصوليين فيما يتعلق بالسؤال الجدلي.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والنظر في الدراسات التي اهتمت بموضوع الجدل لم أقف على مَن تناول موضوع السؤال الجدلي في القرآن الكريم من حيث بيان حقيقته وعرض أدواته؛ وسواءً أكانت الدراسات الجدلية في القرآن الكريم أو الدراسات الجدلية في بقية العلوم.

خطة البحث:

يتضمن البحث -بعد المقدمة- مبحثين وخاتمة، وتفصيلها كما يلي:

المبحث الأول: حقيقة السؤال الجدلي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف السؤال الجدلي باعتباره مركباً وصفيًّا.

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة.

المطلب الثالث: تعريف السؤال الجدلي باعتباره علماً ولقباً.

المبحث الثاني: أدوات السؤال الجدلي وأقسامه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدوات السؤال الجدلي؛ وهي: إحدى عشرة أداة.

الأداة الأولى: الهمزة، الأداة الثانية: هل، الأداة الثالثة: كيف، الأداة الرابعة: ما، الأداة الخامسة: مَنْ، الأداة السادسة: أيّ، الأداة السابعة: أنّى، الأداة الثامنة: كم، الأداة التاسعة: أين، الأداة العاشرة: متى، الأداة الحادية عشرة: أيَّان.

المطلب الثاني: أقسام السؤال الجدلي.

القسم الأول: السؤال عن المذهب، القسم الثاني: السؤال عن الدليل، القسم الثالث: السؤال عن وجه الدليل، القسم الرابع: السؤال على سبيل

الاعتراض والقدح في الدليل، القسم الخامس: السؤال عن الإلزام.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

ثبت أهم المصادر والمراجع.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الآتي:

١-استقراء المادة العلمية من مصادرها الأصلية، وتوثيقها.

٢-إيراد الشواهد القرآنية مع عزوها، والعناية ببيان صلة هذه الشواهد بالموضوع.

٣-تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، وإن لم يكن في أحدهما فإني أخرجه من المصادر الأخرى، مع بيان الحكم عليه.

٤-ترجمة الأعلام غير المشهورين في علم أصول الفقه وعلم التفسير، وهم الذين ليس لهم مصادر شهيرة مطبوعة، تفادياً للإطالة والإثقال، مع الالتزام بإتْباع العلَم بسنة وفاته بين معقوفتين.

٥-المعلومات المتعلقة بالمصادر، تُذكر في ثبت المصادر والمراجع آخر البحث.

أسأل الله جل وعلا: أن يبارك في هذا البحث، وأن يمتد نفعه، وأن يتقبله بقبول حسن، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: حقيقة السؤال الجدلي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف السؤال الجدلي باعتباره مركباً وصفيًّا:

تعريف السؤال لغة:

السؤال: مصدر سأل، يقال: سألته الشيء، وسألته عن الشيء سؤالاً ومسألةً، والجمع أسئلة، وسألته عن الشيء: استخبرته واستعلمته وسألت الله العافية: طلبتها، والمسؤول المطلوب[1]، قال الله عز وجل: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[2]، ومعناه: تطلبون حقوقكم به[3].

قال الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ): "السُّؤَالُ: استدعاء معرفة، أو ما يؤدّي إلى المعرفة، واستدعاء مال، أو ما يؤدّي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللّسان، واليد خليفة له بالكتابة، أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللّسان خليفة لها إمّا بوعد، أو بردّ"[4].

تعريف السؤال اصطلاحاً:

قال ابن عقيل (٥١٣هـ): "حد السؤال هو: الطلب للإخبار بأداته في الإفهام"[5].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

---

(١) انظر: لسان العرب مادة (سأل) ٣١٩/١١، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير(س ول) (٢٩٧/١).

(٢) من الآية ١ من سورة النساء.

(٣) انظر: لسان العرب مادة (سأل) ٣١٨/١١.

(٤) المفردات في غريب القرآن ص ٤٣٧.

(٥) الواضح لابن عقيل ٢٩٨/١، وانظر: الفروق اللغوية للعسكري ص ٣٧.

يتبين مما تقدم أن السؤال في اللغة يحمل معنى الاستدعاء والطلب عموماً سواء طلب خبر أو طلب مال ونحوه؛ أما السؤال عند الأصوليين فخاص بطلب الخبر فقط.

تعريف الجدل لغة:

الجَدْل: شِدَّة الفَتْل، يقال: جدلتُ الحبل جدلاً إذا شددت فتله وفتلته فتلاً محكماً[١]، قال ابن فارس(٣٩٥هـ): "جدل: الجيم والدال واللام أصل واحد؛ وهو من باب استحكام الشيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام"[٢]، يقال: جَادَلَ مُجَادَلَةً وَجِدَالًا إذا خاصم؛ وشخصٌ جَدِلٌ: إذا اشتدت خصومته[٣]، فالجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها ومقابلة الحجة بالحجة[٤]، وجَدله: أي صرعه على الجَدَالَة وهي الأرض؛ فالجَدْل: الصَّرْع[٥].

فالجدل في اللغة يحمل معنى: الإحكام والشدة والصلابة والقوة والصراع والخصومة.

---

(١) انظر: لسان العرب مادة (ج د ل) ١٠٣/١١.

(٢) مقاييس اللغة مادة (جدل) ٤٣٣/١.

(٣) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير مادة (ج د ل) ٩٣/١.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (جدل) ٢٤٧/١، لسان العرب مادة (ج د ل) ١٠٥/١١، القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (جدل) ص ٩٧٥.

(٥) انظر: مقاييس اللغة مادة (ج د ل) ٤٣٤/١، لسان العرب مادة (ج د ل) ١٠٤/١١، القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (جدل) ص ٩٧٦.

تعريف الجدل اصطلاحاً:

أولاً: قال القاضي أبو يعلى (٤٥٨هـ): "الجدل: هو تردد الكلام بين اثنين؛ إذا قصد كل واحد منهما إحكام قوله ليدفع به قول صاحبه"(١).

ثانياً: قال الجويني (٤٧٨هـ): "هو إظهار المتنازعين مقتضى نظرهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة"(٢).

نلاحظ أن الجدل لابد أن يكون بين طرفين فهو مفاعلة؛ وكل طرف له رأي مغاير للطرف الآخر؛ على أن يكون الجدل بينهما على سبيل التدافع والتنافي والمغالبة لا على سبيل التعاون والتوافق؛ وذلك يشمل الجدل الشفوي والكتابي(٣).

ثالثاً: قال ابن عقيل (٥١٣هـ): "الجدل: هو الفتل للخصم عن المذهب بالمحاجة فيه، ولا يخلو أن يفتل عنه بحجة أو شبهة"(٤).

رابعاً: قال المرداوي (٨٨٥هـ): "الجدل: فتل الخصم عن قصده لطلب صحة قوله وإبطال غيره"(٥).

"فتل الخصم" معناه: رد المخالف بالكلام عن ما يقصده من نفي حكم أو إثباته.

---

(١) العدة في أصول الفقه ١/١٨٤.

(٢) الكافية في الجدل ص ١٩.

(٣) انظر: الكافية في الجدل ص ١٨، ١٩.

(٤) الواضح لابن عقيل ١/٥١١.

(٥) التحبير شرح التحرير ٧/٣٦٩٤.

و"طلب صحة قوله وإبطال غيره" معناه: أن المجادل ما تكلم إلا من أجل أن يثبت صحة مذهبه، ويضم إلى ذلك إبطال مذهب الخصم؛ فجمع بين الأمرين: أن يصحح مذهبه، وأن يبطل مذهب الخصم(١).

خامساً: قال الجرجاني (٨١٦هـ): "الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة"(٢).

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للجدل:

بيّن الجويني (٤٧٨هـ) العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لحد الجدل من عدّة وجوه:

الوجه الأول: أن الجدل في اللغة يحمل معنى الإحكام؛ فكأن كل واحد من الخصمين إذ كان يكشف لصاحبه صحة كلامه بإحكامه وإسقاط كلام المخالف، سميا متجادلين.

الوجه الثاني: أن الجدل مأخوذ من الفتل؛ لأن كل واحدٍ من الخصمين يفتل صاحبه عما يعتقده إلى ما هو صائر إليه.

الوجه الثالث: أن الجدل يحمل معنى الصَرْع؛ فكأن الخصمين يتصارعان وكل واحدٍ منهما يقصد إسقاط كلام صاحبه بغلبته وقوته عليه(٣).

قال ابن الجوزي (٦٥٦هـ): "الجدل من قولك: جدلتُ الحبل؛ أجدله

---

(١) انظر: شرح الكوكب المنير ٤/٣٥٩.

(٢) التعريفات ص: ٧٤.

(٣) انظر: الكافية في الجدل ص ١٩.

جدلاً؛ إذا فتله فتلاً محكماً، وله بهذا الاشتقاق معنيان: أحدهما: أن يكون استعمالك إياه في محافل النظر سبباً لفتل خصمك إلى موافقتك بتوجيه أدلتك وإبطال شبهته، الثاني: أن يكون سمي بذلك لكونه محكماً للأدلة والأسئلة والأجوبة"[1].

(١) كتاب الإيضاح لقوانين الإصطلاح في الجدل والمناظرة ص ١٠٠.

المطلب الثاني: المصطلحات ذات الصلة.

أولاً: المصطلحات ذات الصلة بالسؤال:

تشترك بعض المصطلحات مع السؤال في الطلب؛ فالاستخبار: طلب الخبر، والاستفسار: طلب التوضيح والبيان، والاستعلام: طلب العلم، والاستفهام: طلب الفهم(١).

١- الفرق بين السؤال والاستخبار:

قال العسكري (٣٩٥هـ): "الفرق بين السؤال والاستخبار: أن الاستخبار طلب الخبر فقط، والسؤال يكون طلب الخبر، وطلب الأمر والنهي وهو أن يسأل السائل غيره أن يأمره بالشي أو ينهاه عنه"(٢)؛ فالاستخبار أخصّ من السؤال، فكل استخبار سؤال، وليس كل سؤال استخباراً(٣).

٢- الفرق بين السؤال والاستفسار:

السؤال أعمُّ من الاستفسار؛ لأن الاستفسار هو: طلب بيان معنى اللَّفظ وشرحه إذا كان اللفظ غريباً، أو مجملاً(٤)، فالاستفسار خاص بطلب التوضيح لما أُبهم؛ فكل ما ثبت فيه الاستبهام صح عنه الاستفسار؛ أما السؤال فيشمل طلب التوضيح وغيره(٥).

---

(١) انظر: الواضح لابن عقيل ٢٩٨/١، الغيث الهامع شرح جمع الجوامع ص ٦٢٧.

(٢) الفروق اللغوية للعسكري ص ٣٧.

(٣) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني ٤٦٦/٥، الكليات ص ٨٣.

(٤) انظر: البحر المحيط للزركشي ٣٩٧/٧، التحبير شرح التحرير٣٥٤٧/٧، إرشاد الفحول للشوكاني ١٥٨/٢.

(٥) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٦٩/٤، نهاية الوصول في دراية الأصول

٣- الفرق بين السؤال والاستعلام:

الاستعلام: طلب العلم أي: طلب إدراك الشيء على حقيقته[١].

والسؤال هو طلب الخبر أي: طلب ما يحتمل الصدق أو الكذب لذاته[٢].

ويمكن أن يفرق بين السؤال والاستعلام: أن الاستعلام أعمُّ من السؤال؛ لأن الاستعلام يشمل طلب التصور وطلب التصديق بخلاف السؤال فلا يتناول إلا طلب التصديق فقط.

وطلب التصور معناه: طلب إدراك الحقائق مجردة عن الأحكام[٣] وهذا خاص بالذوات المفردة[٤].

وطلب التصديق معناه: طلب إدراك نسبة هذه المفردات بعضها إلى بعض، نفيًا وإثباتًا[٥]، وهذا خاص بالمركبات الخبرية[٦].

٣٥٧٢/٨، الموسوعة الفقهية الكويتية ٥٧/٤.

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٥٨٠، الواضح لابن عقيل ٢٩٨/١، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٢٦٨/٤.

(٢) انظر: تقويم الأدلة في أصول الفقه ص ٢٠٥، العدة في أصول الفقه ١٦٩/١، البحر المحيط للزركشي ٧٤/٦.

(٣) شرح مختصر الروضة ١٧١/١ وانظر: غاية الوصول للأنصاري ص ٢٢، شرح الكوكب المنير ٥٨/١.

(٤) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر ٥٦/١.

(٥) روضة الناظر وجنة المناظر ٥٦/١، وانظر: غاية الوصول للأنصاري ص ٢٢، شرح الكوكب المنير ٥٨/١.

(٦) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٥٢٠/٦.

والسؤال يكون في الجملة الخبرية، أي: في التصديق دون التصور فالسؤال هو: طلب الخبر.

والجمل الخبرية هي التي تحتمل التصديق والتكذيب، أما التصور فيستحيل التصديق والتكذيب فيه؛ إذ لا يتطرق التصديق والتكذيب إلا إلى خبر، وأقل ما يتركب منه الخبر مفردان(١).

وبذلك يتبين أن الاستعلام يشمل التصور والتصديق أما السؤال فلا يشمل إلا التصديق.

٤- الفرق بين السؤال والاستفهام:

قال الجرجاني (٨١٦هـ): "الاستفهام: استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين، أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور"(٢)، فالاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستفهم أو يشك فيه، بخلاف السائل فقد يسأل عما يعلم لغرض الاختبار مثلاً أو قد يسأل عما لا يعلم فيريد المعرفة(٣).

والاستفهام استعلام كما هو واضح من تعريفه؛ لذلك يعدُّ أعمَّ من السؤال؛ لأن الاستعلام يدخل على التصور والتصديق بخلاف السؤال فلا يدخل إلا على التصديقات.

---

(١) روضة الناظر وجنة المناظر ٥٦/١.

(٢) التعريفات ص ١٨.

(٣) انظر: الفروق اللغوية للعسكري ص ٣٧.

٥- الفرق بين السؤال والطلب:

قال العسكري (٣٩٥هـ): "الفرق بين الطلب والسؤال أن السؤال لا يكون إلا كلاماً، ويكون الطلب السعي وغيره"(١)، والسؤال يستدعي جواباً والطلب: قد يفتقر إلى جواب، وقد لا يفتقر، فكل سؤال طلب، وليس كل طلب سؤالاً(٢).

قال أبو البقاء الكفوي (١٠٩٤هـ): "الطلب عام حيث يقال فيما تسأله من غيرك وفيما تطلبه من نفسك، والسؤال لا يقال إلا فيما تطلبه من غيرك"(٣).

ثانياً: المصطلحات ذات الصلة بالجدل.

١- الفرق بين الجدل والحوار:

الحوار: "تراجع الكلام والتجاوب فيه بالمخاطبة والرد"(٤)، قال الطبري (٣١٠هـ) في تفسير قول الله جل وعلا: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾(٥)؛ يحاوره: أي يخاطبه ويكلمه(٦)؛ وقال البغوي (٥١٠هـ): "وهو يحاوره: يخاطبه

(١) الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٨٩.

(٢) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني ٤٦٦/٥، معجم الفروق اللغوية ص ٢٨٧.

(٣) الكليات ص ٥٨١، وانظر: تفسير الراغب الأصفهاني ٤٦٦/٥، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي ٣١١/٣.

(٤) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ص ٢٠.

(٥) من الآية ٣٧ من سورة الكهف.

(٦) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣/١٨.

ويجاوبه"[١].

"**الفرق بين الحوار والجدل**: أنهما يلتقيان في كونهما حديثاً أو مراجعة للكلام بين طرفين، ويفترقان في أن الجدال فيه لدد في الخصومة، وشدة في الكلام، مع التمسك بالرأي والتعصب له.

وأما الحوار فهو مجرد مراجعة الكلام بين الطرفين دون وجود خصومة بالضرورة، بل الغالب عليه الهدوء والبعد عن التعصب ونحوه؛ فالحوار أعم من الجدل من هذا الوجه[٢].

٢- الفرق بين الجدل والمناظرة:

المناظرة: "النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب"[٣].

أو "هي: المحاورة بين شخصين حول موضوع، يقصد كل واحد منهما إثبات وجهة نظره، وإبطال وجهة نظر صاحبه، مع رغبته الصادقة في ظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره"[٤].

قال الدكتور رفيق العجم (١٤٢٠هـ): "لا فرق بين المناظرة والجدال، والمجادلة والجدل في عرف العلماء بالأصول والفروع، وإنّ فرق بين الجدل

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن ١٧١/٥.

(٢) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ص ٢٦.

(٣) التعريفات ص ٢٣٢.

(٤) الحوار والمناظرة في الإسلام في العصر الحديث ص ٣٤ وانظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ١٢٦/١٥.

والمناظرة على طريقة اللغة: وذلك أن الجدل في اللغةّ مشتق من غير ما اشتق منه النظر"[1].

وذهب الشيخ محمد أبو زهرة (١٣٩٤هـ) إلى أن هناك فرقاً بين الجدل والمناظرة في قوله: "تدور على الألسنة عبارات المناظرة والجدل ... وأحياناً تطلق إحداها في موضع الأخرى، والحق أن بينها اختلافاً واضحاً في الاصطلاح؛ فالمناظرة: يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت أنظار المتناقشين فيه، والجدل: يكون الغرض منه إلزام الخصم، والتغلب عليه في مقام الاستدلال"[2].

والذي يظهر أن الفرق اعتباري بين الجدل والمناظرة؛ حيث يرجع إلى ظهور بعض المصطلحات وشهرتها في زمن دون آخر، فقد ساد في عصر من العصور مصطلح المناظرة في كل بحث بين اثنين في مسألة علمية، فاستعمال مصطلح المناظرة جاء متأخراً بدليل أن القرآن لم يستعمله قط، فالمناظرة نهاية ما توصل إليه الجدال عن طريق التطوير على يد العلماء، في إقرار المصطلح، وتقعيد القواعد، وتعيين الضوابط ضمن حدود مخصوصة، والخلاصة أن المناظرة والمجادلة بمعنى واحد؛ فالمناظرة هي الجدال بالتي هي أحسن[3].

قال محمد صديق (١٣٠٧هـ): "لا يبعد أن يقال: إن علم الجدل هو:

---

(١) موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين ١٥٦٨/٢.

(٢) تاريخ الجدل ص ٥.

(٣) انظر: الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية ص ٣، الحوار والمناظرة في الإسلام في العصر الحديث ص ٣٧، ٣٨.

علم المناظرة؛ لأن المآل منهما واحد"[١].

٣- الفرق بين الجدل والمناقشة:

المناقشة:

قال ابن فارس (٣٩٥هـ): "نقش: النون والقاف والشين أصل صحيح يدل على استخراج شيء واستيعابه حتى لا يترك منه شيء ... ومنه المناقشة: الاستقصاء في الحساب حتى لا يترك منه شيء"[٢].

"وأصل المناقشة من نقش الشوكة إذا استخرجها من جسمه ... وانتقش منه جميع حقه وتنقشه: أخذه فلم يدع منه شيئاً"[٣]؛ فالمناقشة تحمل معنى: الاستقصاء في الْكَشْف عَن الشَّيْء والتفتيش في المحاسبة والفحص والمطالبة بالجليل والحقير وترك المُسامحة فِيه[٤].

يقال: "ناقش المسألة: درسها وفحصها وبحثها من كلّ الوجوه -ناقش المؤتمرُ مواضيعَ علميّة مهمَّة- ناقش المشكلةَ علنًا- موضوع تحت المناقشة- ناقش معه قضيّة هامَّة"[٥]؛ والمناقشة المراد بها هنا لا تخرج عن المعنى اللغوي؛ حيث يستخرج المناقِش ما عند الآخر على وجه الاستقصاء والاستيفاء.

ويمكن **التفريق بين الجدل والمناقشة:** بأن المناقشة تتحقق من طرف

---

(١) أبجد العلوم ص ٣٥٥.

(٢) معجم مقاييس اللغة مادة (نقش) ٤٧٠/٥.

(٣) لسان العرب مادة (نقش) ٣٥٨/٦.

(٤) انظر: جمهرة اللغة مادة (شقم) ٨٧٦/٢، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١١٣/٢٣، معجم اللغة العربية المعاصرة ٢٢٦٨/٣.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة ٢٢٦٨/٣.

واحد وليس على سبيل التبادل بين طرفين؛ لأن المناقشة هي استقصاء الحساب واستيفاؤه، والحساب في العادة يكون بين طرفين، ولكن استيفاؤه يكون لصالح أحد الطرفين دون الآخر، بحيث يستقصي مُحصيًا ومستوعبًا كل ما له على الآخر؛ ومن ذلك المناقشات العلمية مثلاً، بخلاف الجدل فلا يتحقق إلا بوجود طرفين.

٤- الفرق بين الجدل والمراء:

"**المراء**: طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير"(١).

أو"**المراء**: هو كثرة الملاحاة(٢) للشخص لبيان غلطه وإفحامه(٣)، والباعث على ذلك الترفع"(٤).

قال الغزالي (٥٠٥هـ) مفرّقاً: "**المراء** طعن في كلام الغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة، و**الجدال** عبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها"(٥).

فالمراء منهي عنه ومذموم على كل حال؛ فهو مخاصمة في الحق بعد ظهوره والجدل ليس كذلك؛ فالجدل يقصد منه إظهار الحق وبيان الحجة دون

---

(١) أصول الفقه لابن مفلح ١٤١٦/٣.

(٢) والملاحاة: اللوم والمنازعة والمخاصمة. انظر: لسان العرب مادة (لحا) ٢٤٢/١٥.

(٣) الإفحام: هو الإسكات في الخصومة، من فحم: إذا لم يطق جواباً، وانقطع نَفَسه وصوته. انظر: لسان العرب مادة (فحم)٤٤٩/١٢.

(٤) مختصر منهاج القاصدين ص ١٦٦.

(٥) إحياء علوم الدين ١١٨/٣.

تعمد إحراج الخصم أو تحقيره والنيل منه.

والمراء لا يكون إلا اعتراضاً بخلاف الجدل فإنه يكون ابتداءً واعتراضاً[1].

(١) انظر: معجم الفروق اللغوية ص١٥٩، إحياء علوم الدين ١١٨/٣، ١١٩، الفائق في غريب الحديث ٢٣٢/٢، الأذكار للنووي ص٣٧١.

المطلب الثالث: تعريف السؤال الجدلي باعتباره علماً ولقباً.

تجدر الإشارة إلى أن السؤال الجدلي هو أحد شطري الجدل؛ فالشطر الأول للجدل هو: الأسئلة، والشطر الثاني للجدل هو: الأجوبة؛ فالجدل سؤال وجواب؛ وهذا البحث يبين ما يتعلق بالطرف الأول، قال أبو يعلى(٤٥٨هـ): "الجدل كله: سؤال وجواب"[١].

وقال الجويني (٤٧٨هـ): "الجدل ... ينقسم إلى سؤال وجواب"[٢].

ويمكن تعريف السؤال الجدلي بأنه: طلب الإخبار بأداة الاستفهام أو ما يقوم مقامها على وجه المدافعة.

شرح التعريف:

طلب الإخبار: أي طلب الجواب؛ فكل مجيب مخبر[٣].

قال أبو يعلى(٤٥٨هـ): "السؤال هو: الاستخبار، والجواب هو: الإخبار؛ فإذا سأل السائل المسؤول فقال: ما تقول في كذا؟ فإنه مستخبر عن مذهبه فيما سأله عنه، وإذا أجابه فهو مخبر عنه"[٤].

بأداة الاستفهام: للاستفهام حرفان وهما: الهمزة، وهل، وتسعة أسماء وهي: كيف، وما، ومَنْ، وأيّ، وأنّى، وكم، وأين، ومتى، وأيان[٥]؛ فالسؤال

---

(١) العدة في أصول الفقه ١/١٨٤، وانظر: الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ١/٥٥١.

(٢) الكافية في الجدل ص٤٥.

(٣) انظر: الواضح لابن عقيل ١/٣٠٠، ٣٠٢.

(٤) العدة في أصول الفقه ١/١٨٤.

(٥) انظر: الجدول في إعراب القرآن ٨/٢٦٦، ٢٦٧.

بهذه الأدوات سؤالٌ من جهة الصيغة والمعنى.

أو ما يقوم مقامها: مثل الإشارة[١]، أو فعل الأمر[٢] الذي يحمل معنى السؤال والطلب[٣].

مثاله: سؤال وطلب فرعون من موسى -عليه السلام- دليلاً على صحة رسالته بفعل الأمر ﴿فَأْتِ﴾ الوارد في قول الله تعالى: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[٤]؛ فاللفظ لفظ أمر، والمعنى سؤال وطلب.

ومثاله أيضاً: سؤال وطلب قوم ثمود من نبي الله صالح -عليه السلام- دليلاً على صحة رسالته بفعل الأمر ﴿فَأْتِ﴾ فاللفظ لفظ أمر والمعنى سؤال وطلب.

وقال الله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[٥].

قال ابن عقيل (٥١٣هـ): "إذا قال السائل للمسؤول: ما مذهبك في حدث العالم؟ أو ما مذهبك في شرب النبيذ؟ فهذا سؤالٌ من جهة الصيغة

---

(١) أي استخدام لغة الإشارة للسؤال عن أمر ما؛ ولغة الإشارة: هي عبارة عن رموز حركية بصرية تستعمل بترتيب ونظام معين تعتمد بشكل أساسي على استخدام اليدين في التعبير عن الأفكار. الإعاقة، أنواعها وطرق التغلب عليها ص ٢٠٥.

(٢) الأمر: طلب الفعل بالقول على سبيل الاستعلاء. المحصول للرازي ١٧/٢.

(٣) انظر: الواضح لابن عقيل ٣٠٠/١، المفردات في غريب القرآن ص ٤٣٧.

(٤) الآية ١٠٦ من سورة الأعراف.

(٥) الآية ١٥٤من سورة الشعراء.

والمعنى.

فإن قال: أخبرني عن مذهبك في حدث العالم، أو في شرب النبيذ، فهذا وإن كان معناه معنى السؤال من حيث كان استخباراً، لكن لفظه لفظ الاستدعاء والأمر"[1].

على وجه المدافعة: وذلك لوجود الخلاف؛ قال ابن عقيل (٥١٣هـ): "وكل سؤالِ جدلٍ فإنه على خلاف في المذهب؛ لأنه لا يصح جدل مع الموافقة في المذهب"[2].

(١) انظر: الواضح لابن عقيل ١/٣٠٠.

(٢) الواضح لابن عقيل ١/٣٠٩، شرح الكوكب المنير ٤/٣٧٤.

المبحث الثاني: أدوات السؤال الجدلي وأقسامه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدوات السؤال الجدلي، وهي: إحدى عشرة أداة.

الأداة الأولى: الهمزة:

الهمزة حرف استفهام، وهي أصل أدوات الاستفهام(١).

قال الزجاج (٣١١هـ): "الألف أمُّ حروف الاستفهام"(٢).

وورد حرف الاستفهام الهمزة كأداة من أدوات السؤال الجدلي في مواضع كثيرة في القرآن الكريم منها:

- قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴾(٣).

في هذه الآية ورد حرف الاستفهام الهمزة ﴿أَءِنَّا﴾ في سؤال منكري البعث من المشركين(٤).

- وقول الله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴾(٥).

ورد في هذه الآية حرف الاستفهام الهمزة ﴿ أَءِنَّا ﴾ من قبل المكذبين المنكرين للبعث(٦).

---

(١) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني ص: ٣١، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص ١٩.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٨١/١.

(٣) الآية ٤٩ من سورة الإسراء.

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٦٣/١٧، الجامع لأحكام القرآن ٢٧٣/١٠، تفسير القرآن العظيم ١٢٣/٥.

(٥) الآية ١٠ من سورة النازعات.

(٦) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل٥٩٦/٣، التسهيل لعلوم التنزيل ٤٤٩/٢، تفسير القرآن العظيم ٨٤/٥، ٣١٣/٨.

- وقول الله جل وعلا: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾[1].

ورد حرف الاستفهام الهمزة ﴿ أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ في سؤال منكري البعث[2].

- وقول الله جل وعلا: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3].

جاء في هذه الآية حرف الاستفهام الهمزة ﴿ أَوَلَمْ ﴾ في سؤال احتجاج وإلزام منكري البعث[4].

- وقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾[5].

ورد في هذه الآية حرف الاستفهام الهمزة﴿ أَوَلَمْ ﴾ في سؤال الإلزام لمنكري الحياة بعد الموت[6].

---

(١) الآيتان ٨١، ٨٢ من سورة المؤمنون.

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٦٠٨٩/٩.

(٣) الآية ٣٣ من سورة الأحقاف.

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٤٢/٢٢، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٠٦/٥، الجامع لأحكام القرآن ٢١٨/١٦.

(٥) الآية ٩٩ من سورة الإسراء.

(٦) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٤٢٩٨/٦، الجامع لأحكام القرآن ٣٣٤/١٠.

- وقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1].

ورد في هذه الآية حرف الاستفهام الهمزة ﴿ أَوَلَيْسَ ﴾ في سؤال الإلزام لمنكري البعث[2].

الأداة الثانية: هل.

هل حرف استفهام، وهي لا تقع إلا في الاستفهام؛ قال سيبويه (١٨٠هـ): "هل لا تقع إلا في الاستفهام"[3]، وتنفرد الهمزة عن هل في أنها تستعمل لطلب التصور[4]، ودخولها على النفي[5].

وورد حرف الاستفهام ﴿هَلْ﴾ في السؤال الجدلي في مواضع كثيرة في القرآن الكريم منها:

- قول الله جل وعلا: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[6].

في هذه الآية ورد حرف الاستفهام ﴿هَلْ﴾في سؤال الإلزام للمشركين: هل

---

(١) الآية ٨١ من سورة يس.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن٢٠/٥٥٦، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤/٢٤، الجامع لأحكام القرآن ١٥/٦٠

(٣) الكتاب ٣/١٨٩.

(٤) "التصور: هو إدراك الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات". التعريفات للجرجاني ص: ٥٩.

(٥) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني ص ٣٤١.

(٦) الآية ٣٤ من سورة يونس.

تدعون أن آلهتكم تبدأ الخلق ثم تعيده؟

قال الطبري (٣١٠هـ): "فإنهم لا يقدرون على دعوى ذلك لها، وفي ذلك الحجة القاطعة والدلالة الواضحة على أنهم في دعواهم أنها أرباب، وهي لله في العبادة شركاء، كاذبون مفترون"(١).

- قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٢).

جاء في هذه الآية حرف الاستفهام ﴿هَلْ﴾ في سؤال الإلزام للمشركين: هل تدعون أن آلهتكم تخلق أو ترزق أو تميت وتحيي؟ فهذا سؤال إلزام لهم لأنهم لا يقدرون على دعوى ذلك(٣).

قال القرطبي(٦٧١هـ): "قال على جهة الاستفهام: هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء؟"(٤).

- قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(٥).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨٥/١٥، وانظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤١٩/٢، مفاتيح الغيب ٢٤٨/١٧.

(٢) الآية ٤٠ من سورة الروم.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠٧/٢٠، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٤٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٤٠/١٤.

(٥) الآية ١٤٨ من سورة الأنعام.

في هذه الآية ورد حرف الاستفهام ﴿هَلْ﴾ في سؤال الإلزام للمشركين: هل تدعون أن آلهتكم وأوثانكم ترشد ضالاً من ضلالته إلى قصد السبيل؟ أو تسدد جائراً عن الهدى إلى واضح الطريق المستقيم؟ فإنهم لا يقدرون أن يدعوا أن آلهتهم وأوثانهم ترشد ضالاً أو تهدي جائراً.

وذلك أنهم إن ادعوا ذلك لها أكذبتهم المشاهدة، وأبان عجزها عن ذلك الاختبار بالمعاينة؛ فهذا سؤال إلزام لهم(١).

- قول الله جل وعلا: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۚ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾(٢).

جاء في هذه الآية حرف الاستفهام ﴿هَلْ﴾ في طلب الدليل على دعوى المشركين: أن شركهم بالله هم وآباؤهم وتحريمهم ما أحل الله مُستنده القضاء والقدر(٣).

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨٧/١٥.

(٢) الآية ٣٥ من سورة يونس.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن٢١١/١٢، تفسير القرآن العظيم٣٥٧/٣، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٧٨.

الأداة الثالثة: مَنْ.

مَنْ اسم استفهام، ويُستفهم بـ (مَنْ) عن العاقل[١].

وورد اسم الاستفهام ﴿مَّنۡ﴾ في السؤال الجدلي في مواضع كثيرة في القرآن الكريم منها:

- قول الله جل وعلا: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾[٢].

جاء في هذه الآية اسم الاستفهام ﴿ مَّنۡ ﴾ في سؤال الإلزام للمشركين: ﴿مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ فإقرارهم بتوحيد الربوبية يستلزم عقلاً إقرارهم بتوحيد الألوهية[٣].

- قول الله جل وعلا: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾[٤].

جاء في هذه الآية اسم الاستفهام ﴿ مَّنۡ ﴾ في سؤال الإلزام للمشركين: ﴿مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا ﴾.

قال ابن كثير(٧٧٤هـ): "كثيراً ما يقرر تعالى: مقام الإلهية بالاعتراف

---

(١) انظر: النحو الواضح في قواعد اللغة العربية ٤١٣/١.

(٢) الآية ٦١ من سورة العنكبوت.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٣٨/١٨، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤٢٥/٣، تفسير القرآن العظيم ٢٩٤/٦.

(٤) الآية ٦٣ من سورة العنكبوت، ونظير هذه الآية: قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ لقمان: ٢٥، وقوله الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ الزمر: ٣٨.

بتوحيد الربوبية"[١].

وقال الواحدي (٤٦٨هـ) في تفسير الآية: "احمد الله على إقرارهم؛ لأن ذلك يلزمهم الحجة، ويوجب عليهم التوحيد"[٢]؛ وقال البغوي (٥١٠هـ): "قل الحمد لله على إقرارهم ولزوم الحجة عليهم"[٣].

- قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾[٤].

جاء في هذه الآية اسم الاستفهام ﴿مَّنْ﴾ في سؤال الإلزام للمشركين﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟

قال الأستاذ الدكتور محمد عضيمة (١٤٠٤هـ) في تفسير الآية: "وهذا كما يقول المناظر لصاحبه: أهذا قولك، فإذا قال: هذا قولي، قال: هذا قولك فيحكي إقراره تقريرًا له عليه واستيثاقاً منه، ثم يقول له: فيلزمك على هذا القول كيت وكيت"[٥].

- قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾[٦].

في هذه الآية ورد اسم الاستفهام ﴿مَّنْ﴾ في سؤال من خاصم وجادل في

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/٢٩٤.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣/٤٢٥.

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٣/٥٦٧، وانظر: لجامع لأحكام القرآن ١٣/٣٦١.

(٤) الآية ١٦ من سورة الرعد.

(٥) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٣/٢٨١، وانظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣/١٢، معالم التنزيل في تفسير القرآن٤/٣٠٧.

(٦) الآية ٧٨ من سورة يس.

البعث بعد الموت[١].

- قول الله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٢].

جاء في هذه الآية اسم الاستفهام ﴿مَّنْ﴾ في سؤال من لا يؤمنون بالآخرة: من القادر على إعادتهم بعد الموت؟ حتى لو كانوا حجارةً أو حديداً وهما أشدّ امتناعاً من العظام والرفات أو خلقاً آخر شديداً يعظم في صدورهم[٣].

الأداة الرابعة: ما.

(ما) اسم استفهام، ويُستفهم بـ (ما) عن غير العاقل من حيوان ونبات وجماد[٤].

ويدخل (ذا) على (ما) فيأتي بعدها في صورتين:

الصورة الأولى: اسم إشارة، نحو: ما ذا الكتاب؟ أي: ما هذا الكتاب؟

والثانية: اسم موصول، نحو: ماذا أتى بك؟ أي: ما الذي أتى بك؟[٥].

وورد اسم الاستفهام (ما) في السؤال الجدلي في مواضع كثيرة في القرآن الكريم منها:

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن١٧/١٦٧،الوسيط في تفسير القرآن المجيد٣/٥٢٠،المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز٤/٤٦٤.

(٢) من الآية ٥١ من سورة الإسراء.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٧/٤٦٥، الهداية إلى بلوغ النهاية ٦/٤٢٢١، تفسير القرآن العظيم ٥/٨٥.

(٤) الكتاب لسيبويه ٢/٤١٦، المقتضب ٢/٢٩٦، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١/١٤٧.

(٥) انظر: الكتاب لسيبويه ٢/٤١٦، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١/١٥٢.

- قول الله جل وعلا: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾[١]، وفي موضع آخر دخلت (ذا) على (ما) في قول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾[٢].

جاء في هاتين الآيتين اسم الاستفهام ﴿ مَا ﴾ في سؤال إبراهيم -عليه السلام- لأبيه وقومه: أي شيءٍ تعبدون؟[٣].

- قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[٤].

في هذه الآية ورد اسم الاستفهام ﴿مَا﴾ في سؤال إبراهيم -عليه السلام- لأبيه وقومه: ما هذه التماثيل[٥]؟ أي ما هذه الأصنام المصورة على صورة السباع والطيور والإنس التي أنتم مقيمون على عبادتها؟[٦].

قال ابن سعدي (١٣٧٦هـ): "ما هذه التماثيل التي مثلتموها، ونحتموها بأيديكم، على صور بعض المخلوقات؟... فما هي؟ وأي فضيلة ثبتت لها؟

---

(١) الآية ٧٠ من سورة الشعراء.

(٢) الآية ٨٥ من سورة الصافات.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٦١/١٩، الجامع لأحكام القرآن ١٠٩/١٣، تفسير القرآن العظيم ١٤٥/٦، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٩٢.

(٤) الآية ٥٢ من سورة الأنبياء.

(٥) "التمثال: اسم موضوع للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله تعالى". الجامع لأحكام القرآن ٢٩٦/١١.

(٦) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٥٥/١٨، الهداية إلى بلوغ النهاية ٤٧٦٦/٧، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٢٩١/٣، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٤٠٨/٢.

وأين عقولكم التي ذهبت حتى أفنيتم أوقاتكم بعبادتها؟ والحال أنكم مثلتموها، ونحتموها بأيديكم، فهذا من أكبر العجائب، تعبدون ما تنحتون"(١).

- قول الله جل وعلا: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ﴾(٢).

في هذه الآية ورد اسم الاستفهام ﴿ مَا ﴾ في سؤال الإلزام للمشركين ﴿ مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾(٣).

قال الطبري (٣١٠هـ) في تفسير الآية: "يقول: أروني أي شيء خلقوا من الأرض"(٤).

- قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٥).

في هذه الآية أيضاً ورد اسم الاستفهام ﴿ مَا ﴾ في سؤال الإلزام للمشركين ﴿مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾(٦).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٢٥.

(٢) من الآية ٤٠ من سورة فاطر.

(٣) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٥٩٨٩/٩، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٥٠٧/٣، الجامع لأحكام القرآن ٣٥٥/١٤.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٨٠/٢٠.

(٥) الآية ٤ من سورة الأحقاف.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم ٥٥٧/٦، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٩١.

الأداة الخامسة: كيف.

(كيف) اسم استفهام، ويُستفهم بـ (كيف) عن الحال[١].

وورد اسم الاستفهام ﴿كَيْفَ﴾ في السؤال الجدلي في مواضع كثيرة في القرآن الكريم منها:

- قول الله جل وعلا: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢].

في هاتين الآيتين ورد اسم الاستفهام ﴿كَيْفَ﴾ في سؤال الإلزام للمنكرين للبعث بعد الممات، الجاحدين الثواب والعقاب؛ كيف بدأ الله الأشياء وكيف أنشأها وأحدثها؟ وكما أوجدها وأحدثها ابتداءً، ولم يتعذر عليه ذلك، فكذلك لا يتعذر عليه إنشاؤها معيداً[٣].

قال الواحدي(٤٦٨هـ): "إذا علموا أنه لا خالق ابتداءً إلا الله، **لزمتهم الحجة** في الإعادة "[٤]؛ "**فاحتج** الله عليهم بذلك لأنه أمر لا ينكرونه، يقرون به فمن قدر على ما تقرون قادر على إعادته بعد موته، وذلك أهو عليه فيما تعقلون، وكل عليه هين"[٥].

---

(١) انظر: المقتضب ٢٨٩/٣، أسرار العربية ص ٥٢، النحو الواضح في قواعد اللغة العربية ٤١٣/١.

(٢) الآيتان ١٩-٢٠ من سورة العنكبوت.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١/٢٠.

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤١٦/٣.

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية ٥٦١٢/٩.

- قول الله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1].

جاء في هذه الآية اسم الاستفهام ﴿كَيۡفَ﴾ في سؤال الإلزام لمنكري البعث بعد الموت ﴿كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾.

فكيف تحيي الأرض بعد موتها؟ فالأرض تكون ميتةً هامدةً لا نبات فيها، فإذا أرسل الله تعالى: إليها السحاب وأنزل عليها الماء، اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج؛ فالقادر على فعل ذلك قادرٌ على إحياء الأجساد بعد موتها وتفرقها وتمزقها؛ فقدرته تعالى: لا يتعاصى عليها شيء وإن تعاصى ذلك على قدرة خلقه ودق عن أفهامهم وحارت فيه عقولهم[2].

قال الواحدي(٤٦٨هـ) في تفسير الآية: "أي: كيف يجعلها تنبت بعد أن لم تكن فيها نبت؟ إن ذلك الذي فعل ما ترون، وهو الله تعالى: لمحيي الموتى في الآخرة"[3].

---

(١) الآية ٥٠ من سورة الروم.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١٦/٢٠، الهداية إلى بلوغ النهاية ٥٧٠٢/٩، تفسير القرآن العظيم ٤٣٠/٣، ٣٢٣/٦، ٥٣٦/٦، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٤٤.

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤٣٧/٣.

الأداة السادسة: أيّ.

(أيّ) اسم استفهام، ويُستفهم بـ (أيّ) عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، ويسأل بها عن الزمان والمكان والحال والعدد والعاقل وغير العاقل على حسب ما تضاف إليه(١).

وورد اسم الاستفهام ﴿أَيُّ﴾ في السؤال الجدلي في مواضع في القرآن الكريم منها:

- قول الله جل وعلا: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾(٢).

في هذه الآية ورد اسم الاستفهام ﴿أَيُّ﴾ في سؤالٍ موجه للمشركين المكذبين الجاحدين لنبوة محمد ﷺ ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾.

قال ابن جزي(٧٤١هـ): "سؤالٌ يقتضي جواباً ينبني عليه المقصود... والمقصود بالكلام استشهاد بالله الذي هو أكبر شهادة على صدق رسول الله ﷺ، وشهادة الله بهذا هي علمه بصحة نبوة سيدنا محمد ﷺ، وإظهار معجزته الدالة على نبوّته "(٣).

---

(١) انظر: المقتضب ٢/٢٩٤، مفتاح العلوم ص٣١٢، الإيضاح في علوم البلاغة ٣/٦٥، النحو الواضح في قواعد اللغة العربية ١/٤١٣.

(٢) الآية ١٩ من سورة الأنعام.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ١/٢٥٦ وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١١/٢٨٩، الهداية إلى بلوغ النهاية ٣/١٩٧٨، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/٢٧٥، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٥٢.

- قول الله تعالى: ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾[1].

جاء في هذه الآية اسم الاستفهام ﴿ أَيُّ ﴾ في سؤالٍ موجه للمشركين المتقولين المتحكمين على الله: أيهم المتضمن والمتكفل بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين؟[2].

قال ابن سعدي(١٣٧٦هـ): "أيهم الكفيل بهذه الدعوى الفاسدة؟ فإنه لا يمكن التصدر بها، ولا الزعامة فيها"[3].

الأداة السابعة: أنّى.

(أنّى) اسم استفهام، تأتي بمعنى: كيف[4][5]، وبمعنى: متى[6][7]، وبمعنى: من أين[8].

وورد اسم الاستفهام (أنّى) في السؤال الجدلي في قول الله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ

(١) الآية ٤٠ من سورة القلم.

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٧٦٤٣/١٢، معالم التنزيل في تفسير القرآن ١٣٩/٥، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/١٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٨١.

(٤) كما في قول الله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾من الآية ٢٥٩ من سورة البقرة.

(٥) انظر: شرح كتاب سيبويه ١١٢/٥، فقه اللغة وسر العربية ص ٢٥٠، الإيضاح في علوم البلاغة ٦٧/٣.

(٦) كما في قول الله تعالى: ﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ من الآية ٢٢٣ من سورة البقرة.

(٧) انظر: لسان العرب ٤٣٨/١٥، تاج العروس ٣٨٨/٤٠، معجم اللغة العربية المعاصرة ١٣٤/١.

(٨) انظر: شرح كتاب سيبويه ١١٢/٥، أسرار العربية ص ٢٦٨، الإيضاح في علوم البلاغة ٦٧/٣.

شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

قال الواحدي (٤٦٨هـ): "من أين يكون له ولد، ولا يكون الولد إلا من صاحبة؟"[2].

الأداة الثامنة: كم.

(كم) اسم استفهام، ويُستفهم بـ (كم) عن العدد[3].

وورد اسم الاستفهام (كم) في السؤال الجدلي في مواضع في القرآن الكريم منها:

- قول الله جل وعلا: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖۗ﴾[4].

ورد في هذه الآية اسم الاستفهام ﴿كَمۡ﴾ في سؤالٍ موجه لبني إسرائيل: كم حجة قاطعة جاءتهم على صدق نبوة موسى -عليه السلام-؟ كالعصا واليد البيضاء وفلق البحر وكم آيةٍ معرفة بنعت النبي محمد ﷺ في التوراة والإنجيل تدل على صدق نبوته؟[5].

قال البغوي (٥١٠هـ): "قوله تعالى: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أي: سل يا محمد

---

(١) الآية ١٠١ من سورة الأنعام.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣٠٦/٢.

(٣) انظر: المقتضب ٥٥/٣، مفتاح العلوم ص٣١٢، النحو الواضح في قواعد اللغة العربية ٤١٣/١.

(٤) من الآية ٢١١ من سورة البقرة.

(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٧٠/٤، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٢٦٩/١، الجامع لأحكام القرآن ٢٨/٣، تفسير القرآن العظيم ٥٦٨/١، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٩٥.

يهود المدينة: ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾: أعطينا آباءهم وأسلافهم من آية بينة؟"[1].

- قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾[2].

ورد في هذه الآية اسم الاستفهام ﴿كَمْ﴾ في سؤالٍ موجه لأهل مكة: كم من القرون كقوم هود -عليه السلام- وقوم صالح -عليه السلام-وقوم لوط -عليه السلام- وغيرهم؛ يمشون في مساكنهم إذا سافروا وخرجوا في التجارة وطلب المعيشة، ويشاهدون تلك الآيات العظيمة الدالة على ما كانوا عليه من النعم، وما حل بهم من ضروب الهلاك، ألا يخافون أن يحل بهم مثل ما حل بالكفار قبلهم؟[3].

- قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾[4].

جاء في هذه الآية اسم الاستفهام ﴿كَمْ﴾ في سؤالٍ موجه لقريش: كم من الأمم السابقة هلكت بسبب كفرها؟ فهذا سؤال قائم يبين ويوضح كم من الأدلة القائمة والمشاهدة على تكذيب الرسل؟

قال ابن سعدي (١٣٧٦هـ): "يعني: أو لم يتبين لهؤلاء المكذبين للرسول،

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٢٦٩/١.

(٢) الآية ١٢٨ من سورة طه.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٦٠/١١، تفسير القرآن العظيم ٣٢٥/٥، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥١٦.

(٤) الآية ٢٦ من سورة السجدة.

ويهدهم إلى الصواب ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ الذين سلكوا مسلكهم، ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ فيشاهدونها عياناً، كقوم هود، وصالح، وقوم لوط ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ يستدل بها، على صدق الرسل، التي جاءتهم، وبطلان ما هم عليه، من الشرك والشر، وعلى أن من فعل مثل فعلهم، فعل بهم، كما فعل بأشياعه من قبل، وعلى أن الله تعالى: مجازي العباد، وباعثهم للحشر والتناد ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ آيات الله، فيعونها، فينتفعون بها، فلو كان لهم سمع صحيح، وعقل رجيح، لم يقيموا على حالة يجزم بها، بالهلاك"(١).

- قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾(٢).

في هذه الآية ورد اسم الاستفهام ﴿كَمْ﴾ في سؤال أهل مكة: كم من الآيات المشاهدة على تكذيب الرسل من الأمم الخالية؟(٣).

قال الطبري (٣١٠هـ) في تفسير الآية: "يقول تعالى: ذكره: ألم ير هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد كم أهلكنا قبلهم بتكذيبهم رسلنا، وكفرهم بآياتنا من القرون الخالية؟"(٤).

- قول الله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾(٥).

في هذه الآية ورد اسم الاستفهام ﴿كَمْ﴾ في سؤال المشركين من قريش:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٥٧.

(٢) الآية ٣١ من سورة يس.

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن ١٢/٤.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥١/٢٠.

(٥) الآية ٣ من سورة ص.

كم من القرون أهلكنا قبلهم ممن كذّب الرسل؟[١].

قال البغوي (٥١٠هـ): "كم أهلكنا من قبلهم من قرن؟ يعني: من الأمم الخالية، فنادوا: استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة"[٢].

الأداة التاسعة: أين.

(أين) اسم استفهام، ويُستفهم بـ (أين) عن المكان[٣].

وورد اسم الاستفهام (أين) في السؤال الجدلي في مواضع كثيرة في القرآن الكريم منها:

- قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[٤].

في هذه الآية ورد اسم الاستفهام ﴿أَيْنَ﴾ في سؤالٍ موجه للمشركين الذين يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم عند الله: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون أنها تشفع لكم؟[٥].

قال الطبري (٣١٠هـ): "﴿ أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أنهم لكم آلهة من دون الله، افتراءً وكذباً، وتدعونهم من دونه أرباباً؟ فأتوا بهم إن كنتم

---

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٦٢٠٠/١٠.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٥٣/٤.

(٣) انظر: المقتضب ٢٨٩/٣، حروف المعاني والصفات ص ٣٤، شرح كتاب سيبويه ٤٨٢/١، علل النحو ص ٢٢٣.

(٤) الآية ٢٢ من سورة الأنعام.

(٥) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢٦٠/٢، معالم التنزيل في تفسير القرآن ١١٧/٢، تفسير القرآن العظيم ٢٤٦/٣، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٥٣.

صادقين"[١]، وقال: "لم يكن **جوابهم** حين اختبروا بهذا **السؤال**، ورأوا الحقائق، وارتفعت الدواعي ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾[٢] تبرءوا من الشرك وانتفوا منه لما رأوا مِن تجاوزه ومغفرته للمؤمنين"[٣].

- قول الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾[٤].

في هذه الآية ورد اسم الاستفهام ﴿أَيۡنَ﴾ في سؤالٍ موجه للذين أشركوا بالله الأنداد والأوثان: أين الشركاء بالله والأنداد على زعمكم وقولكم: إنهم ينصرونكم ويشفعون لكم؟[٥]

قال ابن سعدي(١٣٧٦هـ)في تفسير الآية: "﴿فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ﴾ وليس لله شريك، ولكن ذلك بحسب زعمهم وافترائهم، ولهذا قال: ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ **فأين** هم، بذواتهم، و**أين** نفعهم و**أين** دفعهم؟"[٦].

- قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗا﴾[٧].

في هذه الآية ورد اسم الاستفهام ﴿أَيۡنَ﴾ في سؤالٍ موجه للذين يجادلون

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٩٧/١١.

(٢) من الآية ٢٣ من سورة الأنعام.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٤٠١/٦.

(٤) الآية ٧٤ من سورة القصص.

(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦٠٦/١٩، الهداية إلى بلوغ النهاية ٥٥٦٧/٨، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣٩/٤، الجامع لأحكام القرآن ٣٠٣/١٣.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٢٢.

(٧) الآية ٧٣ ومن الآية ٧٤ من سورة غافر.

في آيات الله الواضحة البينة: أين الذين أشركتم بالله من الأنداد والأوثان؟[١].

قال ابن كثير(٧٧٤هـ)في تفسير الآية: "**أين** الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ هل ينصرونكم اليوم؟"[٢].

وجاء **الجواب** على هذا **السؤال**: ﴿ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾، قال البغوي(٥١٠)في تفسير الآية" قالوا ضلوا عنا: فقدناهم فلا نراهم، بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً "[٣].

- قول الله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[٤]، في هذه الآية ورد اسم الاستفهام﴿ أَيْنَ﴾ في سؤالٍ موجه للغاوين المشركين بالله في العبادة: أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله؟[٥].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧٤٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٥٨/٧.

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن ١٢٢/٤.

(٤) الآية ٩٢ ومن الآية ٩٣ من سورة الشعراء.

(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٦٧/١٩، الهداية إلى بلوغ النهاية ٥٣٢٣/٨، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤٧٢/٣، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٩٣.

الأداة العاشرة: متى.

(متى) اسم استفهام، ويُستفهم بـ (متى) عن الزمان[١].

وورد اسم الاستفهام (متى) في السؤال الجدلي في مواضع في القرآن الكريم منها:

- قول الله جل وعلا: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٢][٣].

في هذه الآية ورد اسم الاستفهام ﴿مَتَىٰ﴾ في سؤال المكذبين للرسول ﷺ وما جاء به من الآيات البينة: متى قيام الساعة؟[٤]، قال الطبري(٣١٠هـ) في تفسير الآية: "يقول هؤلاء المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب لمحمد ﷺ: متى هذا الوعد؟ يقول: متى يجيئنا هذا الذي تعدنا من العذاب إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به من ذلك؟"[٥].

- قول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٦].

في هذه الآية ورد اسم الاستفهام ﴿مَتَىٰ﴾ في سؤال الكفار للرسول ﷺ:

---

(١) انظر: المقتضب ٢٨٩/٣، اللمع في العربية لابن جني ص ٢٢٨، أسرار العربية ص ٢٦٨.

(٢) الآية ٤٨ من سورة يونس.

(٣) وقد تكررت هذه الآية بنصها في عدة سور: في الآية ٣٨ من سورة الأنبياء والآية ٧١ من سورة النمل والآية ٢٩ من سورة سبأ والآية ٤٨ من سورة يس والآية ٢٥ من سورة الملك.

(٤) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤٢٢/٢، الجامع لأحكام القرآن ٣٤٩/٨، التسهيل لعلوم التنزيل ١٨٤/٢.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٤٤/١٨.

(٦) الآية ٢٨ من سورة السجدة.

متى يوم القضاء والحكم بيننا وبينكم؟[1]، قال ابن كثير (٧٧٤هـ) في تفسير الآية: "متى تُنصر علينا يا محمد؟ كما تزعم أن لك وقتاً تُدال علينا، ويُنتقم لك منا، فمتى يكون هذا؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين!"[2].

- قول الله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾[3].

جاء في هذه الآية اسم الاستفهام ﴿مَتَىٰ﴾ في سؤال الكفار المستبعدين وقوع المعاد: متى يوم البعث والإعادة؟[4]، قال ابن سعدي(١٣٧٦هـ) في تفسير الآية: "﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ أي: متى وقت البعث الذي تزعمه على قولك؟ لا إقراراً منهم لأصل البعث بل ذلك سفه منهم وتعجيز؛ ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ فليس في تعيين وقته فائدة، وإنما الفائدة والمدار على تقريره والإقرار به وإثباته وإلا فكل ما هو آت فإنه قريب"[5].

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٩٨/٢٠، الهداية إلى بلوغ النهاية ٥٧٧٥/٩، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤٥٥/٣، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٦٠٤/٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٧٤/٦.

(٣) الآية ٥١ من سورة الإسراء.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٧٥/١٠، تفسير القرآن العظيم ٨٤/٥.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٦٠.

الأداة الحادية عشرة: أيان.

(أيان) اسم استفهام، تأتي بمعنى: متى؛ ويُستفهم بها عن الزمان[١].

وورد اسم الاستفهام (أيان) في السؤال الجدلي في مواضع في القرآن الكريم منها:

- قول الله جل وعلا: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾[٢][٣].

في هذه الآية ورد اسم الاستفهام ﴿ أَيَّانَ ﴾ في سؤال الكفار للرسول ﷺ عن الساعة: أيان مرساها؟[٤] أي متى يقع إثباتها وقيامها؟[٥]، قال الطبري(٣١٠هـ) في تفسير الآية: "يقول تعالى: ذكره لنبيه محمد ﷺ: **يسألك** يا محمد هؤلاء المكذبون بالبعث عن الساعة التي تبعث فيها الموتى من قبورهم ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾، متى قيامها وظهورها؟"[٦]، وجاء **الجواب** على هذا **السؤال**: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾.

---

(١) انظر: الأصول في النحو٣/١٧٩، شرح كتاب سيبويه ١/٩٧، ٥/١١٢، اللمع في العربية لابن جني ص ٢٢، البديع في علم العربية٢/٢٢٣.

(٢) من الآية ١٨٧من سورة الأعراف.

(٣) وقد تكرر السؤال بنصه في قول الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾ الآيتان ٤٢ و٤٣ من سورة النازعات.

(٤) مِن رسا الشيء أي: ثبت، ومنه: الجبال الراسيات أي: الجبال الثوابت. انظر: لسان العرب مادة (رسا) ١٤/٣٢١.

(٥) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/٨٠٤٥، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٢/٢٥٦، الجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٠٩.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤/٢١٣.

- قول الله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴾[١].

في هذه الآية ورد اسم الاستفهام ﴿أَيَّانَ﴾ في سؤال الخراصين[٢] للرسول ﷺ: أيان يوم المجازاة والحساب، ويوم يدين الله العباد بأعمالهم؟[٣]، وجاء **الجواب** على هذا **السؤال**: ﴿ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴾؛ أي: يعذبون[٤].

- قول الله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴾[٥].

جاء في قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ اسم الاستفهام ﴿أَيَّانَ﴾ في سؤال الإنسان الكافر المكذب: أيان يوم القيامة؟[٦]، قال الطبري(٣١٠هـ): "يقول تعالى: ذكره: **يسأل** ابن آدم السائر دائباً في معصية الله قدماً: متى يوم القيامة؟"[٧]، وجاء **الجواب** على هذا **السؤال**: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ﴾.

---

(١) الآيتان ١٢ و١٣ من سورة الذاريات.

(٢) الخراصون هم: الكذابون، من خرص أي: كذب. انظر: مادة (خرص) لسان العرب ٢١/٧.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٠٠/٢٢.

(٤) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن ٢٨١/٤.

(٥) من الآية ٦ إلى الآية ١٠ من سورة القيامة.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٩٥/١٩، التسهيل لعلوم التنزيل ٤٣٣/٢، تفسير القرآن العظيم ٢٧٦/٨، ٢٧٧.

(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٤/٢٤.

المطلب الثاني: أقسام السؤال الجدلي:

قبل إيضاح أقسام السؤال الجدلي تجدر الإشارة إلى أقسام السؤال وهي على النحو التالي:

أولاً: السؤال الجدلي، **ثانياً:** السؤال التعليمي ويسمى سؤال الاستفادة والاسترشاد(١).

قال الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ): "السؤال ضربان؛ **سؤال جدل:** وحقه أن يطابقه جوابه لا زائداً عليه ولا ناقصاً عنه، **وسؤال تعلم:** وحق المعلم أن يصير فيه كطبيب دقيق يتحرى شفاء سقيم، فيطلب ما يشفيه طلبه المريض، أو لم يطلبه"(٢).

أقسام السؤال الجدلي:

قال ابن عقيل (٥١٣هـ): "سؤال الجدل على خمسة أقسام: سؤال عن المذهب، وسؤال عن الدليل، وسؤال عن وجه الدليل، وسؤال عن تصحيح الدعوى في الدليل، وسؤال عن الإلزام"(٣).

القسم الأول: السؤال عن المذهب(٤)؛ ويراد بالمذهب: ما يصار إليه من

---

(١) انظر: الواضح لابن عقيل ٣٠٦/١، أصول الفقه لابن مفلح ١٤١٠/٣.

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني ٤٤٤/١، وانظر: شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن ٤٨٧/٢، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي ٤٠٨/٢، عنايه القاضي وكفاية الراضي ٢٩٩/٢، محاسن التأويل ٩٩/٢.

(٣) الواضح لابن عقيل ٣٠٦/١.

(٤) انظر: العدة في أصول الفقه ١٤٦٥/٥، ١٤٦٦، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٧٧/٢، الكافية في الجدل ص ٤٧، ٤٨، التحبير شرح التحرير ٣٧١٠/٧ شرح الكوكب المنير

الأحكام[١] أي: الرأي والقول في موضوع ما، مثاله: أن يقول السائل: ما مذهبك في التجسيم؟ فهو سؤال عن ماهية المذهب في التجسيم، وكذلك أن يقول: هل لك مذهب في التجسيم؟ -والآنية[٢] قبل الماهية ... فيقول السائل: هل لك مذهب في التجسيم؟ فإذا قال: نعم، قال: ما هو؟ فجاء السؤال عن ماهية المذهب بعد السؤال عن آنية المذهب، وكان ذلك في المرتبة الأولى من سؤالات الجدل"[٣].

قال الجويني(٤٧٨هـ) عن القسم الأول: "أوله سؤال عن هَلّية المذهب، يعني: هل له مذهبٌ، أم لا؟ ثم عن نفس المذهب"[٤].

وورد السؤال عن حقيقة المذهب على لسان فرعون؛ قال جل وعلا: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٥]؛ قال البغوي(٥١٠هـ): "يقول: أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله إلي؛ يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه"[٦]؛ ونظيره قول

٣٧٥/٤، علم الجذل في علم الجدل ص ٣١، المسودة في أصول الفقه ص ٥٥١، المنهاج في ترتيب الحجاج ص ٣٤، البحر المحيط للزركشي ٤٥٠/٧، إرشاد الفحول للشوكاني ١٧١/٢.

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٣٠١.

(٢) "الآنية: تحقق الوجود العيني من حيث مرتبته الذاتية ". التعريفات ص: ٣٨؛ أي: وجود مذهب في موضوع ما، والسؤال عن وجود هذا المذهب والرأي يكون سابقاً السؤال عن كنه هذا المذهب وحقيقته.

(٣) الواضح لابن عقيل ٣٠٦/١، ٣٠٧.

(٤) الكافية في الجدل ص ٤٧.

(٥) الآية ٢٣ من سورة الشعراء.

(٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤٦٥/٣، وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٤٣/١٩، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣٠٧/٣.

الله جل وعلا: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾[1]، قال ابن كثير(٧٧٤هـ): "أي: الذي بعثك وأرسلك من هو؟ فإني لا أعرفه، وما علمت لكم من إله غيري"[2].

ففي هذه الآية سأل فرعون عن مذهب موسى وهرون -عليهما السلام- في الصانع: قال: فمن ربكما يا موسى أي: إذا كنتما رسولي ربكما إلي؛ فأخبراني: من ربكما الذي أرسلكما؟ ويلاحظ أنه أضاف الرب إليهما، ولم يضفه إلى نفسه لعدم تصديقه لهما، ولجحده للربوبية الحقة[3].

فالسؤال كان عن مذهب موسى -عليه السلام- في الصانع: من رب العالمين؟ والجواب عنه جاء في قوله الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾[4]، ونظيره قول الله جل وعلا: في قصة إبراهيم -عليه السلام-﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾[5].

قال الطبري(٣١٠هـ): "يقول تعالى ذكره: واقصص على قومك من المشركين يا محمد خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه: أيّ شيء تعبدون؟"[6]، فالسؤال عن المذهب كان: ما تعبدون؟

---

(١) الآية ٤٩ من سورة طه.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٩٧/٥، وانظر: مفاتيح الغيب ٥٦/٢٢.

(٣) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٢٢٢/١٦، ٢٢٣.

(٤) الآية ٢٤ من سورة الشعراء.

(٥) الآية ٧٠ من سورة الشعراء، وقال تعالى في آية أخرى:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾. الآية ٨٥ من سورة الصافات.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٦١/١٩.

والجواب عنه: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾[1].

وكان إبراهيم -عليه السلام- يعلم أنهم عبدة أصنام ومع ذلك سألهم؛ فلا يشترط الجهل بمذهب المسؤول[2]، والسؤال عن المذهب يمكن الاستغناء عنه إذا كان السائل عالماً بمذهب المسؤول، وهذا رأي جمهور أهل النظر خلافاً لابن عقيل(٥١٣هـ).

قال الجويني(٤٧٨هـ): "قال جمهور أهل النظر: إن السائل إذا كان عالماً بمذهب المسؤول وكان مذهبه مشهوراً عنده-لاشك فيه-كان له أن يبتدئ بالسؤال عن الدلالة"[3].

وقال ابن عقيل(٥١٣هـ): "واعلم أنه إذا اجتمع اثنان قد عرف كل واحد منهما مذهب صاحبه، وهما على خلاف في المذهب، أغناهما علمهما عن ضرب من ضروب السؤال، وهو السؤال عن ماهية المذهب.

قلت: وقد يجري في حكم الاجتهاد أن لا يسقط السؤال لجواز تغير يطرأ على المذهب الذي عرف به، فيزول ما عرفه، وذلك يعدم الثقة بالبقاء على المذهب، فلا غناء إذا عن السؤال"[4].

القسم الثاني: السؤال عن الدليل[5]؛ أو البرهان أو الحجة أو البينة، ويراد

---

(١) الآية ٧١ من سورة الشعراء.

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٣١٧/٣، مفاتيح الغيب ٥١٠/٢٤، البحر المحيط في التفسير ١٦٢/٨.

(٣) الكافية في الجدل ص ٤٩.

(٤) الواضح لابن عقيل ٣١٣/١.

(٥) انظر: العدة في أصول الفقه ١٤٦٥/٥، ١٤٦٦، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٧٧/٢،

بالدليل: ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري[1].

قال ابن عقيل(٥١٣هـ): "اعلم أن سؤال الجدل: هو الذي يقصد به نقل الخصم عن مذهبه بطريق المحاجة "[2].

وورد السؤال عن دليل المذهب في قول الله عز وجل: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[3]، فطلب فرعون في هذه الآية الدليل والبرهان على مذهب نبي الله موسى -عليه السلام-.

قال الطبري(٣١٠هـ): "قال له فرعون: إن كنت جئت بآية، يقول: بحجة وعلامة شاهدة على صدق ما تقول ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾"[4].

فجاء الجواب على سؤاله في قول الله جل وعلا: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝١٠٧ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾[5]، فَقَلْب العصا ثعباناً، وإظهار اليد بيضاء من غير مرض دليلان على صحة مذهب موسى -عليه

الكافية في الجدل ص ٤٧، ٤٨، التحبير شرح التحرير ٣٧١٠/٧، شرح الكوكب المنير ٣٧٥/٤، علم الجذل في علم الجدل ص ٣١، المسودة في أصول الفقه ص ٥٥١، المنهاج في ترتيب الحجاج ص ٣٤، البحر المحيط للزركشي ٤٥٠/٧، إرشاد الفحول للشوكاني ١٧١/٢.

(١) شرح مختصر الروضة ٦٧١/٢، وانظر: بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ٢١/١، أصول الفقه لابن مفلح ١٩/١.

(٢) الواضح لابن عقيل ٣٠٦/١.

(٣) الآية ١٠٦ من سورة الأعراف.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٤/١٣، وانظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١٣٨/٢، مفاتيح الغيب ٣٢٧/١٤، تفسير القرآن العظيم ٤٥٤/٣.

(٥) الآيتان ١٠٨، ١٠٧ من سورة الأعراف.

السلام، وجواباً على سؤال فرعون وطلبه الدليل والبينة، قال الله جل وعلا: ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾(١).

وورد السؤال عن دليل المذهب أيضاً على لسان ثمود قوم صالح -عليه السلام- في قول الله تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(٢).

بين ابن كثير(٧٧٤هـ) في تفسير الآية أن قوم ثمود سألوا وطلبوا دليلاً على صدق مذهب نبي الله صالح -عليه السلام- فقال: "إنهم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها، ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم فطلبوا منه -وقد اجتمع ملؤهم -أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة - وأشاروا إلى صخرة عندهم- ناقة عشراء من صفتها كذا وكذا.

فعند ذلك أخذ عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق، لئن **أجابهم إلى ما سألوا** ليؤمنن به، وليصدقنه، وليتبعنه، فأنعموا بذلك.

فقام نبي الله صالح، -عليه السلام-، فصلى، ثم دعا الله، عز وجل، أن **يجيبهم على سؤالهم**"(٣).

فجاء الجواب على طلبهم للدليل والبينة في قول الله جل وعلا: ﴿ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾(٤).

---

(١) الآية ٣٢ من سورة القصص.

(٢) الآية ١٥٤من سورة الشعراء.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١٥٧/٦.

(٤) الآية ٧٣ من سورة الأعراف.

- وجاء السؤال عن دليل المذهب في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[1].

فقول الله تعالى: ﴿هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ اللفظ لفظ أمر والمعنى سؤال وطلب للدليل على صدق الدعوى: بأنه لن يدخل الجنة إلا اليهود والنصارى[2].

قال ابن القيم(٧٥١هـ): "طالبهم الله تعالى: بالبرهان على صحة الدعوى فقال: ﴿ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ وهذا هو المسمى **سؤال المطالبة بالدليل** فمن ادعى دعوى بلا دليل يقال له هات برهانك إن كنت صادقاً فيما ادعيت"[3].

- وجاء السؤال عن دليل المذهب أيضاً في قول الله جل وعلا: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾[4].

فقول الله تعالى: ﴿هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ سؤال عن دليل مذهب من اتخذ من دون الله آلهة.

قال الطبري(٣١٠هـ): "هاتوا إن كنتم تزعمون أنكم محقون في قيلكم ذلك

---

(١) الآية ١١١ من سورة البقرة.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢/٤٣٠، الجامع لأحكام القرآن ٢/٧٥، تيسير الكريم الرحمن ص ٦٣.

(٣) بدائع الفوائد ٤/١٥١.

(٤) الآية ٢٤ من سورة الأنبياء.

حجةً ودليلاً على صدقكم"[١]. وقال ابن سعدي(١٣٧٦هـ)في تفسير الآية: "أي: حجتكم ودليلكم على صحة ما ذهبتم إليه"[٢].

- ومن الشواهد القرآنية التي ورد فيها السؤال عن دليل المذهب قول الله تعالى: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٣].

فقول الله جل وعلا: ﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ سؤال عن دليل من زعم أن مع الله آلهةً أخرى إن كانوا صادقين[٤].

قال ابن كثير(٧٧٤هـ)في تفسير الآية: "قل هاتوا برهانكم على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى، إن كنتم صادقين في ذلك"[٥].

- ومن الشواهد القرآنية التي ورد فيها السؤال عن دليل المذهب قول الله جل وعلا: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾[٦].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٢٦/١٨، انظر: تفسير القرآن العظيم ٣٣٧/٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٥٢١.

(٣) الآية ٦٤ من سورة النمل.

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٨٦/١٩، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣٨٣/٣، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٥١١/٣، الجامع لأحكام القرآن ٢٢٥/١٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢٠٦/٦.

(٦) الآية ١٤٨من سورة الأنعام.

فقول الله تعالى: ﴿ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۚ﴾ سؤال عن دليل مذهب المشركين المستندين في شركهم وتحريمهم ما أحل الله على القضاء والقدر(١).

قال القرطبي(٦٧١هـ)في تفسير الآية: "أي: أعندكم دليل على أن هذا كذا؟ "؛ أي: أعندكم دليل على زعمكم؟(٢).

القسم الثالث: السؤال عن وجه الدليل(٣)، والسؤال عن وجه الدليل لا يخلو من صورتين:

الأولى: إن كان وجه الدليل واضحاً، فلا يحسُن السؤال عنه؛ لأنه ظاهر الوضوح.

الثانية: إن كان وجه الدليل غامضاً، هنا يحسن السؤال عنه لتبيينه وتوضيحه.

قال القاضي أبو يعلى(٤٥٨هـ): "السؤال الثالث: وهو السؤال عن وجه الدليل وكيفيته:

فإنه ينظر فيه فإن كان الدليل-الذي استدل به المسؤول- غامضاً يحتاج إلى بيان وجب السؤال عنه؛ فإن تجاوزه إلى غيره كان مخطئاً؛ لأنه لا يجوز

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٢٨/٧.

(٣) انظر: العدة في أصول الفقه ١٤٦٥/٥، ١٤٦٦، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٧٧/٢، التحبير شرح التحرير ٣٧١٠/٧، شرح الكوكب المنير ٣٧٥/٤، علم الجذل في علم الجدل ص ٣١، المسودة في أصول الفقه ص ٥٥١، المنهاج في ترتيب الحجاج ص ٣٤، البحر المحيط للزركشي ٤٥٠/٧، إرشاد الفحول للشوكاني ١٧١/٢.

تسليمه إلا بعد أن ينكشف وجه الدليل منه من جهة المسؤول على ما سأله عنه، وإن كان ظاهراً جليًّا لم يجز هذا السؤال؛ وكان السائل عنه متعنتاً أو جاهلاً "[1].

وقال الباجي(٤٧٤): "السؤال عن وجه الدليل: هو أن يستدل بآية أو خبر فلا يتبين دليله منه فيطالب ببيان وجه الدليل؛ وجملة ذلك أن وجه الدليل لا يخلو إما أن يكون واضحاً أو غامضاً، فإن كان واضحاً قبُح أن يطالب بوجه الدليل....فيستغنى بظهور وجه الدليل عن السؤال عنه إلا أن يكون في الآية أو الخبر وجهان من الدليل؛ فيسأل عن أيهما يعتمد "[2].

وقال ابن عقيل(٥١٣هـ): "إنما يحتاج السائل إلى المطالبة بوجه الدلالة: إذا كان المجيب قد ذكر دليله من وجه لا يقتضي الحكم، إذ كان الشيء الواحد قد يشار إليه من جهتين: إحداهما تقتضي الحكم، والأخرى لا تقتضيه"[3].

وبعد البحث والتقصي لم أقف على شاهدٍ من القرآن يرد فيه سؤالٌ عن وجه الدليل؛ ولعل ذلك راجع إلى وضوح الأدلة في القرآن الكريم ووجه الدلالة منها؛ قال الله جل وعلا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ ﴾[4]،

(١) العدة في أصول الفقه ١٤٧١/٥.

(٢) المنهاج في ترتيب الحجاج ص ٣٩، ٤٠.

(٣) الواضح لابن عقيل ٣٠٧/١.

(٤) الآية ٩ من سورة الحديد.

وقال الله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾[1].

القسم الرابع: السؤال على سبيل الاعتراض والقدح في الدليل[2].

قال الباجي(٤٧٤): "السؤال على وجه القدح في الدليل على ثلاثة أضرب: المطالبة[3]، والاعتراض[4]، والمعارضة[5]"[6]؛ ومن صور الاعتراض والقدح في الدليل: الطعن في العلة بالنقض[7][8].

يشهد لذلك قول الله جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى

---

(١) الآية ١٦ من سورة الحج، وانظر: الآية ٩٩ من سورة البقرة، الآية ٤٩ من سورة العنكبوت، الآية ٤٣ من سورة سبأ، الآية ٢٥ من سورة الجاثية، الآية ٧ من سورة الأحقاف.

(٢) العدة في أصول الفقه ١٤٧٢/٥، وانظر: العدة في أصول الفقه ١٤٦٥/٥، ١٤٦٦، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٧٧/٢، ٨٣، الكافية في الجدل ص ٤٧، التحبير شرح التحرير ٣٧١٠/٧، شرح الكوكب المنير ٣٧٥/٤، علم الجذل في علم الجدل ص ٣١، المسودة في أصول الفقه ص ٥٥١، البحر المحيط للزركشي ٤٥٠/٧، إرشاد الفحول للشوكاني ١٧١/٢.

(٣) "هي المطالبة بتصحيح الأخبار وإثبات أسانيدها، والمطالبة بتصحيح الإجماع وإثباته، والمطالبة بإيجاد العلة وتصحيحها وغير ذلك من المطالبات". المنهاج في ترتيب الحجاج ص ٤٠، ص ٤١.

(٤) "هو الاعتراض في نفس الدليل بما يبطله؛ وذلك مثل الطعن في أسانيد الحديث بتضعيف ناقله أو الطعن في الإجماع ببيان الخلاف أو **الطعن في العلة بالنقض** والكسر وغير ذلك". المنهاج في ترتيب الحجاج ص ٤١.

(٥) "المعارضة: هو أن يقابل دليله بمثله أو بما هو أقوى منه " المنهاج في ترتيب الحجاج ص ٤١.

(٦) المنهاج في ترتيب الحجاج ص ٤٠.

(٧) "النقض: هو وجود العلة مع عدم الحكم ". العدة في أصول الفقه ١٧٧/١.

(٨) انظر: العدة في أصول الفقه ١٥٠٨/٥، المنهاج في ترتيب الحجاج ص ٤١.

بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[1].

في هذه الآية وجدت العلة وهي: الحجج والبراهين والنار التي تأكل القرابين المتقبلة.

وتخلف الحكم: وهو تصديق الرسل؛ حيث كُذّبوا وقتلوا كزكريا ويحيى – عليهما السلام–[2].

فجاء السؤال على سبيل الاعتراض والقدح في الدليل بالنقض في قول الله جل وعلا: ﴿ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

قال عبد الرحمن الجزري (٦٣٤هـ): "سؤال النقض في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ ... معناه: العلة التي توجب عندكم الإيمان بالرسل قد وُجِدَتْ فَلِمَ قتلتموهم؟؛ فدل على أن التعليل بما ذكرتم غير صحيح، وهذا النقض وارد على معنى كلامهم، فدل على جواز إيراد ما يهدم كلام الخصم على أي وجهٍ كان."[3].

– ويشهد لذلك أيضاً قول الله جل وعلا: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[4].

قال عبد الرحمن الجزري(٦٣٤هـ): "من صور النقض قوله الله تعالى: ﴿وَإِذَا

---

(١) الآية ١٨٣ من سورة آل عمران.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٧٧/٢.

(٣) استخراج الجدال من القرآن الكريم ص ١١٤.

(٤) الآية ١٧٠ من سورة البقرة.

قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾ النقض في قوله: ﴿ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾"[1].

هذه الآية وضحت العلة من عبادة الأصنام والأنداد: وهي تقليد الآباء، وتخلف الحكم: وهو صحة العقيدة والهداية للصواب[2]؛ فجاء السؤال على سبيل الاعتراض والقدح في الدليل بالنقض في قول الله جل وعلا: ﴿ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾.

- وورد هذا أيضاً سؤال الاعتراض والقدح في الدليل بالنقض في سورة أخرى قال الله جل وعلا: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾[3]، فهذه الآية وضحت العلة من عبادة الأصنام والأنداد: وهي تقليد الآباء؛ لذلك قال المقلدون من المشركين: نحن لهم تبع وهم لنا أئمة وقادة، وتخلف الحكم: وهو صحة العقيدة والهداية للصواب[4]، فجاء السؤال على سبيل الاعتراض والقدح في الدليل بالنقض في قول الله جل وعلا: ﴿ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾، ويشهد لسؤال الاعتراض والقدح في الدليل بالنقض آية أخرى.

---

(١) استخراج الجدال من القرآن الكريم ص ١١٤.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣٤٧/٦، بدائع الفوائد ١٧٣/٤.

(٣) الآية ١٠٤ من سورة المائدة.

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن١٣٧/١١، تفسير القرآن العظيم ٢١١/٣، تيسير الكريم الرحمن ص ٢٤٦.

قال عبد الرحمن الجزري(٦٣٤هـ): "ومن صور النقض قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴾[(١)]"[(٢)]، فجاء السؤال على سبيل الاعتراض والقدح في الدليل بالنقض في قول الله جل وعلا: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ﴾.

فالعلة التي توجب إيمان اليهود بموسى -عليه السلام-قد وجدت من الكتاب المنزل جملة واحدة، ومن سائر المعجزات؛ كقلب العصا حية، واليد البيضاء، وفلق البحر، وتظليل الغمام، وانفجار الحجر بالماء، والمن والسلوى، ومن أن الله كلمه وكتب له في الألواح وغيرها من الآيات.

وتخلف الحكم وهو: تصديق اليهود وإيمانهم بما جاء به موسى -عليه السلام-، فقد كفر أمثالهم من بني جنسهم في الرأي والمذهب، وهم كفرة زمان موسى -عليه السلام-.

فعلة اليهود التي استندوا عليها ﴿ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ﴾ منقوضة بكفرهم ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ﴾؛ فقد كفروا بآيات موسى-عليه السلام-، كما كفروا بآيات محمد ﷺ[(٣)].

---

(١) الآية ٤٨ من سورة القصص.

(٢) استخراج الجدال من القرآن الكريم ص ١١٥.

(٣) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤٠١/٣، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٩٠/٤، مفاتيح الغيب ٦٠٥/٢٤، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٨٠/٤، اللباب في علوم الكتاب ٢٦٧/١٥.

قال الطبري (٣١٠هـ) في تفسير الآية: "أو لم يكفر الذين علّموا هذه الحجة من اليهود بما أوتي موسى من قبلك؟"[١]، وقال ابن جزي(٧٤١هـ) في تفسير الآية: "هذا ردٌّ عليهم فيما طلبوه؛ والمعنى أنهم كفروا بما أوتي موسى فلو آتينا محمداً مثل ذلك لكفروا به"[٢].

وهذا القسم من أقسام السؤال الجدلي سماه ابن عقيل(٥١٣هـ): "السؤال عن تصحيح الدعوى في الدليل"[٣]، أو ما يسمى "المطالبة بإجراء العلة في معلولها"[٤]، أو "المطالبة بنفوذ الدليل وجريانه"[٥]، أو المطالبة بطرد الدليل[٦]، وأورد الجويني (٤٧٨هـ) هذا القسم تحت مسمى: تصحيح البرهان[٧].

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٨٧/١٩، وانظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٥٥٤٣/٨، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٦٤٧/٢، الجامع لأحكام القرآن ٢٩٤/١٣.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ١١٥/٢.

(٣) الواضح لابن عقيل ٣٠٦/١.

(٤) المسودة في أصول الفقه ص ٥٥٢، وانظر: الواضح لابن عقيل ٣١٢/١، التحبير شرح التحرير ٣٧١٠/٧.

(٥) البحر المحيط للزركشي ٤٥٠/٧، إرشاد الفحول للشوكاني ١٧١/٢.

(٦) انظر: المسودة في أصول الفقه ص ٥٥٢، البحر المحيط للزركشي ٤٥٠/٧، إرشاد الفحول للشوكاني ١٧١/٢.

(٧) انظر: الكافية في الجدل ص ٤٧.

القسم الخامس: السؤال عن الإلزام[1].

قال ابن عقيل(٥١٣هـ): "الإلزام: هو التعليق على الخصم ما لا يقول به بدلالة ما يقول به.

والإلزام: هو الجمع بين مذهبين من جهة أن أحدهما يشهد بشبه بالآخر؛ ليسوي بينهما المسؤول.

وقيل: الإلزام: هو المطالبة للخصم بما لا يقول به على مذهب يقول به"[2].

وقد ورد سؤال الإلزام في قول الله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾[3].

وهذا السؤال موجه لليهود حيث قالوا: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾[4].

قال أبو حيان(٧٤٥هـ): "إنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول الله ﷺ **فألزموا** ما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى"[5].

---

(١) انظر: الكافية في الجدل ص ٤٧، التحبير شرح التحرير ٣٧١٠/٧، شرح الكوكب المنير ٣٧٥/٤.

(٢) الواضح لابن عقيل ١٩٧/١.

(٣) من الآية ٩١ من سورة الأنعام.

(٤) من الآية ٩١ من سورة الأنعام.

(٥) البحر المحيط في التفسير ٥٨٠/٤ وانظر: تفسير أبي السعود ١٦١/٣، محاسن التأويل ٤٢٦/٤، تفسير الألوسي ٢٠٧/٤.

- وجاء سؤال الإلزام في جدال إبراهيم -عليه السلام-مع قومه في قول الله عز وجل: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾[1].

قال الزمخشري(٦٨٣): "فما أحاروا جواباً إلا ما هو حجة عليهم"[2].

فالأصنام إذا لم تكن ناطقة متكلمة لم تكن آلهة؛ وهذا إلزام لهم من خلال مذهبهم فيها بأنها آلهة[3].

ثم سألهم إبراهيم -عليه السلام- سؤال إلزام آخر في قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾[4]، فالأصنام إذا كانت عاجزة عن النفع أو الضر لم تكن آلهة؛ وهذا إلزام لهم من خلال مذهبهم فيها بأنها آلهة.

- وجاء سؤال الإلزام في جدال إبراهيم -عليه السلام- مع النمرود قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾[5].

ففي قول الله تعالى: ﴿فَأْتِ بِهَا﴾ طلب إلزام للنمرود؛ لأن الرب هو الذي بيده الأمر كله وهو الذي يدبر الكون وهو على كل شيء قدير والنمرود عاجز عن ذلك[6].

---

(١) من الآية ٦٣ من سورة الأنبياء.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل /١٢٥.

(٣) انظر: الإبانة عن أصول الديانة ص ٧١، الملل والنحل ١١٠/٢.

(٤) من الآية ٦٦ من سورة الأنبياء.

(٥) من الآية ٦٣ من سورة الأنبياء.

(٦) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٨٥٩/١، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٣٥١/١، الجامع لأحكام

قال ابن كثير(٧٧٤هـ) في تفسير الآية: "إن كنت إلهاً كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب، فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي: أخرس فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة "[١].

وقال ابن سعدي(١٣٧٦هـ): "وهذا **إلزام** له بطرد دليله إن كان صادقاً في دعواه"[٢].

- وورد سؤال الإلزام أيضاً في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٣].

ففي قول الله تعالى: ﴿ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾ سؤال إلزام للمشركين من خلال مذهبهم في الأصنام بأنها آلهة؛ فهل هذه الآلهة تخلق أو ترزق أو تميت أو تحيي؟[٤].

قال الطبري(٣١٠هـ): "هل من آلهتكم وأوثانكم التي تجعلونهم لله في عبادتكم إياه شركاء من يفعل من ذلكم من شيء؟ فيخلق، أو يرزق، أو يميت، أو ينشر...فكيف يعبد من دون الله من لا يفعل شيئاً من ذلك؟"[٥].

القرآن ٣/٢٨٦.

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٦٨٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١١١.

(٣) من الآية ٤٠ من سورة الروم.

(٤) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٩/٥٦٩٤، الجامع لأحكام القرآن ١٤/٤٠، تفسير القرآن العظيم ٦/٣١٩.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٠/١٠٧.

- وجاء سؤال الإلزام أيضاً في قول الله عز وجل: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[1].

هل هذه الآلهة التي يؤمن بها المشركون تخلق شيئاً؟ فكيف تكون آلهة وهي عاجزة عن الخلق؟

- وجاء سؤال الإلزام أيضاً في قول الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[2]، وسؤال الإلزام في هذه الآية موجه للمشركين من خلال اعتقادهم أن الأصنام آلهة؛فهل آلهتكم تبدأ الخلق ثم تعيده؟ فكيف تكون آلهة وهي عاجزة عن ذلك؟[3]، قال ابن جزي(٧٤١هـ): "الآية: احتجاج على الكفار؛ فإن قيل: كيف يحتج عليهم بإعادة الخلق، وهم لا يعترفون بها؟ فالجواب: أنهم معترفون أن شركاءهم لا يقدرون على الابتداء ولا على الإعادة، وفي ذلك إبطال لربوبيتهم"[4].

- وورد سؤال الإلزام أيضاً في قول الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[5]، وسؤال الإلزام في هذه الآية أيضاً

---

(١) من الآية ١٩١ من سورة الأعراف.

(٢) من الآية ٣٤ من سورة يونس.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨٥/١٥، التفسير المنير للزحيلي ١٧٠/١١.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ٣٥٦/١.

(٥) من الآية ٣٥ من سورة يونس.

موجه للمشركين من خلال اعتقادهم أن الأصنام آلهة؛ فهل آلهتكم تهدي للحق؟ فكيف تكون آلهة وهي عاجزة عن الهداية؟[١].

- وورد سؤال الإلزام أيضاً في قول الله عز وجل: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾[٢].

قال ابن سعدي(١٣٧٦هـ)في تفسير الآية: "أي: الذين جعلتموهم له شركاء، تدعونهم وتعبدونهم، **يلزم على هذا**: أن يكون لهم خلق كخلقه، ورزق كرزقه، فإن كان لهم شيء من ذلك فأرونيه، ليصح ما ادعيتم فيهم من استحقاق العبادة"[٣].

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤١٩/٢، تفسير القرآن العظيم ٢٦٧/٤.

(٢) من الآية ١١ من سورة لقمان.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٤٧.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فقد كشفت هذه الدراسة عن **نتائج** نعرضها كالآتي:

١-أن السؤال الجدلي كان محط اهتمام ودراسة من علماء الجدل والأصول؛ اتضح ذلك من خلال استقراء مظان الموضوع في مؤلفاتهم.

٢-أن العدد الكبير من الشواهد القرآنية في هذا الموضوع هو ردٌّ واضح على دعوى جمود علم الجدل والأصول.

٣-هذه الدراسة تبين الارتباط التكاملي بين العلوم؛ فالسؤال الجدلي موضوعه من حيث التأصيل جدلي، وأدواته لغوية وهي: أدوات الاستفهام، وتطبيقاته في القرآن الكريم وتفسيره.

وأبرز التوصيات والاقتراحات ما يأتي:

١-الحث على الاهتمام بالدراسات الجدلية والأصولية التأصيلية التطبيقية.

٢-دراسة الجواب الجدلي؛ إذ يمكن إفراده بدراسة مستقلة.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإبانة في اللغة العربية، تأليف: سلمة بن مُسْلِم الصحاري، تحقيق: د. عبد الكريم خليفة، د. نصرت عبد الرحمن، د.صلاح جرار، د.محمد حسن عواد، د.جاسر أبو صفية، وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط – سلطنة عمان، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣- أبجد العلوم، تأليف: أبو الطيب محمد صديق خان الحسيني، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٤- الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: على بن محمد الآمدي أبو الحسن، تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٥- إحياء علوم الدين، تأليف: محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٦- الأذكار، تأليف: أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤هـ.

٧- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: أحمد عناية، قدم له: خليل الميس، د. ولي الدين فرفور، دار الكتاب العربي،ط١، ١٤١٩هـ.

٨- أسرار العربية، تأليف: عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، الناشر: دار الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ.

٩- استخراج الجدال من القرآن الكريم، تأليف: عبد الرحمن بن نجم الجزري السعدي، تحقيق: الدكتور زاهر بن عواض الألمعي، نشر: مطابع الفرزدق التجارية،الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ.

١٠- أصول الفقه، تأليف: محمد بن مفلح، شمس الدين المقدسي، حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور فهد بن محمد السَّدَحَان، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٠هـ٤.

١١- الأصول في النحو، تأليف: أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان– بيروت.
١٢- الإيضاح في علوم البلاغة، تأليف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت–لبنان، ط٣.
١٣- البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي، قام بتحريره: عبد القادر العاني، وراجعه د. عمر الأشقر، مكتبة آلاء، الكويت، ط ٢، ١٤١٣هـ.
١٤- البحر المحيط في التفسير، تأليف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت- لبنان، الطبعة: ١٤٢٠هـ.
١٥- بدائع الفوائد، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
١٦- البديع في علم العربية، تأليف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق ودراسة: د. فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى،ط١.
١٧- تاريخ الجدل، تأليف: محمد أبو زهرة، طباعة ونشر: دارالفكر العربي، الطبعة الأولى، يناير ١٩٣٤م.
١٨- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، تأليف: علي بن سليمان المرداوي، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د.عوض القرني، د.أحمد السراح، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢١هـ.
١٩- التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف:محمد بن أحمد ابن جزي الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ.
٢٠- التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٢١- تفسير أبي السعود= إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تأليف:أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت- لبنان.
٢٢- تفسير الراغب الأصفهاني، تأليف: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. هند سردار، نشره:كلية الدعوة وأصول الدين- جامعة أم القرى،ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٣- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣: ١٤٠٧هـ.
٢٤- تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ.
٢٥- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، تأليف: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر- دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.
٢٦- تقويم الأدلة في أصول الفقه، تأليف: أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدّبوسيّ الحنفي، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
٢٧- التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، عالم الكتب: القاهرة، الطبعة: الأولى،١٤١٠هـ.
٢٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق:عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
٢٩- جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣٠- الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي، تأليف:محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٣١- الجدول في إعراب القرآن، تأليف: محمود بن عبد الرحيم الصافي، دار الرشيد مؤسسة الإيمان – دمشق، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ.
٣٢- جمهرة اللغة، تأليف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
٣٣- الجنى الداني في حروف المعاني، تأليف: بدر الدين حسن بن قاسم المرادي المالكي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة والأستاذ: محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٣٤- حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جامعة أم القرى- كلية الدعوة وأصول الدين، نشر سنة ١٤٢٤هـ.
٣٥- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المصري الحنفي، دار صادر – بيروت.
٣٦- حروف المعاني والصفات، تأليف: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة– بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى: ١٩٨٤م.
٣٧- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، إعداد: يحيى بن محمد حسن زمزمي، دار التربية والتراث: مكة المكرمة، رمادي للنشر: الدمام، ط١: ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، توزيع: مؤسسة المؤتمن.
٣٨- الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية، بحث من إعداد: ناصر بن سعيد بن سيف السيف.
٣٩- الحوار والمناظرة في الإسلام في العصر الحديث، أحمد ديدات نموذجاً، تأليف: د. إبراهيم بن عبد الكريم السنيدي، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى العدد: ٤٦، محرم ١٤٣٠هـ.

٤٠- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تأليف: محمد عبد الخالق عضيمة، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.
٤١- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه تأليف: موفق الدين عبد الله ابن أحمد بن قدامه المقدسي الحنبلي، تحقيق: د. عبد الكريم بن علي النملة، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ.
٤٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تأليف: عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي، تحقيق: محمد عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، ط٢٠، ١٤٠٠هـ.
٤٣- شرح كتاب سيبويه، تأليف: أبو سعيد السيرافي الحسن بن المرزبان، تحقيق: أحمد مهدلي، علي سيد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.
٤٤- شرح الكوكب المنير، تأليف: محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٤٥- شرح مختصر الروضة، تأليف: سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.
٤٦- العدة في أصول الفقه، تأليف: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد، حققه وعلق عليه وخرَّج نصه: د أحمد بن علي بن سير المباركي،ط٢، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٤٧- علل النحو، تأليف: محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد- الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٤٨- علم الجذل في علم الجدل، تأليف: سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، تحقيق: فو لفهارت هَاينريشس، دار النشر: فرانز شتاينر بفيسبَادن ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

٤٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
٥٠- غاية الوصول في شرح لب الأصول، المؤلف: شيخ الإسلام زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى، طبع بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى- مصر.
٥١- الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، تأليف: ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي، تحقيق: محمد تامر حجازي، دار الكتب العلمية، ط١: ١٤٢٥هـ.
٥٢- الفائق في غريب الحديث، تأليف: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية.
٥٣- الفتاوى الكبرى، تأليف: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد عطا - مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٥٤- الفروق اللغوية، تأليف: أبو الهلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد ابراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة، القاهرة - مصر.
٥٥- الفقيه والمتفقه، تأليف:أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي- الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ.
٥٦- القاموس المحيط، تأليف: مجد الدين محمد يعقوب الفيروزبآدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
٥٧- الكافية في الجدل، تأليف: إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجويني الشافعي، وضع حواشيه: خليل المنصور، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية: بيروت.
٥٨- الكتاب، تأليف: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة ٣.

٥٩- كتاب الإيضاح لقوانين الاصطلاح في الجدل والمناظرة، تأليف: الصاحب محيي الدين يوسف الجوزي، تحقيق: محمود الدغيم،الناشر: مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م،القاهرة.
٦٠- الكليات، تأليف: أيوب الحسيني، قابلة على نسخة خطية واعدة للطبع ووضع فهارسه: الدكتور: عدنان درويش والأستاذ: محمد المصري، مؤسسة الرسالة للنشر، ط٢، ١٤١٩هـ.
٦١- لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى.
٦٢- اللمع في العربية، تأليف: عثمان بن جني الموصلي، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.
٦٣- مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، تأليف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن — دار الثريا، الطبعة الأخيرة — ١٤١٣هـ.
٦٤- محاسن التأويل، تأليف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه — بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.
٦٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.
٦٦- مختصر منهاج القاصدين، تأليف: أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة، قدم له: محمد دهمان، علق عليه: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، سوريا— دمشق، سنة النشر: ١٣٩٨هـ.
٦٧- مدارك التنزيل وحقائق التأويل= تفسير النسفي، تأليف: عبد الله بن أحمد النسفي، حققه: يوسف بديوي، قدم له: محيي الدين مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
٦٨- المسودة في أصول الفقه، تأليف: آل تيمية (بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين عبد

السلام، وأضاف إليها الأب:عبد الحليم، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية) تحقيق: محمد عبد الحميد،دار الكتاب العربي.
٦٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف: العالم العلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢١هـ.
٧٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن= تفسير البغوي، تأليف:أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرَّج أحاديثه: محمد النمر وعثمان جمعة وسليمان الحرش، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ.
٧١- معاني القرآن وإعرابه، تأليف: إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ.
٧٢- معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٧٣- معجم مقاييس اللغة: تأليف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة النشر: ١٣٩٩هـ.
٧٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تأليف: عبد الله بن يوسف بن أحمد، تحقيق: د. مازن المبارك/ محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.
٧٥- مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، تأليف: محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي-بيروت- لبنان، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.
٧٦- مفتاح العلوم، تأليف: يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي الخوارزمي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٧٧- المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان.
٧٨- المقتضب، تأليف: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، – بيروت-لبنان.

٧٩- الملل والنحل، تأليف: أبو الفتح محمد الشهرستاني، نشر: مؤسسة الحلبي.
٨٠- المنهاج في ترتيب الحجاج، تأليف: أبو الوليد الباجي، تحقيق: عبد المجيد تركي، الطبعة الثالثة: ٢٠٠١م، دار الغرب الإسلامي.
٨١- الموسوعة الفقهية الكويتية، إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية — الكويت، دار السلاسل - الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
٨٢- موسوعة مصطلحات أصول الفقه عند المسلمين، الدكتور: رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٨٣- النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، تأليف: علي الجارم ومصطفى أمين، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع.
٨٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي،الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ.
٨٥- نهاية الوصول في دراية الأصول، تأليف: صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي، المحقق: د.صالح اليوسف- د.سعد السويح، الناشر: المكتبة التجارية بمكة المكرمة، ط١، ١٤١٦هـ.
٨٦- الهداية إلى بلوغ النهاية، تأليف: مكي بن أبي طالب القرطبي، التحقيق تحت إشراف: أ. د: الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة،ط١، ١٤٢٩هـ.
٨٧- الواضح في أصول الفقه، تأليف: علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٨٨- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تأليف: علي بن أحمد الواحدي، تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود، علي معوض، د.أحمد صيرة، د.أحمد الجمل، د.عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: أ.د. عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

***

III. Documentation:

1. Footnotes should be placed on the footer area of each page respectively.
2. Sources and references must be listed at the end.
3 - Sample images of the verified/edited manuscript are inserted in their respective areas.
4 - Clear pictures and graphs that are related to the research are included in appendices.

IV. In case the author is dead, the date of his death, in Hijri calendar, is used after his name in the main body of research.

V. Foreign names of authors are transliterated in Arabic alphabet followed by the Latin characters between brackets). Full names are used for the first time the name is cited in the paper.

VI. Submitted articles for publication in the journal are refereed by two reviewers, at least.

VII. Rejected article will not be returned to authors.

Address of the journal:

All correspondence should be sent to the editor of the Journal of Shari'ah Studies:

Riyadh,11432 PO Box 5701
Tel: 2582051 - Fax 2590261
www. imamu.edu.sa
Email : islamicjournal@imamu.edu.sa

Criteria of Publishing

The Journal of Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University for Shari'ah Studies is a peer reviewed journal published by the Deanship of Scientific Research in the campus that publishes scientific research according to the following regulations:

I. Acceptance Criteria:

1. Originality, innovation, academic rigor, research methodology and logical orientation.
2. Complying to the established research approaches, tools and methodologies in the respective discipline.
3. Accurate documentation.
4. Language accuracy.
5. Previously published submissions are not allowed.
6. Submissions must not be extracted from a paper, a thesis/dissertation, or a book by the author or anyone else.

II. Submission Guidelines:

1. The author should write a letter showing his interest to publish the work, coupled with a short CV and a confirmation that the author owns the intellectual property of the work entirely and he won't publish the work before a written agreement from the editorial board.
2. Submissions must not exceed 60 pages (A4).
3. Submissions are typed in Traditional Arabic, in 17-font size for the main text, and 13-font size for notes, with single line spacing.
5. Three copies must be submitted to the journal with an abstract in Arabic and English that does not exceed 200 words in size.

Editor -in- Chief

- **Prof. Muslim Ibn Muhammad Al-Dosari**
  College of Fundamentals of Religion - Almajmaah University

- **Prof. Abdullah Ibn Muhammad Al-Omrani**
  Majmaah University - Fundamentals of Jurisprudence

- **Prof. Ali Ibn Abdul Aziz Al Matroudi**
  Fundamentals of Jurisprudence department- College of Shari'ah

- **Prof. Mansour Ibn Abdul Rahman Al-Haidari**
  The Higher Judicial Institute - department of Shari'ah Policy

- **Prof. Asmaa Bint Abdul-Aziz Al-Dawood**
  Higher Institute for Dawah and Ihitisab- Dawah department

- **Prof. Adel Mubarak Al-Mutirat**
  Kuwait University- College of Sharia and Islamic Studies

- **Dr. Ibrahim Mustafa Adi**
  Othman Ibn Foudi University Nigeria - Islamic Studies

- **HOSAM MOHAMMED ALRUTHAYA**
  Deanship of Scientific Research

Chief Administrator
H.E. Prof. Ahmed Ibn Salem AL-Ameri
President of the University

Deputy Chief Administrator
Prof. Abdullah Ibn Abdulaziz Al-Tamim
Vice Rector for Graduate Studies and Scientific Research

Editor -in- Chief
Prof. Hamad Ibn Abdul Mohsen Al-Tuwaijri
College of Fundamentals of Religion –Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Managing editor
Dr. Saad Mohammed AlShareef MD, MPHE
Vice Deanship of Scientific Research for Research Chairs